سلسلة مقارنة الأديان

(الكتاب الأول)

اليهودية في ضوء العهد القديم

وموقف القرآن الكريم منها

أ.د/ أحمد عبد الهادي شاهين

أستاذ الدعوة ومقارنة الأديان في جامعة الأزهر

وعضو هيئة كبار علماء الجمعية الشرعية الرئيسية بالقاهرة.

من نور القرآن الكريم

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ سورة المائدة الآية (٤٨).

اليهودية في ضوء العهد القديم

وموقف القرآن الكريم منها.

رقم الايداع ١٣٧٦٧/ ٢٠٠٠م. بدار الكتب المصرية.

الطبعة الأولى/ سنة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

هذا الكتاب هو الجزء الأول من رسالة (الدكتوراة).

مقدمة

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ ﴾[1] ومن مظاهر قيوميته كماله وتمامه، قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[2].

والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ البشير النذير، والسراج المنير، خاتم النبيين، وقائد الغر المحجلين، سيد الدعاة، وإمام المرسلين، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد...

فلقد صحبت البشرية على امتداد تاريخها الطويل رسالات إلهية سابقة، كانت جميعها قائمة على التوحيد الخالص لله ﷻ وعلى دعوة الناس إلى الإسلام، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[4].

غير أن هذه الرسالات كانت إقليمية ومرحلية، فراعت مصالح الناس واحتياجاتهم في العصر الذي يعيشون فيه، فجاءت ملائمة لفترة معينة من الزمن، إلا أنها تعرضت

---

(١) سورة الكهف الآيتان (١-٢).
(٢) سورة المائدة الآية (٣).
(٣) سورة الأنبياء الآية (٢٥).
(٤) سورة آل عمران الآية (١٩).

لأمواج هائجة، ورياح عاتية غيرت معالمها، وأبعدتها عن نقائها، وصفائها الرباني الذي كانت عليه، إلى أن جاءت الرسالة الخاتمة من وحى الله -عز وجل- لتتمم ما سبق، وتصلح ما فسد، وتصحح ما انحرف، فأعادت بناء ما انهدم، وكان البناء عاليا، أصله ثابت، وفرعه في السماء.

نعم لقد جاءت الرسالة الخاتمة بكتابها الرباني المعجز، ليصدق الصحيح الذي سلم من التحريف، ويهيمن على ما فيها من أحكام وتشريعات، ويقوم ما حرفته الأيدي الآثمة من تغيير وتبديل، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ ﴾[1].

وهو بهذا المعنى صادق مصدِّق، مفصل لما أجمل، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾[2].

فعلاقة القرآن الكريم بالكتب السابقة في صورتها الأولى علاقة تصديق وتأييد، وأما علاقته بها بعد تحريفها فهي علاقة تصديق لما بقى صحيحا منها، وتقويم لما طرأ عليها من الإضافات الغريبة عنها، ومن ثم جاء القرآن الكريم كالغيث للأرض الجدباء، ينزل عليها فتهتز وتربو، وتنبت من كل زوج بهيج.

إذا فالله ﷻ قد أعطى المسلمين دينا يشتمل على كل ما جاء به الأنبياء السابقون، فهو يحوى منها أحسن ما فيها، ويضيف إلى ذلك ما فيه خير للإنسانية في الدنيا والآخرة.

---

(١) سورة المائدة الآية (٤٨).

(٢) سورة يونس الآية (٣٧).

ومن ثم فهو المنهج الأوحد الصالح لجميع الأزمنة والأمكنة والأشخاص، بل والمصلح لهم جميعا، ولكل ما تعانى منه الإنسانية من أدواء وأمراض، فهو يسع الناس جميعا على اختلاف ألسنتهم وألوانهم، وعلى امتداد أوطانهم، وهو يبسط نوره على الناس جميعا كما تغمر الشمس بضوئها الجبال والسهول والنجود والأغوار.

ولكن من ذا الذي يفتح عينيه على نور الحقيقة؛ ليراها واضحة جلية؟ فمهما ابتغت البشرية الهدى والاستقرار بعيدا عن هذا المنهج الرباني، الواضح في شموله وتوازنه، وواقعيته، وإنسانيته فإنها لن تحقق آمالها، ولن تصل إلى مبتغاها، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾[1].

إن العاقل من الناس هو الذي يجتهد في البحث عن الحق والصواب في تجرد تام، طلبا للدين الصحيح الذي يقبله العقل، وتطمئن إليه النفس، ويرتاح له القلب.

وهذه الدراسة موجهة لكل إنسان يبحث عن الحق بنفسه، بعيدا عن موروثات الآباء والأجداد، والتقاليد والأعراف، لتكون نورا يهدى الباحثين -من أهل الكتاب وغيرهم- إلى الحق، وتشرح صدورهم إلى الإيمان بالله الواحد القهار، قال تعالى: ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[2].

❁❁❁

(١) سورة طه الآيات (١٢٣-١٢٦).

(٢) سورة يونس الآية (٣٢).

أهمية الموضوع

ترجع أهمية هذا الموضوع إلى الأمور الآتية:

أولا: يتناول هذا البحث أكثر الديانات انتشارا في العالم، وهي الديانة اليهودية، والنصرانية، والدين الإسلامي الحنيف، وأصحاب هذه الديانات في سباق دائم ومستمر، وكل أتباع دين يعتقد أنه على الحق والصواب، وما سواه باطل وضلال، وتأتى أهمية هذه الدراسة في كونها تكشف عن خصائص كل دين، ومصادره الأصلية المستمدة منه: عقيدته، وشريعته، ونظمه، وأخلاقه، فإذا صحت هذه المصادر وسلمت هذه المناهج، صح هذا الدين، ودعا أتباعه العالم إلى اعتناقه وتطبيقه.

ثانيا: أن العالم الآن يموج بنظم مختلفة، وتتفشى فيه أفكار وفلسفات متباينة، اجتماعية، واقتصادية، وسياسية، ولكل منها دعاة وأتباع، يدعى شمولية منهجه، وواقعيته، ووسطيته، وهذا يحتاج إلى صراع ومدافعة، ليعلن كل منها عن نفسه وما فيه من خير، وما في خصومه من شر، ويأتي هذا الموضوع ليكشف لنا بالأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة، دعوة الحق من دعوات الباطل، إذ أن دعوة الحق قديمة وباقية، وهي دعوة واحدة لا تشعب فيها ولا تناقض، ودونها دعوات أخرى كثيرة متناقضة، متضاربة الأهواء، ضالة الفكر، سيئة الفهم، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ ﴾[1].

ثالثا: وتبرز أهمية هذه الدراسة، في أنها تُبين للعالم أجمع أن الدين الإسلامي الحنيف، هو الدين الوحيد في العالم كله الذي احتفظ بأصله الرباني في مصدره ومنهجه، فلم تتدخل

(١) سورة لقمان الآية (٣٠).

فيه يد البشر على الإطلاق بالتبديل أو التغيير، لأن الله تعالى أسند حفظه إلى نفسه، فكل محاولة تقترب من ساحته محكوم عليها بالفشل والخسران، لأنها غير قابلة للاختراق، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[1].

رابعا: كما تكشف هذه الدراسة عن أن هذا الدين جدير بأن يحقق السعادة للبشرية كلها؛ ذلك لأن منزل القرآن هو خالق الإنسان، فهو أعلم بما يصلحه وما يفسده، قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾[2].وهذا من الأمور التي تقوى في نفوس المسلمين ثقتهم بدينهم وكتابهم.

خامسا: إن دراسة خصائص الدعوة الإسلامية ومقارنتها بالديانات الأخرى، من الأمور التي تفرض على المسلمين أن يعرفوا دينهم معرفة صحيحة، ويعتزوا بانتسابهم إليه، وذلك لتميز الدين الإسلامي الحنيف عن غيره من المعتقدات والمناهج الأرضية السائدة في العالم الآن.

❁❁❁

(١) سورة الحجر الآية (٩).

(٢) سورة الملك الآية (١٤).

وبعد...

فهذه الدراسة -شأن كل عمل بشرى- لا يخلو من بعض القصور، ولا يسلم من بعض الخلل غير المقصود بالطبع، فلا كمال إلا لله وحده، ولا عصمة إلا لرسل الله -صلوات الله عليهم أجمعين- إنه القصور والضعف البشرى، اللازمان لكل عمل إنساني.

وأتمثل قول ابن قيم الجوزية-رحمه الله- إذ يقول: (والمنصف يهب خطأ المخطئ لإصابته، وسيئاته لحسناته، فهذه سنة الله في عباده جزاءً وثوابا، ومن ذا الذي يكون قوله كله سديدا، وعمله كله صوابا؟ وهل ذلك إلا المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، ونطقه وحى يوحى)(١).

وهذا العمل قدر جهدي واستطاعتي، فإن كنت قد أصبت فالفضل لله أولا وآخرا، وإن كانت الأخرى، فأسأل الله أن يغفر لي ما شط به الفكر، أو زل به القلم، قال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾(٣).

والحمد لله أولا آخرا الذي بنعمته تتم الصالحات.

❁❁❁

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن قيم الجوزية، صـ٢٢ ط/ مكتبة دار التراث/ بدون تاريخ.

(٢) سورة النساء الآية (٨٩).

(٣) سورة البقرة الآية (٢٨٦).

تمهيد

التعريف بعنوان ومصطلحات الموضوع

إن دراسة أي موضوع تقتضى التعريف بعنوانه، ولا تتأتى هذه المعرفة إلا بالرجوع إلى معاجم وقواميس اللغة العربية؛ للتعرف على مفردات العنوان ودلالتها.

❁❁❁

التعريف بالعهد القديم:

كلمة العهد في اللغة لها عدة معان منها: العلم، والوصية، واليمين، والزمان، والميثاق، جاء في المعجم الوسيط ما يأتي:-

١ - (العهد: العلم، يقال: قريب العهد بكذا أي: قريب العلم به، وعهدي بك مساعد للضعفاء: أي أنى أعلم ذلك.

٢ - العهد: الوصية، وفي التنزيل العزيز ﴿ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ﴾[١] أي وصاياه وتكاليفه.

٣- العهد: اليمين التي تستوثق بها ممن عاهدك، تقول: عليَّ عهد الله لأفعلن كذا.

٤ - العهد: الزمان، يقال: كان ذلك على عهد فلان.

٥ - العهد: الميثاق الذي يكتب للولاة، والجمع عهود، وعهاد)[٢].

---

(١) سورة الأنعام الآية (١٥٢).

(٢) المعجم الوسيط، ٢ / ٦٥٧. وكلمة العهد بمعنى الميثاق تتفق مع ما ورد في قاموس الكتاب المقدس، فقد جاء فيه (العهد: اتفاق بشكل ميثاق، يعقد بين طرفين بناء على رضاهما، وأهم العهود في الكتاب المقدس: هو عهد الله للبشر عهده الأبدي) قاموس الكتاب المقدس صـ٦٤٣، تأليف مجموعة من علماء اللاهوت ط/ دار الثقافة القاهرة ط/ العاشرة سنة ١٩٩٥م. وانظر سفر التكوين ١٧(١٣) والخروج ٣٤(١٠) والتثنية ٤(١٢) وأشعيا ٥٩ (٢١).

(**والعهد العتيق أو القديم**: يضم التوراة وملحقاتها، أي جميع الأسفار المنسوبة للأنبياء قبل عيسى عليه السلام واستخدمت كلمة العهد في التوراة بمعنى: الوعد الصادق من الله – تعالى– للإنسان. **والعهد الجديد**: يضم الأناجيل وملحقاتها، أي جميع الأسفار والرسائل المكتوبة بعد عيسى عليه السلام وسمي العهد الجديد بالجديد لأنه يعتبر جديدا بالنسبة للعهد الأول أو القديم مع بنى إسرائيل، أي عهد الشريعة الذي أعطاهم الله إياه على يد موسى، وهذه التسمية اجتهادية أخذها النصارى من قول سفر أرميا: (هَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأَقْطَعُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْدًا جَدِيدًا. لَيْسَ كَالْعَهْدِ الَّذِي قَطَعْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ يَوْمَ أَمْسَكْتُهُمْ بِيَدِهِمْ لأُخْرِجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، حِينَ نَقَضُوا عَهْدِي فَرَفَضْتُهُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ. بَلْ هذَا هُوَ الْعَهْدُ الَّذِي أَقْطَعُهُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ بَعْدَ تِلْكَ الأَيَّامِ)[1].ومجموع العهدين: هو الكتاب المقدس عند النصارى)[2].

ويحتوى العهد القديم على تسعة وثلاثين سفرا. ويحتوى العهد الجديد على سبعة وعشرين سفرا. والعهد القديم كتاب اليهود[3] واليهود هم أمة موسى عليه السلام. ❁❁❁

---

(١) سفر أرميا ٣١ (٣١ –٣٣).

(٢) إظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي، صـ ٩٨/١ بالهامش تحقيق د / محمد ملكاوى، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية ط / الثانية سـ١٤١٣ هـ، ١٩٩٢م وانظر قاموس الكتاب المقدس، صـ٦٤٤ وانظر دائرة المعارف الكتابية ٥/ ٣٥٧، و الرسالة إلى العبرانيين ٨ (٦–١٣).

(٣) يطلق على اليهود أسماء أربع وهى: يهودي، وإسرائيلي، وعبري، وصهيوني.

أ– اختلف في أصل كلمة اليهود، فيرى البعض أنها كلمة عربية مشتقة من الفعل هاد: أي رجع، يقول ابن منظور: (اليهود: من هاد يهود هودا، والهود: التوبة، وتهود: تاب ورجع إلى الحق، وفي التنزيل {إنا هدنا إليك} أي تبنا إليك، انظر لسان العرب لابن منظور/ مادة هاد ٨٤/٢ وانظر المعجم الوسيط ١٠٣٩/٢ والآية (١٥٦) من سورة الأعراف.

نبذة مختصرة عن علم مقارنة الأديان:

ويقول الراغب الأصفهاني: يهود في الأصل من قولهم: هدنا إليك، وكان اسم مدح، ثم صار بعد نسخ شريعتهم لازما لهم، وإن لم يكن فيه معنى المدح. انظر المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٣٨١هـ سنة ١٩٦١م.

ويرى البعض أن كلمة يهود: نسبة إلى يهوذا أحد أبناء يعقوب من باب إطلاق الخاص على العام، كما جاء في قاموس الكتاب المقدس صـ١٠٨٤، وقد أيد هذا الرأي زكى شنودة في كتابه (المجتمع اليهودي) صـ٩،١٠ الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة بدون تاريخ. وانظر مقارنة الأديان د/ عوض الله حجازي صـ٦٠ دار الطباعة المحمدية القاهرة.

والخلاصة أن الكلمة من منظور عربي بمعنى الرجوع والتوبة، وفي اللغة العبرية أنها تطلق على أحد أبناء يعقوب، ثم صارت تطلق على كل من يعتقد بديانة بنى إسرائيل.

ب-إسرائيلي: هذه الكلمة مكونة من مقطعين (إسرا) بمعنى عبد (وإيل) بمعنى الله، فإسرائيل هو عبد الله، وأطلق هذا الاسم على يعقوب عليه السلام جد اليهود فنسبوا إليه، وسماهم القرآن ببني إسرائيل. انظر تفسير ابن كثير ٨٢/١. وجاء في سفر التكوين أن الله هو الذي سمي يعقوب إسرائيل حينما قدر على الرب فهو اسم عبراني معناه المجاهدة مع الله، أو المصارع لله، وكانت أول من أطلقت عليه يعقوب، ثم أطلقت على نسل يعقوب بعد ذلك، انظر قاموس الكتاب المقدس صـ٩٦. وسفر التكوين ٣٢ (٢٤- ٣٠).

جـ-ولفظ (عبري) مشتق من الفعل الثلاثي (عبر) بمعنى: قطع مرحلة من الطريق أو الوادي أو النهر، وأطلق عليهم هذا اللفظ؛ لأنهم قوم رحل لا يستقرون في مكان إلا وينتقلون منه إلى مكان آخر، وقيل؛ لعبورهم نهر الأردن أو الفرات أو الأنهار عموما، ولم يأت هذا اللفظ في القرآن الكريم. انظر تفصيل ذلك في تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، د/ فتحي محمد الزغبي، صـ٧٤ وما بعدها، دار البشير ط/ الأولى سنة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

د- ولفظ (صهيوني): ينسب إلى جبل صهيون الذي يقع في جنوب بيت المقدس (ويعتقد اليهود أن الرب يسكن فيه) كما جاء في سفر مزامير ٩ (١١) ويعنى لفظ صهيوني عند اليهود أرض الميعاد أي: الأرض المقدسة التي يتوق إليها اليهود، فالصهيوني هو الذي يذهب إلى جبل صهيون بإسرائيل، فهي فكرة سياسية استعمارية. انظر العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، د/ سعد الدين السيد صالح، صـ٣٨، ط/دار الصفا للطباعة والنشر.

في العصر الحديث، وفي نهاية القرن العشرين، أصبح من الضروري جدا الاهتمام والعناية بعلم مقارنة الأديان، خاصة وأن هناك راية مرفوعة تدعو إلى الحوار بين الأديان.

وعلم مقارنة الأديان يعد من مفاخر المسلمين، لأنهم هم الذين ابتكروا هذا العلم ووضعوا قواعده، وأسسه من القرآن الكريم.

وقبل بعثة خاتم النبيين محمد ﷺ وقبل نزول القرآن الكريم عليه لم يكن هذا العلم موجودا ولا معروفا بين الناس، فالديانة اليهودية مثلا لم تعترف بالديانة النصرانية، ولم تؤمن بالمسيح عيسى ابن مريم رسولا إلى بنى إسرائيل، مكملا ومتمما لشريعة موسى عليه السلام.

وإنما اعتبرت اليهودية أن المسيح مجرد ثائر على الأوضاع القائمة حينئذ، فأوعزت إلى الحاكم الروماني فحكم عليه بالإعدام، بينما الديانة النصرانية تعتبر نفسها وارثة للديانة اليهودية، فليس لليهودية وجود مع النصرانية، إذ أنها يجب أن تختفي من الساحة لتحل النصرانية مكانها.

وجاء الإسلام الحنيف -وهو الحلقة الأخيرة في الرسالات الإلهية- برؤية جديدة في العلاقة بينه وبين الرسالات السابقة -اليهودية والنصرانية- ففتح باب الحوار والجدل مع أهل الكتاب بضوابطه الشرعية؛ ليعرض كل ما عنده، والبقاء للأفضل الذي يسير حركة الكون والحياة، ويتوافق مع طبيعة الإنسان وفطرته، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦﴾[1].

(١) سورة العنكبوت الآية (٤٦).

والرسول ﷺ هو أول من طبق هذه الآية حينما حاور اليهود في المدينة، وحاور نصارى نجران في مسجده، وظهر ذلك في كتبه إلى الملوك والرؤساء من النصارى، والرومان، والفرس، وغيرهم، بل حاور مشركي قريش في عبادتهم للأصنام وشربهم للخمر ووأدهم للبنات.

والإسلام هو الدين الوحيد الذي يعترف بالوجود الفعلي لأهل الكتاب، ويتحدث عنهم في كثير من آيات القرآن الكريم؛ ليبين حقوقهم وواجباتهم، وموقف المسلمين منهم في مرحلة السلم والحرب، ويدعوهم إلى النظر في عقيدتهم، وفيما جاء به الإسلام من عقيدة وشريعة وأخلاق، بقصد دراسة الأديان دراسة موضوعية حقيقية، بلا تعصب ولا هوى؛ لبيان عظمة الإسلام.

وحينما اتسعت الفتوحات الإسلامية، ودخل الناس في دين الله أفواجا، ازدهرت الحياة العلمية بالمؤلفات في التفسير والحديث والفقه، وخاصة في عصر التدوين، وفي القرن الثاني الهجري اتجه بعض علماء المسلمين إلى الكتابة في علم مقارنة الأديان؛ بقصد دراسة الأديان دراسة موضوعية حقيقية بلا تعصب؛ لبيان عظمة الإسلام وبيان تناقض وانحراف ما بأيدي اليهود والنصارى من كتب يدعون نسبتها إلى الوحي الإلهي، ومن أشهر الذين كتبوا في ذلك:

١- النوبختي المتوفى سنة ٢٠٢ هـ، وكتابه (الآراء والديانات) يعد أول كتاب في مجال مقارنة الأديان.

٢- الجاحظ (المتوفى سنة ٢٥٥ هـ في رسالته التي بعنوان (الرد على النصارى).

٣- ثم كتب المسعودي المتوفى ٣٤٦ هـ كتابين عن الديانات.

٤- القاضي عبد الجبار المتوفى سنة ٤١٥ هـ خصص في موسوعته المغنى جزءا خاصا عن الفرق والأديان.

٥- ثم كتب المسبحي المتوفى سنة ٤٢٠ هـ كتابه (درك البغية في وصف الأديان والعبادات) وهو كتاب مطول يقع في حوالي ثلاثة آلاف صفحة ثم توالت التآليف والكتب بعد ذلك ومن أشهرها:

٦ - أبو المنصور البغدادي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ في كتابه (الملل والنحل).

٧- ابن حزم الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٦ هـ في (الفصل في الأهواء والملل والنحل).

٨ - الشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨ هـ (الملل والنحل).

٩- القرافي المتوفى سنة ٦٨٤هـ (الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة).

١٠- ابن تيمية (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح).

١١- ابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ (هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى).

١٢- أبو ريحان البيروني (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة).

١٣- أبو حامد الغزالي (الرد الجميل على لألوهية عيسى بصريح الإنجيل).

١٤- وكتب أبو الفضل المسعودي (المنتخب الجليل في تخجيل من حرف الإنجيل).

١٥- كتب عبد الله الترجمان الميروقي الذي كان قسيسا ثم أسلم كتابه (تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب).

١٦- كتب أبو عبيد الخزرجي كتابه (مقامع الصلبان في الرد على عبدة الأوثان) الذي سماه محققه د/ محمد شامة (بين الإسلام والمسيحية)(١).

وفي العصر الحديث كثرت التآليف في علم الأديان ومن أشهرها ما يأتي:-

١- كتاب (إظهار الحق) للشيخ رحمة الله الهندي.

٢- كتاب (الفارق بين المخلوق والخالق) للشيخ عبد الرحمن الباجه جي زاده.

٣- كتاب (محاضرات في النصرانية) للشيخ محمد أبو زهرة.

٤- كتاب (الأسفار المقدسة للديانات السابقة على الإسلام) د/ على عبد الواحد وافي.

٥- وكتب سلسلة مقارنة الأديان (اليهودية) و(النصرانية) و(الإسلام). د/ أحمد شلبي.

ثم توالت الكتب والتآليف في مجال الأديان، تاريخا، ونقدا، ومقارنة، وخاصة في مجال البحوث والرسائل العلمية، بجامعة الأزهر الشريف وغيرها.

❁❁❁

أهمية علم مقارنة الأديان:

لعلم مقارنة الأديان أهمية كبرى، وفائدة عظمى، وهذه الأهمية تتلخص في ما يأتي:-

أولا: أن هذا العلم يجعل الإنسان يتعرف على حقيقة كل دين، ومدى ربانيته أو بشريته، وهل بقى هذا الدين على أصوله الأولى التي كان عليها، أم انحرف عن وجهته

(١) انظر فيما سبق، اليهودية د/ أحمد شلبي، صـ٢٥-٢٨ بتصرف واختصار شديد، ط/ مكتبة النهضة المصرية، ط/ الخامسة سنة ١٩٧٨م وانظر مقدمة المحقق لكتاب إظهار الحق الشيخ رحمة الله الهندي تحقيق د/ محمد ملكاوي صـ٨٠-٨١.

وبعد عن غايته؟ ولا تتأتى هذه المعرفة إلا من خلال المقارنة بين الأديان بعضها ببعض، ومعرفة الحق من الباطل، والصواب من الخطأ.

ثانيا: لا شك أن الرسالات الإلهية جاءت كلها من مصدر واحد، فمصدرها جميعا من الله ﷻ وما دام الأمر كذلك فإن الأولى بها أن تتفق في أصولها، لكننا نجد حاليا التناقض والاختلاف فيما بينها؛ فعقيدة اليهود الآن في الذات الإلهية تختلف تماما عن عقيدة النصارى في الذات الإلهية، وكذلك عن عقيدة المسلمين، ودراسة علم مقارنة الأديان يجعل الإنسان يقف على حقيقة هذا الخلاف، وجذوره التاريخية، وكيف نشأ[1].

❁❁❁

هل الدين واحد أو متعدد؟.

بعد بيان مفردات البحث، وبيان المقصود من هذه الدراسة، وذكر نبذه مختصرة عن علم مقارنة الأديان وأهميته، تجدر الإشارة إلى سؤال يطرح نفسه وهو: هل الدين واحد أو متعدد؟.

وتتضح الإجابة على هذا السؤال من خلال بيان مدلول كلمة الدين.

إن كلمة الدين تأتى بمعنيين:

أولا: (المعنى اللغوي الشامل) الذي يشمل الدين الصحيح وغيره، وقد جاء هذا في القرآن الكريم في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦ ﴾[3].

(١) يراجع اليهودية د/ أحمد شلبي ص٣٣.

(٢) سورة الشورى الآية (٢١).

(٣) سورة الكافرون الآية (٦).

فسمي القرآن الكريم غير الإسلام دينا لأن الإنسان يدين بدين إلهي صحيح، أو إلهي محرف، أو بمذهب أرضي باطل، فاعتبر الإسلام ذلك كله دينا، ومن هنا خاطب أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وكذلك خاطب المشركين وغيرهم بدعوتهم إلى الدين الصحيح، ومن هنا فكلمة الدين بهذا المعنى الشامل تصح لغة لا اصطلاحا، ويصح أن يقال علم مقارنة الأديان.

ثانيا: والمعنى الثاني لكلمة الدين (المعنى الخاص) الذي لا ينطبق إلا على الدين الصحيح، وهو الدين الإسلامي المنزل من الله ﷻ على جميع الأنبياء والمرسلين منذ آدم إلى خاتمهم محمد ﷺ قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾[2].

وفي الصحيحين: **"الأنبياء أخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد"**[3].

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٩).

(٢) سورة الشورى الآية (١٣).

(٣) جزء من حديث رواه الإمام البخاري في كتاب/ الأنبياء ٦/٥٥٠، ٥٥١ (٣٤٤٣)، انظر صحيح البخاري شرح فتح الباري، ورواه الإمام مسلم في كتاب/ الفضائل ٤/ ١٨٣٧ (١٤٥ – ٢٣٦٥).
والأخوة لعلتهم: (الذين يكون أبوهم واحد وأمهاتهم مختلفة ويسمون ببني العلات: أي الضرات) انظر أحكام الميراث والوصية في الشريعة الإسلامية، د/ نصر فريد واصل، ود/ جوده عبد الغني بسيون ط/ الأخوة الأشقاء سنة ١٩٩٧م.

فكلمة الدين هنا بالمعنى الخاص الذي ينطبق على الدين الصحيح فقط، والمقصود به الإسلام قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[1].

ولقد أخبر القرآن الكريم أن جميع الأنبياء والمرسلين جاءوا بالإسلام، فكان الإسلام هو الدين الذي ابتغاه نوح عليه السلام وأمر به، قال تعالى حكاية عنه: ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾[2].

والإسلام هو دين أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام وذريته من الأنبياء، فلقد كان الثبات على الإسلام وصية إبراهيم عليه السلام لبنيه، وكان آخر وصية ليعقوب عليه السلام وهو على فراش الموت، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[3].

يقول الحافظ بن كثير: (أي وصى بهذه الملة وهي الإسلام لله، أو يعود الضمير على الكلمة وهي قوله: ﴿ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ لحرصهم عليها ومحبتهم لها، حافظوا عليها إلى حين الوفاة ووصوا أبناءهم بها من بعدهم، كقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ ﴾)[4].

---

(١) سورة آل عمران الآية (٨٥).

(٢) سورة يونس الآية (٧٢).

(٣) سورة البقرة الآيات (١٣٠ -١٣٢).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/١٨٦، ط/ دار المنار / بدون تاريخ، والآية من سورة الزخرف (٢٨).

ويصور القرآن الكريم ذلك المشهد المؤثر ليعقوب عليه السلام وهو على فراش الموت وحوله بنوه، فيسألهم عما يعبدون من بعده، قال تعالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾[1].

يقول الأستاذ/ سيد قطب -رحمه الله-: (إن هذا المشهد بين يعقوب وبنيه في لحظة الموت والاحتضار لمشهد عظيم الدلالة، قوى الإيحاء، عميق التأثير.. ميت يحتضر فما هي القضية التي تشغل باله في ساعة الاحتضار؟ ما هو الشاغل الذي يعنى خاطره وهو في سكرات الموت؟ ما هو الأمر الجلل الذي يريد أن يطمئن عليه ويستوثق منه؟ ما هي التركة التي يريد أن يخلفها لأبنائه ويحرص على سلامة وصولها إليهم فيسلمها لهم في محضر يسجل فيه كل التفصيلات؟ إنها العقيدة.. هي التركة وهي الذخر، وهي القضية الكبرى، وهي الشغل الشاغل، وهي الأمر الجلل، الذي لا تشغل عنه سكرات الموت وصراعاته)[2].

وإذا كان يعقوب عليه السلام من ولد إسحاق وقد جاء أنبياء بنى إسرائيل جميعا من ذريته، فإن إسماعيل عليه السلام ولد إبراهيم البكر لم يأت من عقبه إلا نبي واحد هو محمد ﷺ وحكى لنا القرآن الكريم دعوة نورانية ترددت في أجواز الفضاء حول البيت العتيق، وهو يرفع قواعده، تضرع فيها الخليل وولده الذبيح إلى الله عز وجل أن يجعلهما مسلمين وأن يكون من عقبهما جماعة من الناس يرتضون الإسلام، وأن يبعث الله فيهم رسولا يعلى صرح دين

(١) سورة البقرة الآية (١٣٣).

(٢) في ظلال القرآن أ/ سيد قطب ١/١١٦ ط/ دار الشروق الثالثة عشرة سنة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

الأنبياء جميعا، يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ (١).

يقول الحافظ ابن كثير-رحمه الله-: (الإسلام هو ملة الأنبياء قاطبة، وعنه تنوعت شرائعهم، واختلفت مناهجهم، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ (٢) والآيات في هذا كثيرة والأحاديث)(٣).

ويقول الأستاذ/ سيد قطب: (الله ﷻ يدعو المسلمين لإعلان الوحدة الكبرى للدين، من لدن إبراهيم أبى الأنبياء إلى عيسى بن مريم، إلى الإسلام الأخير، ودعوة أهل الكتاب إلى الإيمان بهذا الدين الواحد: ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ (٤)

تلك الوحدة الكبرى بين الرسالات جميعا، وبين الرسل جميعا، هي قاعدة التصور الإسلامي، وهي التي تجعل من الأمة المسلمة الأمة الوارثة لتراث العقيدة القائمة على دين الله في الأرض، والموصولة بهذا الأصل العريق، السائرة في الدرب على هدى ونور)(٥).

---

(١) سورة البقرة الآيات (١٢٧-١٢٩).

(٢) سورة الأنبياء آية (٢٥).

(٣) تفسير القرآن العظيم ١/١٨٧.

(٤) سورة البقرة الآية (١٢٦).

(٥) في ظلال القرآن ١/١١٧-١١٨.

ولقد قال تعالى في حق خاتم النبيين سيدنا محمد ﷺ ليعلن لأمته وللناس جميعا أنه أول المسلمين: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[1].

وهكذا يتضح أن الأنبياء والرسل جميعا قد أقروا بأنهم على دين الإسلام، ونطقوا بهذه التسمية الصريحة الموحدة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾[2].

والخلاصة أن الإسلام هو ما أنزله الله ﷻ على جميع الأنبياء والمرسلين -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- من لدن آدم عليه السلام حتى خاتم النبيين محمد ﷺ.

❁❁❁

(١) سورة الأنعام الآيتان (١٦٢-١٦٣).

(٢) سورة آل عمران الآية (١٩).

مدخل

التعريف بمصادر اليهودية

تمهيد

لكل دعوة من الدعوات مصادر تستقى منها عقائدها، وعباداتها، وشرائعها، وقوانينها، وأخلاقها، وآدابها، والكتب المقدسة تمثل هذه المصادر التي تعتمد عليها الدعوات، وهي تعد بمثابة القطب والعماد والركائز التي يقوم عليها الدين، فإذا أردنا دراسة اليهودية والنصرانية كان لابد أن نستقى معلوماتنا عنها من الكتب المقدسة عندهم، وكذا الدعوة الإسلامية.

المصادر التي يلتزم اليهود بتقديسها ويستمدون منها عقائدهم وشرائعهم وأخلاقهم هي:-

أ- العهد القديم (التوراة الكتابية)[1].

ب- التلمود (التوراة الشفوية).

❁❁❁

(١) التوراة: كلمة مستعربة أصلها العبري تورا بمعنى القانون والتعليم والشريعة، وتطلق التوراة ويراد بها الأسفار الخمسة التي نزلت على موسى عليه السلام وهذا إطلاق حقيقي، وتطلق مجازا علي العهد القديم المشتمل على أسفار موسى الخمسة وعلى كتب الأنبياء التي ألحقت بالتوراة خلال تسعة قرون، انظر اليهودية د/ أحمد شلبي صـ٢٣٨.

المطلب الأول: العهد القديم (التوراة الكتابية)

كلمة العهد تعنى: الميثاق، والعهد القـديم: الميثاق الذي أخذه الله على الناس وارتبطوا به معه من عهد موسى عليه السلام.

ويرى بعض العلماء أن العهد القديم هو: عهد الرب الذي تكرر لإبراهيم ثم لإسحاق ثم يعقوب ثم تكرر على لسان موسى والأنبياء من بعده(١).

واعتمد اليهود في العهد القديم على تسعة وثلاثين سـفرا، أطلـق عليهـا في (العصـور المسيحية) اسم العهد القديم، وهذه التسمية للمقابلة بينها وبين ما اعتمده المسيحيون مـن أسفارهم، التي أطلقوا عليها اسم العهد الجديد، جاء في إنجيل متى: (لأَنَّ هـذَا هُـوَ دَمِـي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِغُفْرَةِ الْخَطَايَا)(٢) وجـاء في سـفر أرميـا: (هَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأَقْطَعُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُـوذَا عَهْـدًا جَدِيـدًا. لَـيْسَ كَالْعَهْدِ الَّذِي قَطَعْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ يَوْمَ أَمْسَكْتُهُمْ بِيَـدِهِمْ لأُخْـرِجَهُمْ مِـنْ أَرْضِ مِصْرَ، حِـينَ نَقَضُوا عَهْدِي فَرَفَضْتُهُمْ)(٣).

ويعد العهد القديم أهـم مصـادر الـدعوة عنـد اليهـود، بـل وعنـد النصـارى أيضـا، فالنصارى يعتبرون أن شريعة عيسـى عليه السلام تابعـة لشـريعة موسـى عليه السلام ولم يـأت نـص في الأناجيل ينص على نسخ أحكام التوراة أو بعضها، فالمسيح لم يأت ليبطل النـاموس وإنـما جاء ليكمله، جاء في إنجيل متى: (لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْـتُ لأَنْقُـضَ النَّـامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَـاءَ. مَـا

(١) المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم د/ محمد على البار صـ١٥٩ دار القلم دمشق ط/الأولى سنة ١٤٠١هـ-١٩٩٠م، وانظر سفر التكوين ٩ (١٧:٨)،١٣ (١٧:١٤)،١٧ (١٤:٩).

(٢) إنجيل متى ٢٦ (٢٨).

(٣) سفر أرميا ٣١ (٣١-٣٢).

جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ. فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ)[١].

يقول الشيخ رحمة الله الهندي: (اعلم أنهم يقسمون الكتب إلى قسمين: قسم منها يدعون أنه وصل إليهم بواسطة الأنبياء الذين كانوا قبل عيسى عليه السلام وقسم منها يدعون أنه كتب بإلهام بعد عيسى عليه السلام فمجموع الكتب من القسم الأول يسمى بالعهد العتيق، ومن القسم الثاني يسمى بالعهد الجديد، ومجموع العهدين يسمى (بيبل) وهذا لفظ يوناني بمعنى الكتاب، ثم ينقسم كل من العهدين إلى قسمين، قسم اتفق على صحته جمهور القدماء من المسيحيين، وقسم اختلفوا فيه)[٢].

فاليهود -على اختلاف بين فرقهم- يؤمنون بأسفار العهد القديم، ويزعمون أن هذه الأسفار قد وصلت إليهم بواسطة أنبيائهم الذين بعثوا إليهم قبل عيسى ابن مريم عليه السلام فهي عندهم وحى وتنزيل، يستمدون منها عقيدتهم، وشريعتهم، ونظمهم، وأخلاقهم، ويستندون إليها في معرفة تاريخهم وأيامهم)[٣].

والعهد القديم يتكون من (التوراة) أي الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام ثم باقي الأسفار المعروفة بكتب الأنبياء[٤].

---

(١) إنجيل متى٥ (١٧-١٨).

(٢) إظهار الحق، رحمة الله الهندي صـ٩٨/١ تحقيق د/محمد ملكاوي.

(٣) انظر في مقارنة الأديان بحوث ودراسات د/محمد عبد الله الشرقاوي صـ ١٣ دار الهداية ط/ الأولى ١٤٠٩ هـ/١٩٨٦م.

(٤) انظر الكتاب المقدس ط/ الكتاب المقدس بالشرق الأوسط، فهرس أسفار العهد القديم.

وهذه الأسفار لا تتساوى في الطول، وتختلف في النوع، وكتبت على مدى يربو على تسعة قرون، وبلغات مختلفة[١].

ويمكن تقسيم أسفار العهد القديم إلى أربعة[٢] أقسام رئيسة وهي:-

أولا: كتب موسى أو (الأسفار الخمسة). ثانيا: الأسفار التاريخية.

ثالثا: أسفار الأناشيد أو (الأسفار الشعرية) رابعا: أسفار الأنبياء.

القسم الأول: كتب موسى أو الأسفار الخمسة و تتكون من:

١ – سفر التكوين. ٢ – سفر الخروج. ٣–سفر اللاويين.

٤ – سفر العدد. ٥ – سفر التثنية.

ويمكن تلخيص محتويات الأسفار الخمسة فيما يأتي:

١ – **سفر التكوين**: ويتكون من (خمسين إصحاحا) وهو يعرض قصة خلق السماوات والأرض، وقصة خلق الكون وتكوينه، ومن ثم سمي سفر التكوين، ويحكى قصة آدم وحواء ووقوعهما في الخطيئة ونزولهما إلى الأرض، وقصة نوح والطوفان ونسل سام بن

(١) انظر دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف العلمية الحديثة، لموريس بوكاي صـ٢٣ ط/دار المعارف.

(٢) يقسم علماء دائرة المعارف البريطانية أسفار العهد القديم إلى ثلاث مجموعات فحسب، وذلك طبقا للتقاليد اليهودية وهذه الأقسام كما يأتي:-

١– التوراة ويطلق عليها الشريعة أو القانون.

٢–أسفار الأنبياء وهى تضم بعض الأسفار التاريخية.

٣– المكتوبات وهي تسجل التقاليد والوقائع التاريخية وقصة تفلتهم من الشريعة. انظر في مقارنة الأديان، بحوث ودراسات، د/محمد عبد الله الشرقاوي صـ١٥ دار الهداية ط/ الأولى ١٤٠٩هـ– ١٩٨٦م. نقلا عن دائرة المعارف البريطانية ٣/٥٧١.

نوح الذي انحدر منه شعب إسرائيل، ويتحدث عن قصة إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، ويذكر قصة استقرار الأسباط أولاد يعقوب في أرض مصر.

٢- **سفر الخروج**: ويتكون من (أربعين إصحاحا) ويتعرض هذا السفر إلى تاريخ بنى إسرائيل في مصر، كما يعرض قصة موسى ودعوته فرعون، وخروجه مع بنى إسرائيل من أرض مصر إلى سيناء، ومن ثم سمي هذا السفر سفر الخروج، ويتحدث عن تاريخ بنى إسرائيل في المرحلة التي قضوها في صحراء سيناء، والتي استغرقت أربعين عاما، كما ذكر القرآن الكريم[1] وهو إلى جانب ما سبق يتحدث عن جوانب من أحكام الشريعة اليهودية في العبادات، والمعاملات، والعقوبات، ويوجد في هذا السفر الوصايا العشر التي أعطاها الله لموسى عليه السلام.

٣- **سفر اللاويين**: ويتكون من (سبعة وعشرين إصحاحا) واللاويون: هم نسل لاوي أحد أبناء يعقوب، ومنهم موسى وهارون، وكانوا سدنة الهيكل والمشرفين على شئون المذبح، والأضحية والقرابين، وهم القوامون على أمور الشريعة اليهودية، ومن ثم ينسب إليهم هذا السفر ويشتمل معظم هذا السفر علي شئون العبادات، وخاصة ما يتعلق منها بالأضحية والقرابين، والمحرمات من الحيوانات والطيور.

٤- **سفر العدد**: ويتكون من (ستة وثلاثين إصحاحا)، وسمي بهذا الاسم لأن أغلبه يحتوى على إحصائيات عن قبائل بنى إسرائيل، وجيوشهم، وأموالهم، وكل ما يمكن إحصاؤه من شئونهم قبل وبعد خروجهم من مصر، وكذلك في سيناء وغيرها، كما أنه اشتمل على طائفة من الأحكام المتعلقة بالعبادات والمعاملات.

---

(١) انظر سورة المائدة الآيات (٢٠-٢٦).

٥- سفر التثنية: وعدد إصحاحاته (أربعة وثلاثون إصحاحا) وسمي بهذا الاسم لأنه يعيد ذكر التعاليم التي تلقاها موسى من ربه وأمر بتبليغها، وشغل معظمه بأحكام الشريعة اليهودية الخاصة بالحرب، والسياسة، وشئون الاقتصاد، والمعاملات، والعقوبات، والعبادات(١).

القسم الثاني: ويسمى (بالأسفار التاريخية) وهي (اثنا عشر سفرا): وهذه الأسفار تتحدث عن تاريخ بنى إسرائيل بعد استيلائهم على بلاد الكنعانيين، وبعد استقرارهم في فلسطين، وتتحدث بالتفصيل عن تاريخ قضاتهم، وملوكهم، وأيامهم، والحوادث البارزة في شئونهم، وهذه الأسفار هي:

(٦) يوشع وعدد إصحاحاته أربعة.

(٧) القضاة وعدد إصحاحاته واحد وعشرون.

(٨) راعوث وعدد إصحاحاته أربعة.

(٩) صموئيل الأول وعدد إصحاحاته واحد وعشرون.

(١٠) صموئيل الثاني وعدد إصحاحاته أربعة وعشرون.

(١١) الملوك الأول وعدد إصحاحاته اثنان وعشرون.

(١٢) الملوك الثاني وعدد إصحاحاته خمسة وعشرون.

(١٣) أخبار الأيام الأولى وعدد إصحاحاته تسعة وعشرون.

(١٤) أخبار الأيام الثاني وعدد إصحاحاته ستة وثلاثون.

---

(١) انظر الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د/ على عبد الواحد وافي، صـ ١٣،١٤.دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة، سـ١٩٨٤م، وانظر اليهودية د/ أحمد شلبي صـ٢٤١ وما بعدها، ط/ مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ط/ الخامسة ١٩٧٨م.

(١٥) عزرا وعدد إصحاحاته عشرون.

(١٦) نحميا وعدد إصحاحاته ثلاثة عشر.

(١٧) أستير وعدد إصحاحاته عشر.

القسم الثالث: ويسمى (أسفار الأناشيد أو الأسفار الشعرية):

وهذه الأسفار عبارة عن أناشيد ومواعظ، معظمها ديني، ومؤلفة تأليفا شعريا وعددها (خمسة أسفار) وهي:

(١٨) سفر أيوب وعدد إصحاحاته اثنان وأربعون.

(١٩) مزامير داود وعدد إصحاحاته مائة وخمسون.

(٢٠) أمثال سليمان وعدد إصحاحاته واحد وثلاثون.

(٢١) والأسفار الجامعة من كلام سليمان وعدد إصحاحاته اثني عشر.

(٢٢) ونشيد الإنشاد لسليمان وعدد إصحاحاته ثمانية.

القسم الرابع: ويسمى (أسفار الأنبياء) وعددها (سبعة عشر سفرا).

وهذه الأسفار كثيرا ما يقسمها اليهود إلى أنبياء كبار وهي خمسة أسفار، وأنبياء صغار وهي اثنا عشر سفرا، وهي تتحدث عن وصايا مختلف الأنبياء، وهذه الأسفار هي:

(٢٣) أشعياء وعدد إصحاحاته ستة وستون.

(٢٤) أرمياء وعدد إصحاحاته اثنان وخمسون.

(٢٥) مراثي أرمياء وعدد إصحاحاته خمسة.

(٢٦) حزقيال وعدد إصحاحاته ثمانية وأربعون.

(٢٧) دانيال وعدد إصحاحاته اثنا عشر.

(٢٨) هوشع وعدد إصحاحاته أربعة عشر.

(٢٩) يوئيل وعدد إصحاحاته ثلاثة. (٣٠) عاموس وعدد إصحاحاته تسعة.

(٣١) يونان وعدد إصحاحاته اثنان. (٣٢) ميخا وعدد إصحاحاته سبعة.

(٣٣) عوبديا وعدد إصحاحاته واحد. (٣٤) ناحوم وعدد إصحاحاته ثلاثة.

(٣٥) حبقوق وعدد إصحاحاته ثلاثة. (٣٦) صفنيا وعدد إصحاحاته ثلاثة.

(٣٧) حجى وعدد إصحاحاته اثنان. (٣٨) زكريا وإصحاحاته أربعة عشر.

(٣٩) ملاخى وعدد إصحاحاته أربعة.

وجملة عدد أسفار العهد القديم تسعة وثلاثون سفرا، وجملة إصحاحاته (٩٢٩) إصحاحا، وهذه الأسفار التسعة والثلاثون تشكل ما يسمى بالعهد القديم طبقا للأصل العبراني وهي التي ارتضاها جمهور البروتستانت من النصارى.[١]

والسامريون لا يسلمون منها إلا بسبعة كتب: الكتب الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام وكتاب يشوع بن نون وكتاب القضاة، وتخالف نسخة توراتهم توراة اليهود[٢].

(١) انظر فهرس أسفار العهد القديم من الكتاب المقدس صـ٢ ط/ الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.

(٢) إظهار الحق، الشيخ رحمة الله الهندي صـ١/ ١٠١-١٠٢ تحقيق د/ محمد ملكاوي. وانظر الاسلام في مواجهة الاستشراق العالمي د/عبدالعظيم المطعني صـ٨٨ ط/دار الوفاء، الأولى سنة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

الأسفار الخفية عند اليهود:

هناك مجموعة أسفار يهودية أخرى تسمى (الأسفار الخفية) بعضها زادت به الترجمة اليونانية السبعينية عن الأصل العبري - وأقر بها من بعد الكاثوليك وأقر ببعضها الأرثوذكس.

والأسفار التي زادت بها الترجمة السبعينية عن الأصل العبري هي:

(١) سفر طوبيا. (٢) سفر الحكمة. (٣) سفر المكابين الأول.

(٤) سفر المكابين الثاني. (٥)سفر المكابين الثالث. (٦) سفر المكابين الرابع.

(٧) سفر يهودت. (٨) سفر الكهنوت. (٩) سفر نشيد الأطفال.

(١٠) سفر سوزان. (١١) سفر بل والتنين.

(١٢) ثلاثة أسفار منسوبة إلى عزرا. (١٣) بعض الزيادات في سفر دانيال[١].

وقد جاء في قاموس الكتاب المقدس عن هذه الأسفار الخفية ما يأتي: (يوجد في الترجمة السبعينية أسفار لم تجمع ضمن أسفار العهد القديم العبرية وهذه الأسفار تعرف بالأبوكريفا (والأبوكريفا) كلمة يونانية معناها (مخفي أو مخبأ أو سرى)[٢].

وهذه الأسفار الخفية لم يدخلها اليهود في أسفار العهد القديم، لأنها موضع خلاف عندهم من حيث قداستها، وقد رأى أحبارهم وجوب إخفائها، وقرروا أنه لا يجوز لأحد من الجمهور أن يطلع عليها، ولعل هذا هو ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى:

---

(١) انظر في مقارنة الأديان بحوث ودراسات د/ محمد عبد الله الشرقاوي صـ١٤.

(٢) قاموس الكتاب المقدس مجموعة من علماء اللاهوت صـ٤٦٨ ط/ دار الثقافة القاهرة ط/ العاشرة سنة ١٩٩٥م. وانظر اليهودية د/ أحمد شلبي صـ٢٥٣وما بعدها.

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ ﴾[١].

نسخ العهد القديم:

النسخ المشهورة للعهد القديم عند أهل الكتاب ثلاث نسخ:

النسخة الأولى العبرانية: وهي النسخة المعتبرة عند اليهود وجمهور علماء البروتستانت.

النسخة الثانية اليونانية: وهي التي كانت معتبرة عند المسيحيين إلى القرن الخامس عشر، وكانوا يعتقدون إلى هذه المدة تحريف النسخة العبرانية، وهي إلى هذا الزمان معتبرة عند الكنيسة اليونانية وكنائس الشرق.

النسخة الثالثة السامرية: وهي المعتبرة عند السامريين، والتوراة العبرانية والسامرية تشتمل كل منهما على (٣٩) سفرا أما اليونانية فتشتمل على ٤٦ سفرا[٢].

تاريخ أسفار العهد القديم:

يقول د/ على عبد الواحد وافي عن تاريخ كتابة أسفار العهد القديم ومدى بعدها عن عصر موسى عليه السلام: (وعصر موسى يقع على الأرجح في حوالي القرن الرابع عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد، وأن معظم سفري التكوين والخروج قد ألف حوالي القرن التاسع قبل الميلاد، وسفر التثنية قد ألف أواخر القرن السابع قبل الميلاد، وأن سفر العدد واللاويين قد ألف في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد، أي بعد النفي البابلي سنة ٥٨٧ قبل الميلاد)[٣].

---

(١) سورة المائدة الآية (١٥).

(٢) إظهار الحق، للشيخ رحمة الله الهندي صـ٢٠٥ ط/ دار التراث العربي تحقيق د/ أحمد حجازي السقا.

(٣) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام د/ على عبد الواحد وافي صـ١٧.

وعن تاريخ باقي أسفار العهد القديم يذكر د/ على عبد الواحد رأى الباحثين في ذلك فيقول: (ويرجح الباحثون أيضا أن قسما من الأسفار الأخرى للعهد القديم قد ألفت في الفترة الواقعة بين النصف الأخير من القرن التاسع وأوائل السادس قبل الميلاد، ويشمل القسم أسفار يوشع والقضاة وصموئيل والملوك والأمثال ونشيد الإنشاد ومعظم أسفار الأنبياء، وأن قسما آخر منها ألف في الفترة الواقعة بين أوائل القرن السادس وأواخر القرن الرابع قبل الميلاد، ويشمل هذا القسم أسفار يونس وزكريا وقسما من سفر دانيال)[١].

ومما سبق يتبين أن جميع أسفار العهد القديم كتبت على فترات متباعدة، وبأيدي مختلفة من علماء اليهود وباحثيهم، وأن كتابتها بعيدة تماما عن عصر موسى عليه السلام الذي عاش ومات فيه.

اللغة التي كتب بها العهد القديم:

جاء في قاموس الكتاب المقدس: (كتب أكثر العهد القديم بالعبرانية، وهي لغة سامية تشبه العربية بوجوه كثيرة، وقد وجد في العهد القديم بعض فصول بالآرامية وهي لغة شبيهة بالعبرانية)[٢].

ويفصل د/ على عبد الواحد وافي ما جاء في قاموس الكتاب المقدس فيقول: (يذكر علماء اللغات أن جميع أسفار العهد القديم دونت بلغة واحدة و هي اللغة العبرية، ويستثنى من ذلك بعض الفقرات ألفت باللغة الآرامية، و هي بعض أجزاء من سفري

(١) المصدر السابق صـ١٨.

(٢) قاموس الكتاب المقدس، صـ ٧٦٣.

عزرا ودانيال وفقرة واحدة من سفر أرمياء، وكلمتان اثنتان في سفر التكوين وردتا باللغة الآرامية عن قصد)[١].

❁❁❁

المطلب الثاني: المصدر الثاني للدعوة اليهودية (التلمود).

ليس العهد القديم وحده هو المصدر الوحيد للدعوة عند اليهود، بل يضاف إليه مصدر آخر يلتزم اليهود بتقديسه، وهو لا يقل أهمية عن العهد القديم عندهم، بل يزيد عليه وهو التلمود.

التلمود: (اسم عبري معناه تعليم)[٢] ومعناه في الاصطلاح (مجموعة التعاليم والشرائع والأحكام الشفوية الشارحة للتوراة والمبينة لغامضها)[٣].

وكلمة التلمود: (هي كلمة مستخرجة من كلمة لامور التي تعنى تعاليم، وتطلق اليوم على الكتاب الذي يحتوى على التعاليم اليهودية، أي الكتاب العقدي الذي وحده يفسر ويبسط كل معارف الشعب اليهودي وتعاليمه)[٤] وقد استخدمت الكلمة في العصور

(١) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام د/ على عبد الواحد وافي صـ١٩. وانظر قصة الأديان د/ رفقي زاهر صـ٤٨، ط/ مكتبة النهضة المصرية، ط/ الأولى سنة ١٩٨٠م.

(٢) قاموس الكتاب المقدس صـ٢٢٢.

(٣) انظر الأسفار المقدسة للديانات السابقة على الإسلام د/ علي عبدالواحد وافي صـ٢٤ والكنز المرصود في فضائح التلمود د/ محمد عبد الله الشرقاوي صـ١٢ مكتبة الوعي الإسلامي، وفي العقائد والأديان د/ محمد جاد عبد العال صـ٢١٨ ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧١م.

(٤) فضح التلمود تعاليم الحاخامين السرية –الأب آي. بي. براناتيس إعداد /زهدي الفاتح صـ٢١، دار النفائس بيروت، ط الثالثة سنة ١٤٠٥هـ –١٩٨٥م.

القديمة للدلالة على مناظرات (المورايم) أما الآن فتعنى (المشناة) وما دار حولها من مناقشات وتفاسير[١].

وعلى هذا فاليهود يعتبرون التلمود كتابا مقدسا أوحى الله به إلى موسى بطريقة شفوية ثم ظل ينتقل بنفس الطريقة حتى جمعه حاخام يسمى يهوذا[٢].

ويعد التلمود من أندر الكتب في عالمنا المعاصر، وهو موسوعة ضخمة لا غنى عنها في دراسة اليهودية، فهو يعد وثيقة من أهم الوثائق في التراث اليهودي.

ويعتبر التلمود المرجع الذي يرجع إليه اليهود في كل ما يتعلق بناموسهم، فلا يستطيع أحد أن يصدر حكما حاسما في أي موضوع من غير أن يرجع إلى التلمود، ولا يكون قراره صوابا إذا ما خالف تعاليم التلمود[٣].

ولم يرد ذكر التلمود في القرآن الكريم؛ لأن القرآن لا يتحدث إلا عن الكتب الإلهية المنزلة أما هو فكتاب من وضع البشر، كتب بأيدي أحبار اليهود وفقهائهم.

أقسام التلمود:

ينقسم التلمود إلى قسمين:

(أ) المشناة (ب) الجمارا

وتنقسم المشناة إلى ستة أقسام أو أجزاء رئيسية تدل أسماؤها على محتوياتها الأساسية وهي: (زراعيم) وتعنى الزراعة – (ومواعيد) وتعنى الأعياد، (وناشيم) وتعنى النساء

(١) دائرة المعارف الكتابية مجموعة من علماء اللاهوت ٣٩٦/٢ صدر عن دار الثقافة، ط/ دار نوبار للطباعة شبرا القاهرة سنة ١٩٨٨م.

(٢) انظر المخططات التلمودية اليهودية والصهيونية أ/ أنور الجندي صـ١١ ط/ دار الاعتصام سنة ١٩٧٧م.

(٣) دائرة المعارف الكتابية ٣٩٧/٢.

(ونزيكين) وتعنى القانون المدني والجنائي (وفوداشيم) وتعنى الذبائح، (وطهاروت) وتعنى الأشياء النجسة وتطهيرها.

وتنقسم الأقسام الستة إلى أبواب، وهي حاليا ثلاثة وستون بابا، ثم تنقسم الأبواب إلى فصول والفصول إلى فقرات[١].

وتبلغ أسفار التلمود ٦٣ سفرا وبه ٦١٣ وصية، وأطلق عليها اسم (المشناة) بمعنى المكرر أي أنها تكرار وتسجيل للشريعة، لأن شريعة موسى المعروفة في الكتب الخمسة وردت مكررة في هذه المشناة، ثم شرحت هذه المشناة فيما بعد وأطلق على هذه الشروح اسم (الجمارا) ومعناها الاستكمال، فهي عبارة عما أضيف إلى هذه الشريعة (المشناة) فيما بعد بقصد استكمالها، وتكون منهما ما يطلق عليه التلمود بمعنى التعاليم، وكان ذلك في الفترة من القرن الثاني إلى أواخر القرن السادس بعد الميلاد[٢].

أما الجمارا فحين استعصت المشناة على بعض القراء، أخذ علماء اليهود يكتبون عليها حواشي كثيرة وشروحا مسهبة، وسميت هذه الحواشي وتلك الشروح باسم(الجمارا)[٣]

وجاء في قاموس الكتاب المقدس الجمارا: (التعليم وهي مجموع المناظرات والتعاليم والتفاسير المسطرة مع المشناة)[٤] والتفاسير المسطرة مع المشناة نوعان: (يعرف أولهما

(١) دائرة المعارف الكتابية ٣٩٧/٢.

(٢) انظر الأسفار المقدسة ص٢٢-٢٣ بتصرف، والتلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان صـ١١، دار النفائس بيروت- ط/ الثانية.

(٣) اليهودية د/ أحمد شلبي صـ٢٧٣-٢٧٤.

(٤) قاموس الكتاب المقدس صـ٢٢٢.

بتلمود أورشليم وقد كتب بين القرنين الثالث والخامس، والذين كتبوه هم حاخاموا طبرية، ويعرف الثاني بتلمود بابل وقد كتب في القرن الخامس)[١].

نشأة التلمود:

يرى بعض الباحثين أن هناك سببين رئيسيين وراء نشأة وظهور التلمود وهما:-

١- طبيعة اليهود المنحرفة التي تأبى أن تدين لشرع الله أو تستقيم على طريقة، فبعد وفاة موسى عليه السلام كانت التوراة واضحة المعالم تأخذهم بالشدة والحزم إلى طريق الله، فتناولوها بالتحريف والتبديل، ولكن هذا لم يكفهم ولم يسعفهم إلى كل ما في أهوائهم فتفتقت أذهان رجال الدين اليهودي عن فكرة يصلون بها إلى غرضهم، هذه الفكرة تقول: إن موسى عليه السلام لم يترك توراة واحدة، وإنما ترك اثنتين أو ترك شريعتين، إحداهما مكتوبة، والأخرى شفوية غير مدونة.

٢- حياتهم المتنقلة ومعيشتهم الغير مستقرة، فلقد نشأ التلمود أساسا لحل المشكلات اليهودية المتجددة، وحياتهم لم تكن مستقرة على حالة واحدة، بل كانت خاضعة للأسر والحرب والقتل والهجرة والترحال، وكانت تقابلهم أحداث جسام وأمور عظام لم يجدوا لها حلولا في التوراة، ومن هنا كان لابد من توراة جديدة يصوغونها، ويضعون فيها آراءهم وأهواءهم ويسجل فيها علماؤهم الحلول المناسبة لمشكلاتهم وأسلوب حياتهم[٢].

---

(١) قاموس الكتاب المقدس صـ٢٢٢، وانظر تفاصيل ذلك في "الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومناهجه" د/حسن ظاظا صـ٩٥ وما بعدها /ط معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧١م.

(٢) انظر دراسات في اليهودية د/ محمود محمد مزروعة صـ٢١٢-٢١٣ باختصار، دار الطباعة المحمدية، ط أولى سـ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م.

فبسبب هذه الطبيعة المتنقلة، وضع علماء اليهود تعاليم التلمود وادعوا أنها تعاليم شفوية موروثة عن السابقين.

وعن سبب تأليف اليهود للجمارا يقول زكى شنودة: (حينما كثرت التقاليد واتسع نطاق الشروح المتشعبة للشريعة اليهودية، وتضاربت الأحكام الصادرة من المجامع في الشئون المختلفة فجمع بعض علماء اليهود هذه التقاليد بالشروح والأحكام وقاموا بتدوينها فكانت تلك هي (الجمارا) وقد ظلت صفحاتها تزداد مع الزمن حتى بلغت نحو عشرين مجلدا ضخما وقد احتشد فيها عدد هائل من الفتاوى المتناقضة والتفسيرات المتعارضة، والشروح التي تنطوي على كل صور المغالطة، بل وتزييف الحقائق وتحليل الحرام، وتحريم الحلال)[1].

مكانة التلمود عند اليهود:

يعتقد اليهود أن التلمود كتاب منزل كالتوراة، إلا أن التوراة نزلت مكتوبة، بينما التلمود جاء مشافهة، بل إنهم يرفعون التلمود فوق التوراة بدرجة كبيرة فهم يمنحونه قدرا كبيرا من القداسة يفوق قدر التوراة.

ومما يدل على ذلك ما جاء في التلمود من تعاليم، فقد جاء فيه: (إن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله، وأنه قد وقع يوما الاختلاف بين الله وبين علماء اليهود في مسألة ما، وبعد أن طال الجدل تقرر إحالة المشكلة إلى أحد الحاخامات وأخيرا اضطر الله أن يعترف بخطئه بعد أن حكم الحاخام المذكور)[2].

---

(١) المجتمع اليهودي زكى شنودة صـ٢٩٧.

(٢) انظر الكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمة يوسف نصر الله صـ ٣٢، ط/ دار القلم دمشق ط/ الأولى سنة ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

واليهود بذلك يجعلون كلام البشر- أرقى من كلام الله، وأن حاخامات اليهود معصومون من الخطأ وكلامهم أرفع من كلام الأنبياء.

ومن نصوص التلمود في ذلك: (إن من احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت، أما من يحتقر التوراة فإنه لا ينال عقابا، ولا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود واشتغل بالتوراة فقط، لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء في شريعة موسى)[١].

(إن من درس التوراة فعل فضيلة لا يستحق المكافأة عليها ومن درس المشناة فعل فضيلة استحق أن يكافأ عليها، ومن درس الجمارا فعل أعظم فضيلة)[٢].

(وإذا خالف أحد اليهود أقوال الحاخامات يعاقب أشد العقاب؛ لأن الذي يخالف شريعة موسى خطيئة قد تغفر، أما من يخالف التلمود فيعاقب بالقتل)[٣].

محتويات التلمود:

لقد صاغ اليهود ما تعرضوا له من متاعب وآلام وتشريد في صورة مكتوبة تتمثل في أسفار التلمود؛ لذلك فهم يصورون فيه حلم الاستقرار، وبناء الوطن، والانتقام من كل بنى الإنسانية، واستعبادهم، فالكون مخلوق من أجل اليهود، والبشر كلهم خدم وعبيد لهم، والله لهم وحدهم دون غيرهم من الناس.

ويتحدث اليهود عن الله ﷻ في التلمود بأوصاف لا تليق بجلاله، بل ويعف لسان الإنسان عن النطق بها، فأسفار التلمود تظهر إله إسرائيل متصفا بكثير من صفات الحوادث والنقائص، فتقرر بعض أسفاره: (أن الله يقضى- الساعات الثلاث الأولى من

(١) من التلمود، صـ١٩.

(٢) الكنز المرصود في قواعد التلمود صـ٤٤ مصدر سابق.

(٣) الكنز المرصود في قواعد التلمود، صـ ٨٧.

النهار في مذاكرة الشريعة، والساعات الثلاث الثانية في تدبير شئون الحكم بين الناس، والساعات الثلاث الثالثة في تدبير شئون العيش للخلق، وأما الساعات الثلاث الأخيرة من النهار فيقضيها في اللعب مع الحوت ملك الأسماك، أما ساعات الليل فيقضيها في مذاكرة التلمود مع الملائكة، ومع ملك الشياطين الذي يصعد إلى السماء كل ليلة ثم يهبط منها إلى الأرض بعد انتهاء هذه الندوة العلمية، وقد يتغير هذا النظام بعد أن قدّر الله هدم الهيكل وتشريد بنى إسرائيل، فقد اعترف الإله بخطئه في هذا الصدد، وندم على ما فعله، وخصص ثلاث أرباع الليل للبكاء والندم)[1].

ومن بين محتوياته نصوص تدل على: أن العصمة ليست من صفات الله، وأن الله مصدر الشر كما أنه مصدر الخير، وأن أرواح اليهود جزء من الله، كما أن الابن جزء من أبيه، وأن اليهود معتبرون عند الله أكثر من الملائكة، وغير اليهود من الحيوانات، ولذلك يجوز غشهم وسرقتهم، واستعمال النفاق معهم، وأخذ الربا منهم، واستباحة نسائهم.

وفي التلمود فقرات كثيرة تبحث في مولد يسوع المسيح، وحياته وموته وتعاليمه، لكنها لا تشير إلى الاسم نفسه، بل تطلق عليه أسماء متعددة مثل "ذاك الرجل"، "ابن النجار"، "الرجل الذي شنق"، وتصفه فقرات التلمود بأنه كان ابنا غير شرعي حملت أمه به خلال فترة الحيض، وأنه مجنون، مشعوذ، مضلل، صلب ثم دفن في جهنم، فنصبه أتباعه منذ ذلك الحين وثناً لهم يعبدونه، ومن الطبيعي أن المضلل والوثني لا يستطيع تعلم شيء سوى الكذب، والهرطقة، اللتان ينبئان عن التفكير السقيم.

(١) انظر كتاب إسرائيل والتلمود، دراسة تحليلية، إبراهيم خليل أحمد، مكتبة الوعي العربي، بدون تاريخ.

وبهذه الصفات السابقة أيضا وصف التلمود أتباع المسيح، فهو يصورهم بأنهم أسوأ أنواع الناس، بل إنهم أكثر سوءا من الحيوانات القذرة، ونتيجة لذلك فإنه يجب على كل يهودي يبتغى رضا الله تجنب المسيحية، والعمل بكل ما يستطيع لإفنائهم دون رحمة، والامتناع عن إنقاذهم(١).

بهذه الأفكار الضالة، وبتلك المعتقدات الخاطئة، ملأ أحبار اليهود أسفار التلمود، وهي تفيض نقمة وقسوة وإجراما على كل إنسان لا يدين باليهودية، بل إن الأغرب من ذلك أنهم اعتبروا هذه الأسفار مصدرا هاما للعقيدة والشريعة عندهم.

والتلمود بما يحتويه من موضوعات لا يمكن أن يكون من الكتب المنزلة، لأن محتوياته منافية لجميع الأديان والشرائع، وليس من حق الحاخامات أن يزعموا أنهم رسل مكلفون بتبليغ رسالة من قبل الله، حتى يكتبوا أقوالا لا علاقة لها بالرسالات المنزلة من الله ﷻ.

❁❁❁

(١) انظر كتاب فضح التلمود، تعاليم الحاخامين السرية للآب آى بى برانتس، إعداد زهدي الفاتح، دار النفائس، ط سـ١٤٠٥هـ- ١٩٨م.

المبحث الأول

دراسة مدى تحقق خصيصة ربانية العهد القديم

تمهيد

الأصل في جميع الرسالات الإلهية أن تتفق في وحدة المصدر والهدف والغاية، فمصدرها جميعا من الله، وهدفها تنظيم شئون الناس، وغايتها تعبيد الناس لله ﷻ ليفوزوا بالعزة في الدنيا والسعادة في الآخرة.

والأنبياء أصحاب هذه الرسالات إخوة فيما بينهم، كما جاء في الحديث الذي أخرجه الشيخان البخاري ومسلم من رواية أبى هريرة أن النبي ﷺ قال: **"الأنبياء إخوة لعلات، دينهم واحد وأمهاتهم شتى"**(١).

ولا شك أن أشهر الرسالات الإلهية كان لها كتاب مقدس، مصدره من الله ﷻ منقول إلى رسول عن طريق الوحي؛ ليبلغه للناس، فيعملوا بما فيه من أحكام وتشريعات، ومن كمال إيمان المسلم أن يؤمن بهؤلاء الرسل السابقين، وتلك الكتب المنزلة عليهم.

ولا ريب أن هناك تلازماً بين ديانة كل قوم وكتابهم المقدس، فإذا ثبت صحة الكتاب، ترتب عليه صحة الدين والعقيدة، وإذا ثبت تحريف ذلك الكتاب؛ لزم من ذلك فساد الدين والعقيدة التي تقوم عليه.

ولقد وضع بعض العلماء عدة قواعد وشروط لقبول الكتاب الإلهي والتسليم به، وأهمها ما يلي:

---

(١) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب الأنبياء، وانظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ٦/٥٥٠-٥٥١ ورواه الإمام مسلم في كتاب الفضائل ٤/١٨٣٧ (١٤٥/٢٣٦٥).

(١- أن يكون النبي الذي ينسب الكتاب إليه، ويدعى نزوله عليه، قد عُلم صدقه يقينا.

٢- أن يذكر هذا النبي صراحة أن الله ﷻ أوحى إليه، ويدعم ذلك بالبينات الثابتة من معجزات وغيرها، ثم يثبت ذلك الادعاء بالخبر، أو بالكتاب نفسه إن كان معجزا.

٣- أن تكون نسبة الكتاب إلى النبي ثابتة بالطريق القطعي، وذلك بأن يثبت أولا أنه ضبط من قبل ذلك النبي سماعا، ثم تلقاه الأخلاف عن الأسلاف جيلاً بعد جيل، من غير أية مظنة للانتحال أو التحريف أو التبديل، وأساس ذلك التواتر.

٤- أن لا يكون ذلك الكتاب متناقضا أو مضطربا يهدم بعضه بعضا، فلا تتعارض تعاليمه، ولا تتناقض أخباره، أوتخالف الحقائق والوقائع، بل يكون كل جزء منه مكملا للآخر ومتمماً له، لأن ما يكون من عند الله لا يختلف ولا يفترق، ولا يتناقض، ولا يخالف الحقائق الثابتة، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾) [1].

والقرآن الكريم قد أخبر أن موسى عليه السلام رسول بنى إسرائيل قد آتاه الله ﷻ الكتاب، قال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[2] ومن المعلوم أن كتاب موسى عليه السلام هو التوراة.

(١) انظر محاضرات في النصرانية صـ ٧١-٧٢ ط/ دار الفكر، ط/ الثالثة سنة ١٣٨١هـ-١٩٦١م. والآية (٨٢) من سورة النساء.

(٢) سورة الإسراء الآية (٢).

وأخبر القرآن الكريم أيضا أن عيسى عليه السلام هو آخر أنبياء بنى إسرائيل أنزل الله عليه الإنجيل ليصدق ما جاء في التوراة، قال تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (١).

وأما خاتم النبيين محمد ﷺ فقد أنزل الله عليه القرآن ليكون أمينا على الكتب التي سبقته، فالقرآن الكريم وهو خاتم الكتب السابقة جاء مجدداً في دعوتها إلى أصول العقيدة والشريعة، ومؤكداً لوحدتها في الدعوة إلى الله عز وجل.

وقد أخبر القرآن الكريم عن نفسه أنه جاء مصدقا لما بين يديه من كتب سبقته، ومهيمناً عليها، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ ﴾(٢) وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾(٣).

ومعنى كون القرآن الكريم مصدقاً لما قبله من الكتب، أي أنه جاء مؤيداً لها، ومؤكداً لما فيها من حق قبل التحريف والتغيير. وتصديق القرآن الكريم لما سبق من الكتب يتبين في عدة نقاط، وهي:

(١- أنه أثبت الوحي وقرر إمكانية وقوعه.

٢- أنه قرر أن الله أرسل رسلاً كثيرين قبل محمد ﷺ وأوحى إليهم.

---

(١) سورة المائدة الآية (٤٦).

(٢) سورة المائدة الآية (٤٨).

(٣) سورة يونس الآية (٣٧).

٣- أن صفة محمد ﷺ في الحقيقة جاءت طبقاً لما ورد في الكتب السابقة.

٤- أن القرآن الكريم وافق هذه الكتب في مقاصد الدين الإلهي وأصوله التي لا تختلف باختلاف الشرائع والرسالات، وهي الإيمان بالله ﷻ وتوحيده، والأخذ بما جاء عنه من تعاليم وشرائع تقود الناس إلى طريق الخير والرشاد.

٥- أن الله جمع في القرآن الكريم ما توزع في الكتب السابقة من فضائل، فهو خلاصة كاملة للرسالات السابقة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [1] وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾)[2].

ولا يفهم من كون القرآن الكريم مصدقاً للكتب السابقة صحة هذه الكتب وسلامتها من التحريف والنسخ، أو وجوب اتباعها، يقول الشيخ عبد الرحمن الباجه جي زاده: (إن التصديق كان لثبوت صحة نزولها من الله تعالى فقط، لا لبراءة هذه الكتب الموجودة من التحريف والتبديل والنسخ، ولو لزم من التصديق وجود المصدق به؛ للزم من تصديق الرسل وجودهم حين التصديق، وهذا فاسد)[3].

فهذه الكتب يصدق اللاحق فيها السابق ويؤيده، فالإنجيل مصدق ومؤيد للتوراة قال تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ

(١) سورة الأعلى الآيتان (١٨-١٩).

(٢) انظر محاضرات في التفسير د/إبراهيم عبد الحميد سلامة صـ٤-٥ باختصار، بدون تاريخ، والآية من سورة الشعراء (١٩٦).

(٣) زيل كتاب الفارق بين المخلوق والخالق، الشيخ / عبد الرحمن الباجه جي زاده، صـ ٤٢-٤٣. تصحيح ومراجعة/ عبد المنعم فراج درويش/ ط/ البيان التجارية دبى/ سنة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾[1] والقرآن الكريم جاء مصدقاً ومؤيداً للتوراة والإنجيل، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[2].

ومعنى الهيمنة الرقابة والشهادة لها وعليها: فهيمنة القرآن الكريم معيار تقويمي وتصحيحي لعقائد أهل الكتاب في ضوء كتبهم التي بأيديهم، بما يفيد هيمنة القرآن على هذه الكتب المتقدمة.

يقول صاحب تفسير المنار: (ومهيمناً عليه فمعناه أنه رقيب عليها، وشهيد بما بينه من حقيقة حالها في أصل إنزالها، وما كان من شأن من خوطبوا بها من نسيان حظ عظيم منها وإضاعته، وتحريف كثير مما بقى منها وتأويله والإعراض عن الحكم والعمل بها، فهو يحكم عليها لأنه جاء بعدها)[3].

ومما سبق يتضح أن مفهوم الهيمنة أتم وأشمل وأعم من مفهوم التصديق فهو يلتقي معها في التصديق، ولكنه يشهد عليها بما أصابها من تحريف، وإلى هذا المعنى السابق يشير د/ محمد عبد الله دراز بعد أن فسر الهيمنة بالحراسة فيقول: (فمن قضية الحراسة الأمينة على هذه الكتب ألا يكتفي الحارس بتأييد ما خلده التاريخ فيها من حق وخير، بل عليه فوق ذلك أن تحميها من الدخيل الذي عساه أن يضاف بغير حق، وأن يبرز ما تمس إليه الحاجة من الحقائق التي عساها أن تكون قد أخفيت منها، وهكذا كان من مهمة القرآن أن

(١) سورة المائدة الآية (٤٦).

(٢) سورة المائدة الآية (٤٨).

(٣) تفسير المنار للشيخ رشيد رضا ٦ / ٤١٠-٤١٤، ط/ الهيئة العامة للكتاب.

ينفي عنها الزائد، وأن يتحدى من يدعى وجودها في تلك الكتب ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ كما كان مهمته أن يبين ما ينبغي تبيينه مما كتموه منها)[1].

وهذا الكتاب الخاتم -المعجزة الخالدة- تميز عما سبق من الكتب بأن الله ﷻ أوكل حفظه إلى نفسه، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾[3].

ولا شك أن الكتب السابقة قد أوكل الله ﷻ حفظها إلى أصحابها، لأنها كانت رسالات محلية ومرحلية، قال تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ ﴾[4] ومع ذلك دخلتها أيدي التحريف والتغيير والتبديل، قال تعالى: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[5] وقال تعالى: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ ﴾[6].

---

(١) الدين، د/ محمد عبد الله دراز، صـ ١٨١، ط/ دار القلم الكويت/ ط/ الثانية سنة١٣٩٠ هـ، وانظر محاضرات في التفسير د/ إبراهيم عبدالحميد سلامة صـ٥ وما بعدها، والآية من سورة آل عمران (٩٣).

(٢) سورة الحجر الآية (٩).

(٣) سورة فصلت الآية (٤٢).

(٤) سورة المائدة الآية (٤٤).

(٥) سورة البقرة الآية (٧٥).

(٦) سورة المائدة الآية (١٣).

وقال ﷺ: **"إن بنى إسرائيل كتبوا كتابا فتبعوه وتركوا التوراة"**(١).

يقول الدكتور محمد عبد الله دراز: (والسر في هذه التفرقة أن سائر الكتب السماوية جيء بها على التوقيت لا التأبيد، وأن هذا القرآن جيء به مصدقاً لما بين يديه من الكتب، ومهيمناً عليها، فكان جامعاً لما فيها من الحقائق الثابتة، زائداً عليها بما شاء الله زيادته وكان ساداً مسدها، ولم يكن شيء منها ليسد مسده، فقضى الله أن يبقى حجة إلى يوم القيامة، وإذا قضى الله أمراً يسر له أسبابه وهو الحكيم العليم)(٢).

وهذا الفصل يتناول بالدراسة والتحقيق، مدى صحة نسبة هذه الكتب إلى الله ﷻ ومدى صحة نصوصها في تناسقها وعدم اختلافها، ومدى اتصال سندها وتواتره، وقبل بيان ذلك تجدر الإشارة إلى بيان معنى الربانية والمقصود منها.

معنى كلمة الربانية والمقصود منها:

الربانية: (مصدر صناعي زيدت فيه الألف والنون على غير قياس، وهي تعنى الانتساب إلى الرب، جاء في لسان العرب: وعِلم رَبُوبي: منسوب إلى الرب على غير قياس)(٣) **والرب**: (اسم الله ﷻ ولا يقال الرب في غير الله إلا بالإضافة، **والرباني**: المتألـه

(١) الحديث رواه الدارمي في المقدمة (٤٨٠) ورواه الطبراني في الأوسط، وفيه محمد بن عثمان بن أبى شيبه، وهو ثقة وقد ضعفه غير واحد، ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب العلم، ١/١٥٠، ط/ مكتبة القدسي، وانظر كنز العمال، ٨٩٣-١٠٨٩.

(٢) النبأ العظيم، د/ محمد عبد الله دراز، صـ ١٤، ط/ دار القلم الكويت ط/ الرابعة سنة ١٣٩٧هـ-سنة ١٩٩٧م.

(٣) انظر لسان العرب لابن منظور ٣٩٩/١ ط/ دار صادر بيروت/ بدون تاريخ. وانظر الخصائص العامة للإسلام د/ يوسف القرضاوي صـ٧ مكتبة وهبة ط/ الرابعة سنة ١٤٠٩هـ-سنة ١٩٨٩م.

العارف بالله ﷻ وهو الذي يعبد الرب ﷻ ويوصف الإنسان بأنه رباني إذا كان وثيق الصلة بالله ﷻ)[١].

وقيل عن عبد الله بن عباس ﷺ يوم موته: (لقد مات رباني هذه الأمة)[٢].

وقد جاء لفظ الرباني بهذا المعنى في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[٣].

وقد ذكر العلماء في تفسير الرباني أقوالاً منها: (قال سيبويه: الرباني: المنسوب إلى الرب، بمعنى كونه عالماً به، ومواظباً على طاعته، كما يقال: الرجل إلهي إذا كان مقبلا على معرفة الإله وطاعته، وزيادة الألف والنون فيه للدلالة على كمال هذه الصفة... وقال المبرد: الربانيون: أرباب العلم، واحدهم رباني، وهو الذي يُرَبِّ العلم، ويُرَبِّ الناس: أي يعلمهم ويصلحهم، ويقوم بأمرهم... قال الواحدي: فعلى قول سيبويه: الرباني منسوب إلى الرب على معنى التخصيص بمعرفة الرب وبطاعته، وعلى قول المبرد: الرباني مأخوذ من التربية)[٤].

---

(١) انظر لسان العرب لابن منظور ١/١١٠، ومختار الصحاح للرازي، صـ ٢٢٨، والمصباح المنير للفيومي، صـ ٢١٤، والمعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية، ١/ ٣٣٣.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ٤/١٥١، تحقيق على محمد البجاوي، ط/ دار نهضة مصر للطبع والنشر/بدون تاريخ.

(٣) سورة آل عمران الآية (٧٩). وانظر سورة المائدة الآية (٤٤) والآية (٦٣).

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازي ٨/١٢٢-١٢٣ باختصار، ط/ دار الفكر بيروت، وانظر تفسير النسفي ١/ ١٦٦، دار إحياء الكتب الدينية، عيسى الحلبي وشركاه.

والخلاصة: أن الرباني هو الذي قوى صلته بالله ﷻ وعلم بدينه وكتابه، وعلم الناس ذلك، فهو العالم المعلم العامل بعلمه الذي يطلب به وجه الله ﷻ.

والمقصود بالربانية هنا في هذه الدراسة: ربانية المصدر والمنهج، أي هل هذه الكتب – العهدان القديم والجديد– وثيقة الصلة في نسبتها إلى الله، صحيحة في مصدرها ومنهجها، فهي مستمدة من الله ﷻ عن طريق وحيه على رسله، أو دخلتها يد البشر بالتحريف والتبديل والتغيير؟. وللإجابة عن هذا السؤال يأتي هذا الفصل الذي يتناول: دراسة مدى تحقق خصيصة ربانية العهد القديم.

❁❁❁

قبل دراسة مدى تحقق خصيصة ربانية العهد القديم، تجدر الإشارة إلى موقف القرآن الكريم من التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام.

وردت كلمة التوراة في القرآن الكريم ثماني عشرة مرة(١) ويتبين من حديث القرآن الكريم

---

(١) وهذه الآيات هي:

١ – ﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ ﴾سورة آل عمران الآيتان (٣-٤).

٢ – ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٤٨ ﴾سورة آل عمران الآية (٤٨).

٣ – ﴿ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ ﴾سورة آل عمران الآية (٥٠).

٤ – ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ ﴾ سورة آل عمران الآية (٦٥).

٥ – ﴿ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ ﴾ سورة آل عمران الآية (٩٣).

٦ – ﴿ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٩٣ ﴾ سورة آل عمران الآية (٩٣).

٧ – ﴿ وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ﴾ سورة المائدة الآية (٤٣)

٨ – ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ ﴾سورة المائدة الآية (٤٤).

عنها أنها توراة واحدة، وليست نسخا متعددة[١].

والقرآن الكريم وهو آخر الكتب الإلهية قد صدق بالتوراة التي نزلت على موسى عليه السلام وشهد بأنها وحي إلهي، وأن فيها الهدى والنور، قال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾[٣].

---

٩ - ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ سورة المائدة الآية (٤٦).

١٠ - ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾سورة المائدة الآية (٤٦).

١١ - ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ سورة المائدة الآية (٦٦).

١٢ - ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾سورة المائدة الآية (٦٨).

١٣ - ﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾سورة المائدة الآية (١١٠).

١٤ - ﴿ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ سورة الأعراف الآية (١٥٧).

١٥ - ﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾سورة التوبة الآية (١١١).

١٦ - ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ سورة الفتح الآية (٢٩).

١٧ - ﴿ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾سورة الصف الآية (٦).

١٨ - ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ سورة الجمعة الآية (٥).

انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، أ/ محمد فؤاد عبد الباقي، صـ ١٥٨، ط/ دار الحديث، سنة ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨م

(١) هناك التوراة العبرية، والسامرية، واليونانية.

(٢) سورة الإسراء الآية (٢).

(٣) سورة آل عمران الآيات (١-٣).

وليس في الوجود كله ما يشهد بكون التوراة من عند الله إلا هذا الكتاب الخالد، في حين أن بنى إسرائيل كانوا مختلفين حول كتابهم، ما بين مؤمن به ومكذب له، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ ﴾[1].

ولقد اعتنى القرآن الكريم بالتوراة فبين حقيقتها وصفاتها، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[2].

ولقد أثبت القرآن الكريم اعتراف عيسى عليه السلام وتصديقه بهذه التوراة قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾[3].

كما ذكر القرآن الكريم صفة محمد ﷺ في التوراة، وأن اليهود كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، لكن فريقا منهم يكتمون الحق وهم يعلمون، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾[4].

---

(١) سورة هود الآية (١١٠).
(٢) سورة المائدة الآية (٤٤).
(٣) سورة الصف الآية (٦).
(٤) سورة البقرة الآية (١٤٦).

ولقد نعى القرآن الكريم على اليهود أنهم لم يطبقوا تعاليم التوراة، وكتموا الحق الذي أودعه الله ﷻ فيها، قال تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1].

وقد تساءل د/ محمد شلبي شتيوي قائلا: (هل التوراة التي شهد لها القرآن الكريم بأنها وحى إلهي هي التي بأيدي اليهود اليوم؟ وهل يقر القرآن الكريم بصحة توراة وصفت المولى ﷻ بصفات لا تليق بجلاله وكماله، حيث جسمته وشبهته بالبشر؟[2] كما وصفت الرسل بأحقر الصفات، وأخس الأخلاق، وأذم الخصال؟[3] وهل من المعقول أن تكون هذه الأمور كلها في كتاب مصدره من الله ﷻ؟)[4]

والإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها، تتطلب معرفة تاريخ التوراة -الحالية- ومعرفة مصدرها وسندها ومتنها، لبيان مدى تحقق خصيصة الربانية فيها.

❁❁❁

المطلب الأول: سند التوراة أو(الأسفار الخمسة)

التوراة في عهد موسى:

لقد نزلت التوراة على كليم الله موسى عليه السلام بعد أن أتم ميقات ربه أربعين ليلة، وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤٢﴾

---

(١) سورة الجمعة الآية (٥). وانظر سورة البقرة الآيات (٤٠-٤٢). وسورة المائدة الآية (١٣).

(٢) انظر المبحث الثاني.

(٣) انظر صـ٥٨ وما بعدها من هذا المبحث.

(٤) انظر التوراة دراسة وتحليل، د/ محمد شلبي شتيوي، صـ ١١ مكتبة الفلاح بالكويت. ط/ الأولى سنة ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾[1].

وسبب الآيات هو: (ما روى أن موسى عليه السلام وعد بنى إسرائيل وهو بمصر إن أهلك الله عدوهم أتاهم بكتاب من عند الله، فيه بيان ما يأتون وما يذرون، فلما هلك فرعون سأل

موسى ربه الكتاب، فهذه الآيات في كيفية نزول التوراة)[2].

وموضوع الآيات: (تحديد موعد لموسى لمكالمة ربه، واستخلاف هارون على بنى إسرائيل في غياب موسى، وطلب موسى رؤية الله ﷻ وإنزال التوراة المتضمنة أصول الشريعة)[3].

ولقد أنزل الله ﷻ التوراة على موسى مكتوبة في الألواح، كما قال تعالى: ﴿ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾[4].

---

(١) سورة الأعراف الآيات (١٤٢-١٤٥).

(٢) انظر تفسير الفخر الرازي ٢٢٦/١٤.

(٣) التفسير المنير في العقيدة والشريعة المنهج، د/وهبه الزحيلي ٨٣/٩، ط/ دار الفكر المعاصر بيروت لبنان ط/ الأولى سنة١٤١١هـ-١٩٩١م.

(٤) سورة الأعراف الآية (١٤٥).

يقول الإمام ابن كثير: (أخبر تعالى أنه كتب له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء، وقيل: كانت الألواح من جوهر، وأن الله تعالى كتب له فيها مواعظ وأحكاما مفصلة، مبينة للحلال والحرام، وكانت هذه الألواح مشتملة على التوراة التي قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ ﴾)[1].

ويعتقد اليهود بجميع فرقهم أن الأسفار الخمسة دون بقية أسفار العهد القديم قد كتبها موسى عليه السلام بيده قبل أن يموت[2].

ونسبة كتابة أسفار التوراة إلى موسى يكسبها ميزة خاصة عند اليهود، فهي بهذا السند تكون مقدسة عند الجميع، ولا يتطرق إليها شك أو ريبة، وقد تعمق هذا الشعور فيهم لدرجة أنه أصبح أمرا واجبا أن يدافع الجميع عن هذا المعتقد دون أي اعتبار لأي قول آخر.

ومما دفع اليهود إلى هذا القول ما ورد من نصوص في أسفارهم تدل على ذلك، منها ما جاء في سفر الخروج: (قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: اكْتُبْ هذَا تَذْكَارًا فِي الْكِتَابِ، وَضَعْهُ فِي مَسَامِعِ

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٢٤٧ ط/ دار المنار، بدون تاريخ والآية من سورة القصص الآية (٤٣).
(٢) انظر الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي د/عبد العظيم المطعني صـ٨٩ ط/ دار الوفاء، الأولى سنة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

يَشُوعَ)[١] وفي سفر التثنية: (وَكَتَبَ مُوسَى هذِهِ التَّوْرَاةَ وَسَلَّمَهَا لِلْكَهَنَةِ بَنِي لاَوِي حَامِلِي تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ، وَلِجَمِيعِ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ)[٢].

وتحكى أسفار التوراة الحالية أن الله أمر موسى عليه السلام أن يصعد إلى الجبل ليعطيه لوحي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبها لتعليم بنى إسرائيل[٣] وأمره أيضا أن يأمر بنى إسرائيل فيصنعوا تابوتا من خشب الصنت، بين لهم أوصافه، ليضع فيه موسى عليه السلام الشهادة التي سيعطيه الله إياها[٤] كما أمره أن يقرب أخاه هارون عليه السلام وبنيه من بين بنى إسرائيل ليكونوا كهنة لله، وأمره أن يصنع لهم ثيابا خاصةً مقدسة ووصفها له[٥] ونزل موسى من الجبل ولوحا الشهادة المكتوب عليها كلمات العهد -أي الوصايا العشر- في يده[٦].

ولقد فعل موسى كل ما أمره الرب به من التعاليم السابقة، وأوصاهم بالمحافظة على التوراة والعمل بما فيها من أحكام وتشريعات. جاء في سفر الخروج: (فَجَاءَ مُوسَى وَحَدَّثَ الشَّعْبَ بِجَمِيعِ أَقْوَالِ الرَّبِّ وَجَمِيعِ الأَحْكَامِ، فَأَجَابَ جَمِيعُ الشَّعْبِ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ وَقَالُوا: «كُلُّ الأَقْوَالِ الَّتِي تَكَلَّمَ بِهَا الرَّبُّ نَفْعَلُ». فَكَتَبَ مُوسَى جَمِيعَ أَقْوَالِ الرَّبِّ. وَبَكَّرَ

(١) سفر الخروج ١٧(١٤).

(٢) سفر التثنية الإصحاح ٣١(٩) ومن المعلوم أن التوراة نزلت جملة واحدة على موسى عليه السلام فكيف تحكى التوراة الحالية كتابة موسى لها وما حدث بينه وبين قومه، ووجود مثل هذه النصوص يعد من أكبر الأدلة على أنها توراة أخرى غير التوراة المنزلة من الله على موسى عليه السلام.

(٣) انظر سفر الخروج الإصحاح ٢٤(١٢).

(٤) انظر سفر الخروج ٢٥(١٠ - ٢١).

(٥) انظر سفر الخروج ٢٨(١ -٢).

(٦) انظر سفر الخروج ٣٤(٢٩).

فِي الصَّبَاحِ وَبَنَى مَذْبَحًا فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ، وَاثْنَيْ عَشَرَ عَمُودًا لأَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ الاثْنَيْ عَشَرَ. وَأَرْسَلَ فِتْيَانَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَصْعَدُوا مُحْرَقَاتٍ، وَذَبَحُوا ذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ لِلرَّبِّ مِنَ الثِّيرَانِ. فَأَخَذَ مُوسَى نِصْفَ الدَّمِ وَوَضَعَهُ فِي الطُّسُوسِ. وَنِصْفَ الدَّمِ رَشَّهُ عَلَى الْمَذْبَحِ. وَأَخَذَ كِتَابَ الْعَهْدِ وَقَرَأَ فِي مَسَامِعِ الشَّعْبِ، فَقَالُوا: «كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ نَفْعَلُ وَنَسْمَعُ لَهُ». وَأَخَذَ مُوسَى الدَّمَ وَرَشَّ عَلَى الشَّعْبِ وَقَالَ: «هُوَ ذَا دَمُ الْعَهْدِ الَّذِي قَطَعَهُ الرَّبُّ مَعَكُمْ عَلَى جَمِيعِ هذِهِ الأَقْوَالِ)[1].

وبعد أن كتب موسى التوراة وأوصى الشعب بالمحافظة عليها والعمل بما فيها، أعطاها إلى الكهنة من بنى لاوي ليكونوا مسئولين عنها، ويحافظون عليها، ويقرؤونها على أفراد الشعب، وسفر التثنية يقص هذا الأمر فيقول: (فَعِنْدَمَا كَمَّلَ مُوسَى كِتَابَةَ كَلِمَاتِ هذِهِ التَّوْرَاةِ فِي كِتَابٍ إِلَى تَمَامِهَا، أَمَرَ مُوسَى اللاَّوِيِّينَ حَامِلِي تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ قَائِلا: «خُذُوا كِتَابَ التَّوْرَاةِ هذَا وَضَعُوهُ بِجَانِبِ تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ إِلهِكُمْ، لِيَكُونَ هُنَاكَ شَاهِدًا عَلَيْكُمْ. لأَنِّي أَنَا عَارِفٌ تَمَرُّدَكُمْ وَرِقَابَكُمُ الصُّلْبَةَ. هُوَ ذَا وَأَنَا بَعْدُ حَيٌّ مَعَكُمُ الْيَوْمَ، قَدْ صِرْتُمْ تُقَاوِمُونَ الرَّبَّ، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ بَعْدَ مَوْتِي! اِجْمَعُوا إِلَيَّ كُلَّ شُيُوخِ أَسْبَاطِكُمْ وَعُرَفَاءَكُمْ لأَنْطِقَ فِي مَسَامِعِهِمْ بِهذِهِ الْكَلِمَاتِ، وَأُشْهِدَ عَلَيْهِمِ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ. لأَنِّي عَارِفٌ أَنَّكُمْ بَعْدَ مَوْتِي تَفْسِدُونَ وَتَزِيغُونَ عَنِ الطَّرِيقِ الَّذِي أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ، وَيُصِيبُكُمُ الشَّرُّ فِي آخِرِ الأَيَّامِ لأَنَّكُمْ

(١) سفر الخروج ٢٤(٣-٨) الطسوس: جمع طست وهو الطشت والمقصود به الإناء الكبير، انظر معجم الألفاظ العسرة للكتاب المقدس صـ٢٥.

تَعْمَلُونَ الشَّرَّ أَمَامَ الرَّبِّ حَتَّى تُغِيظُوهُ بِأَعْمَالِ أَيْدِيكُمْ». فَنَطَقَ مُوسَى فِي مَسَامِعِ كُلِّ جَمَاعَةِ إِسْرَائِيلَ بِكَلِمَاتِ هذَا النَّشِيدِ إِلَى تَمَامِهِ)[1].

وهكذا صان موسى عليه السلام التوراة عن سائر بنى إسرائيل، ولم يبثها فيهم خوفا من اختلافهم بعده في تأويلها، الأمر الذي يؤدى إلى انقسامهم وتفرقهم شيعا.

ولما كان بنو إسرائيل لا يستقرون على حالة واحدة، وخوفا من تمردهم على كلام الله عز وجل أمر موسى بوضع هذه التوراة في التابوت، وأمر الكهنة بالمحافظة عليها، وهذا يعنى أن التوراة لم تكن مشاعة للجميع، ولم تكن بيد الشعب يحفظها ويتدارسها ويقرؤها في أي وقت يشاء.

وبعد وفاة موسى عليه السلام خلفه يوشع بن نون في قيادة الشعب، واستولى على فلسطين، وقسمها بين الأسباط عدا سبط لاوي الذي اختصهم بالخدمة الدينية، واختص منهم أبناء هارون بالكهنوت، فهم وحدهم الذين كانوا يعرفون التوراة ويحفظونها في التابوت[2].

التوراة إبان حكم القضاة والملوك:

وبعد موت يوشع بن نون قام من بعده جيل آخر لم يعرف الرب، وعبد آلهة الشعوب الذين حوله، فسلط الله عليهم أعداءهم فنهبوهم، ولما ضاق الأمر بهم أقام لهم الرب قضاة، فخلصوهم من يد ناهبيهم[3] وفي إحدى المعارك التي جرت بين الفلسطينيين وبنى إسرائيل، هرب بنو إسرائيل وكانت القرية عظيمة فسقط منهم ثلاثون ألفا، وأخذ

(١) سفر التثنية ٣١(٢٤-٣٠). والعرفاء: القادة المدنيون، انظر معجم الألفاظ العسرة للكتاب المقدس صـ٥٩.

(٢) يراجع التوراة دراسة وتحليل، د/ محمد شلبي شتيوي، صـ ١٥وما بعدها مكتبة الفلاح بالكويت. ط/ الأولى سنة ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

(٣) انظر سفر القضاة ٢ (٨-١٦).

الفلسطينيون منهم تابوت عهد الرب[١] وبعد غياب التابوت سبعة أشهر، أصيب أهل المدينة بالبواسير وتدافعوا في حفظ التابوت إلى أن قرروا إعادته مع كمية من الذهب إلى بنى إسرائيل[٢] وأمام خطر الفلسطينيين اجتمع شيوخ بنى إسرائيل وطلبوا من القاضي صموئيل أن يجعل لهم ملكا يحارب، فاختار لهم شاؤل بن قيس من سبط بنيامين -وهو الذي يسميه القرآن طالوت- فقادهم بشجاعة في الحرب[٣].

وبعد موت شاول استقر الأمر لداود عليه السلام فحارب الفلسطينيين، وفتح أهم مدنهم أورشليم -أي القدس- ثم اتخذها عاصمة له، وكان التابوت في قرية بعاريم على أكمة منها[٤] ولما فتح داود القدس نقله إليها في احتفال بهيج حيث أقام له خيمة هناك وعين اللاويين لخدمته[٥].

وورث سليمان داود، فبنى الهيكل- كما يدعى اليهود- وبنى بداخله المحراب، أي قدس القداس وهيأ مكانا في وسط البيت ليضع فيه التابوت[٦] ثم جيء بالتابوت لفتحه وإخراج التوراة لقراءتها على الناس فلم يكن في التابوت إلا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هناك في حوريب حين عاهد الرب بنى إسرائيل عند خروجهم من أرض مصر[٧].

---

(١) انظر سفر صموئيل الأول ٤ (١٠-١١).

(٢) انظر سفر صموئيل الأول ٥ (٤-١٠). ٦ (١).

(٣) انظر سفر صموئيل الأول ٨، ٩، ١٠. صموئيل: اسم عبري معناه "اسم الله" أو "سمع الله" انظر معجم الألفاظ العسرة للكتاب المقدس صـ٨٧. وانظر قصة طالوت وجالوت في القرآن الكريم في سورة البقرة الآيات (٢٤٣-٢٥٢).

(٤) انظر سفر صموئيل الثاني الإصحاح الأول.

(٥) انظر سفر صموئيل الثاني الإصحاح السادس.

(٦) انظر سفر الملوك الأول الإصحاح الثاني.

(٧) انظر سفر الملوك ٨: (٩).

وأصبح بنو إسرائيل من ذلك الوقت شعبا بلا وحى إلهي، فلقد ضاعت التوراة، التي لم يحفظها أهلها في صدورهم، وفقدت في ظروف غامضة، ولا يعلم على وجه الجزم، هل مزقها الفلسطينيون، أو أنها فقدت خلال الفترة الطويلة من حكم القضاة، حيث انحرف الشعب عن أوامر الله، وظهر في بنى إسرائيل الكفر والارتداد؟[١]

وبذلك انقطعت سلسلة السند في نقل التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام وحيا إلهيا، واستمرت التوراة مفقودة إلى أن كان العام الثامن عشر من حكم يوشيا، وفيه ظهرت توراة جديدة، على يد الكاهن حلقيا، وادعى أنه وجدها في بيت المقدس[٢].

توراة حلقيا:

بعدما ظهرت التوراة الجديدة على يد الكاهن حلقيا، وكان لظهورها ملابسات وظروف مختلفة ومتباينة، وعن أسباب كتابة هذه التوراة يقول ول ديورانت: (وكان أهم أثر للأنبياء في معاصريهم هو كتابة التوراة، وكان سبب كتابتها أن الشعب شرع يرتد عن عبادة يهوه إلى عبادة الآلهة الأجنبية، فأخذ الكهنة يتساءلون ألم يأن لهم أن يقفوا وقفة قوية يمنعون بها تدهور العقيدة.. فاعتزموا أن يبلغوا الناس رسالة من الله نفسه في صورة سنن إلهية، تبعث النشاط والقوة في حياة الأمة الخلقية، ويضمنون بها معونة الأنبياء، وذلك بما تتضمنه من آرائهم القليلة التطرف)[٣].

(١) انظر فيما سبق الكتب المقدسة في ميزان التوثيق، عبد الوهاب عبد السلام طويلة صـ٦٥ وما بعدها ط/ دار السلام، ط/ الأولى سنة١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، وانظر التوراة دراسة وتحليل صـ١٩.

(٢) انظر اظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي ٦٠٣/٢ تحقيق د/ محمد ملكاوي.

(٣) قصة الحضارة ول ديورانت ٣٥٦/٢-٣٥٧ ط/ دار الجيل للطع والنشر والتوزيع/ بيروت لبنان.

ويرى أحد الباحثين: (أن ادعاء حلقيا من وجود توراة موسى في بيت المقدس في ذلك الوقت أمر يستحيل عقلا تصديقه، وليس معجزة، لأن حلقيا ليس رسولا ولا نبيا، فلقد كانت وفاة سليمان حوالي سنة ٩٣٥ ق م، وقد جيء بالتابوت في عهده حينئذ فلما فتح لم يجدوا فيه التوراة، وكان أول ظهور توراة بعد هذا الحادث في العام الثامن عشر من حكم يوشيا الذي تولى الحكم سنة ٦١٢ق. م.، وبعد عملية جمع وطرح تكون المدة من فقدان توراة موسى حتى ظهور التوراة التي أعلنها حلقيا هي ٣٥٠ عاما تقريبا، وهذا يعنى استحالة وجود توراة موسى بذاتها بعد هذا الزمن الشاسع، وبخاصة أن هذه المنطقة دمرتها الحروب والحرائق مرات كثيرة، وقد شرد شعب بنى إسرائيل هنا وهناك أكثر من مرة، وسيطرت عبادة الأوثان مئات السنين على الناس وعلى أفكارهم وعقولهم، فهل يعقل وجود توراة موسى بعد ذلك)[1].

وفي ذلك يقول الشيخ رحمة الله الهندي: (ولو سلمنا جدلا بوجود توراة موسى في عهد يوشيا على يد الكاهن حلقيا، فإن الأحداث التي حلت بالمنطقة وبالناس في هذه الآونة تسببت في ضياع التوراة للمرة الثانية، فلقد أغار على بيت المقدس حاكم مصر- في ذلك الوقت، ثم بعده جاء (بختنصر) فأغار هو الآخر على بيت المقدس وأحرق بيت الله وبيت الملك وجميع بيوت أورشليم وبخاصة بيوت العظماء والأجلاء منهم، ثم أسر بقية شعب بنى إسرائيل وسباهم وشتتهم في البقاع، فانعدمت التوراة ومعها سائر كتب العهد القديم التي كانت مصنفة قبل هذه الحوادث)[2].

(١) التوراة دراسة وتحليل صـ٢٧.

(٢) إظهار الحق ٦٠٧/٢.

أخلص مما سبق إلى أن القول بأن توراة موسى هي التي اكتشفها حلقيا أمر غير مقبول، لأن التاريخ والعقل لا يؤيده، حيث إن المدة التي بين اختفاء التوراة وظهورها على يد حلقيا مدة طويلة جرت فيها أحداث جسام لبنى إسرائيل، فقد تعرضوا للسبي والشتات والإجلاء، فكيف يسلم وجود توراة موسى كل هذه الفترة التي تربو على ثلاثة قرون؟ إن ذلك لبعيد في منطق الواقع والتاريخ.

توراة عزرا:

يعترف اليهود بأن توراة موسى قد ضاعت، وأن عزرا كتبها بإلهام من الله ﷻفبعد انتهاء عصر الملوك ووقوع اليهود تحت الأسر البابلي عاشوا في جو يبعث على النشاط الذهني، وبرز من بين الكتاب الذين كتبوا العهد القديم الكاهن عزرا، فقد استطاع أن يعيد أجزاء كثيرة من أسفار العهد القديم [1].

وفي الحقيقة أن هذه التوراة التي جاء بها عزرا غير التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام فتوراة عزرا مليئة بالاختلافات والتضارب والأخطاء، مثل خطئه في أولاد بنيامين حيث أخطا في أسمائهم وعددهم واعترف بذلك علماء أهل الكتاب.

فنقل الشيخ رحمة الله الهندي عن آدم كلارك قوله:(كُتب ههنا لأجل عدم تمييز المصنف ابن الابن موضع الابن وبالعكس، والتطبيق في مثل هذه الاختلافات غير مفيد، وعماء اليهود يقولون: أن عزرا الذي كتب هذا السفر ما كان له علم بأن بعض هؤلاء بنون أم بنوا الأبناء، ويقولون أيضا: إن أوراق النسب التي نقل عنها عزرا كان أكثرها ناقصة، ولابد لنا أن نترك أمثال هذه المعاملات)[2].

---

(١) انظر اليهودية د/ أحمد شلبي صـ٢٦٢-٢٦٣.

(٢) إظهار الحق ٢/٤٤٧-٤٤٨.

وقد نقل الشيخ رحمة الله الهندي أيضا عن جان ملنر قوله: (اتفق أهل العلم على أن نسخة التوراة الأصلية وكذا نسخ العهد العتيق ضاعت على أيدي عسكر (بختنصر) ولما ظهرت نقولها الصحيحة بواسطة عزرا ضاعت تلك النقول أيضا في حادثة انتيوكس)[١].

وبهذه الحوادث التي نزلت ببني إسرائيل بعد ظهور عزرا بتوراته ضاعت جميع نسخ التوراة سواء منها التي كتبها عزرا أو التي كتبها الآخرون عن نسخة عزرا.

ويؤكد صاحب تفسير المنار أن ضياع توراة موسى حقيقة يعترف بها علماء اللاهوت من النصارى فنقل عن صاحب كتاب خلاصة الأدلة السنية على صدق أصول الديانة المسيحية قوله: (والأمر مستحيل أن تبقى نسخة موسى الأصلية في الوجود إلى الآن، ولا نعلم ماذا كان من أمرها، والمرجح أنها فقدت مع التابوت لما ضرب بختنصر الهيكل)[٢].

بعد هذا السرد التاريخي الموجز لتاريخ التوراة من وقت نزولها على موسى عليه السلام يتجلى في وضوح أن التوراة المنزلة قد ضاعت واندثرت لظروف شتى، كما ضاعت توراة كل من حلقيا وعزرا، ويمكن الجزم بأنه لا صلة مطلقا بين ما نسب إلى حلقيا وعزرا وما نزل على موسى عليه السلام فبينهم بون شاسع في الزمان والمضمون، ويعد هذا من أقوى الأدلة على انقطاع سند التوراة.

مصادر العهد القديم:

إذا كانت توراة موسى قد فقدت، وكذلك التوراة التي ادعى الكاهن (حلقيا) ظهورها، ثم التوراة التي نسبت إلى (عزرا) فقدت هي الأخرى، فما مصدر التوراة التي بأيدي اليهود اليوم؟.

---

(١) إظهار الحق ١١٢/١، ٤٤٩/٢.

(٢) تفسير المنار ١٥٧/٣.

إن أسفار العهد القديم من صنع أجيال كثيرة، ووراءها أفكار متعددة ومتنوعة، فكان الكهنة يعتمدون على النقل الشفهي من أخبار وأساطير وأقوال السابقين، ومن مصادرهم الأساسية في ذلك ما يأتي:-

أساطير الجزيرة العربية والفكر البابلي والفارسي فقد أخذوا من ذلك قصة الخلق والطوفان. الفكر المصري القديم أخذوا منه أمثال سليمان. تشريع حمورابي أخذوا منه معظم القوانين الإسرائيلية، خاصة قانون المشابهة الذي يوجد علاقة بين الجريمة والعقوبة[١].

ويؤكد الباحثون في مصادر العهد القديم أن الفكر البابلي أحد الروافد الأساسية له فلقد عثر القائمون بالحفائر الحديثة على نصوص بابلية تحكى قصة الخليقة والطوفان يقول العقاد: (ولكن علماء الأديان عقدوا المقارنة الكبرى بين مأثورات بابل وفارس ومأثورات إسرائيل، فقصة الخليقة في العقائد الإسرائيلية الأولى تشابه قصة الخليقة في ألواح بابل، وعقيدة "المخلص" المنتظر موجودة في الديانة الفارسية وموجودة في الديانة الإسرائيلية، وكان البابليون يؤمنون بأن الإنسان تمرد على قسمة الموت وطمع إلى خلود كخلود الأرباب، فبحث عن ثمرة البقاء في السماء وخدعه إله ماكر عن بقيته فناوله بديلا منها ثمرة تشبهها في ظاهرها ولكنها ثمرة الفناء... وهذه في جملتها لا في تفصيلها قريبة من المأثورات الإسرائيلية في هذا الموضوع وعند البابليين قصة مفصلة عن الطوفان، ولكنها في الواقع قصة متواترة شاملة توجد بقاياها في المأثورات القديمة من أمريكا الجنوبية في الهند)[٢].

(١) انظر اليهودية د/ أحمد شلبي صـ٢٦٤-٢٦٧ بتصرف.

(٢) كتاب (الله) لعباس محمود العقاد، صـ١٢١ دار الكتاب اللبناني بيروت ط/ الأولى سنة ١٩٧٨.

ويجزم ول ديورانت بأن التوراة الحالية فيها من التراث الشعري والفلسفي فيقول: (ليس العهد القديم شريعة فحسب، بل هو فوق ذلك تاريخ وشعر وفلسفة من الطراز الأول... إذا ما فعلنا هذا كله فإن لا نجد في الكتاب طائفة من أقدم الكتابات التاريخية فحسب، بل نجد فيه كذلك طائفة من أجمل تلك الكتابات، ولربما كانت أسفار القضاة وصموئيل والملوك قد وضعت على عجل كما يعتقد بعض العلماء)(١).

ومن مجموع هذه النصوص المختلفة قام الكهنة والكتاب بإعداد هذه النصوص، وبعد إضافات عديدة وإدخال عناصر جديدة ظهرت التوراة بصورتها الحالية.

وعلى ذلك فلا غرابة إذا وجدنا أن العهد القديم يتكون من مجموعة أسفار لا تتساوى في الطول، وتختلف في النوع، كتبت هذه الأسفار على مدى تسعة قرون، وبلغات مختلفة، واعتمادا على التراث المنقول شفهيا، والتي جمعت فيما يمكن أن يسمى بالأرشيف وعن طريقه أمكن وضع التوراة الحالية(٢).

مما تقدم حول بيان مصادر العهد القديم يمكن القول بأن الباحثين من الشرق والغرب صرحوا بأن العهد القديم في صورته التي هو عليها الآن ليس له أصول إلهية ربانية، وإنما هو تراث شعبي وفكر بشرى من البابلين والفارسيين وغيرهم وهذا مما يقطع القول بعدم ربانيته.

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت ٣٨٥/٢.

(٢) انظر التوراة والإنجيل والقرآن والعلم موريس بوكاي صـ٢٠ وما بعدها، دار الكندي بيروت لبنان ط/ الثانية سنة ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م. وانظر التوراة دراسة وتحليل، د/ محمد شلبي شتيوي، صـ٤٦ وما بعدها.

انقطاع سند التوراة:

لعل من دراسة تاريخ التوراة أو الأسفار الخمسة تبين منها بعض الأدلة التي تؤكد القول بانقطاع سند التوراة، ومنها ما يلي:

أولا: ارتداد بنى إسرائيل عن عبادة الله ﷻ وعن شريعة موسى عليه السلام وعبادتهم لأصنام لا تضر ولا تنفع، وقد وقع منهم ذلك عدة مرات، سجلها القرآن الكريم في آيات شتى، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ (١).

ولقد ذكر الإمام أبو محمد بن حزم في الفصل أن بني إسرائيل ارتدوا عن دينهم إلى عبادة الأوثان مرات عديدة بلغت مائة وأربع عشرة سنة وفي ذلك يقول ابن حزم: (فاعلموا الآن أنه كان منذ دخلوا الأرض المقدسة إثر موت موسى عليه السلام إلى ولاية أول ملك لهم وهو شاول المذكور سبع ردات، فارقوا فيها الإيمان، وأعلنوا عبادة الأصنام، فأولها: بقوا فيها ثمانية أعوام، والثانية: ثمانية عشر عاما، والثالثة: عشرين عاما، والرابعة: سبعة أعوام، والخامسة: ثلاثة أعوام، وربما أكثر، والسادسة: ثمانية عشر عاما، والسابعة: أربعين عاما، فتأملوا! أي كتاب يبقى مع تمادى الكفر ورفض الإيمان هذه المدد الطوال، في بلد صغيرة مقدار ثلاثة أيام في مثلها فقط، ليس على دينهم واتباع كتابهم أحد على ظهر الأرض غيرهم، ثم مات شاول المذكور مقتولا، وولى أمرهم داود عليه السلام وهم ينسبون إليه

(١) سورة المائدة الآية (٧٠).

الزنا علانية بأم سليمان عليه السلام وأنه ولدت منه من الزنا ابنا مات قبل ولادة سليمان، فعلى من يضيف هذا إلى الأنبياء ألف ألف لعنة)[1].

ثانيا: (انقراض طبقة الكهنة والأحبار الذين أوصاهم موسى بحفظ التوراة والمحافظة عليها، كان هو الآخر عاملا من عوامل ضياع التوراة التي نزلت على موسى وانقطاع سلسلة السند، فبمرور الأيام أخذ هؤلاء الكهنة في الانقراض شيئا فشيئا، فبعضهم وقع به الموت، وبعضهم الآخر هلك تحت ضربات الجيوش الغازية، أو ثورات أصحاب الأرض من الكنعانيين. بالإضافة إلى أن هذه المعارك قد أهلكت كل شيء، فأوسعوهم قتلا وتدميرا، بل غنموا منهم تابوت العهد الذي وضع موسى فيه التوراة وقد دمروا لهم كل ما يتصل بمقدساتهم، ومن بينها أسفار العهد القديم)[2].

تلك هي أبرز الأسباب التي أدت إلى انقطاع سند التوراة أو أسفار العهد القديم، وهي أسباب ثبت تاريخيا صدقها، فأحداث الارتداد عن الدين في تاريخ اليهود واضحة جلية، كما أن الحوادث والكوارث وما جرى لهم من أسر ودمار أمور ذائعة مشهورة سجلوها بأنفسهم، وفوق ذلك الحروب التي دارت بينهم وبين سكان البلاد الأصليين، ولهذا كله تضافرت الأدلة عن انقطاع السند وثبت بطلان اتصاله، بل وعدم إمكان اتصاله على الإطلاق.

❁❁❁

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم، ١/٢٩٠. ط/ تحقيق د/ عبد الرحمن عميرة /ط / دار الجيل بيروت.

(٢) انظر التوراة دراسة وتحليل، د/ محمد شلبي شتيوي، صـ ٤٢-٤٣ بتصرف واختصار.

المطلب الثاني: نماذج من التناقض والتضارب في أسفار العهد القديم[١]

إن دراسة سند العهد القديم تعتبر دراسة تاريخية خارج نصوص الكتاب ذاته، والغرض منها معرفة ما إذا كان متصل الإسناد، أو منقطع الإسناد، أما دراسة متنه فهي دراسة في داخل الكتاب نفسه، فالأصل في الكتاب الإلهي المنزل أن يكون متسقا في ذاته، إذ لا يعقل أن يكون كتاب واحد، من مصدر واحد، وفيه تناقض وتضارب إلا إذا كان هذا الكتاب كتابات بشرية متعددة، في فترات زمنية طويلة، وهذه النماذج من العهد القديم تكشف إلى أي مدى كانت أسفار العهد القديم، وما فيه من أحكام وتشريعات مليئة بالتناقض والتضارب ومنها ما يلي:

١- لو أن موسى هو كاتب التوراة كما يدعى بنو إسرائيل لتحدث موسى عن نفسه بضمير المتكلم، لكنه يوجد نصوص كثيرة في التوراة، يتحدث الكاتب فيها عن موسى بضمير الغيبة منها:

(وَدَعَا الرَّبُّ مُوسَى وَكَلَّمَهُ مِنْ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ قَائِلاً: «كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ)[٢]

ولوكان موسى هو الكاتب للتوراة لقال: (ودعاني الرب في خيمة الاجتماع وكلمني قائلا) وأمثال هذه العبارة يتكرر كثيرا (وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً)[٣] (وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ دَعَا

(١) للتوسع في هذا الموضوع يراجع إظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي ١/١٦٨-٢٤٤ تحقيق د/ محمد ملكاوي.

(٢) سفر اللاويين ١ (١).

(٣) سفر اللاويين ٦ (١).

مُوسَى هَارُونَ وَبَنِيهِ وَشُيُوخَ إِسْرَائِيلَ)[١] وفي سفر العدد يقول: (فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «انْظُرْ! أَنَا جَعَلْتُكَ إِلهًا لِفِرْعَوْنَ)[٢].

وبعد أن يسرد الكاتب بعض أحكام الشريعة يقول: (هذه هي الوصايا التي أوصى الرب بها موسى إلى بنى إسرائيل في جبل سيناء)[٣].

وفي سفر العدد نجد الكاتب يؤرخ لحياة موسى ويثنى عليه ثناءً عاطرا فيقول:(وَأَمَّا الرَّجُلُ مُوسَى فَكَانَ حَلِيمًا جِدًّا أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ)[٤] وفي نهاية سفر العدد يقول: (هذه هي الوصايا والأحكام التي أوصى بها الرب إلى بنى إسرائيل على يد موسى في عربات موآب على أردن أريحا)[٥].

والذي يقرأ مقدمة سفر التثنية يلحظ أنه ليست من كتابة موسى عليه السلام بل يعتقد أنها من كتابة مؤرخ يؤرخ لحياة موسى، إذ يتحدث عنه بضمير الغائب أيضا، ففي بداية سفر التثنية نجد هذا القول: (هذَا هُوَ الْكَلاَمُ الَّذِي كَلَّمَ بِهِ مُوسَى جَمِيعَ إِسْرَائِيلَ، فِي عَبْرِ الأُرْدُنِّ، فِي الْبَرِّيَّةِ فِي الْعَرَبَةِ... فَفِي السَّنَةِ الأَرْبَعِينَ، فِي الشَّهْرِ الْحَادِي عَشَرَ فِي الأَوَّلِ مِنَ الشَّهْرِ، كَلَّمَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَسَبَ كُلِّ مَا أَوْصَاهُ الرَّبُّ إِلَيْهِمْ... فِي عَبْرِ الأُرْدُنِّ، فِي أَرْضِ مُوآبَ،

(١) سفر اللاويين ٩ (١).
(٢) سفر الخروج ٧ (١)، وانظر سفر الخروج ٦ (١) ٦ (٣) ٦ (١٠) ٦ (٢٨) (٣٠) وسفر العدد ١١ (١١).
(٣) سفر اللاويين ٢٧ (٣٤).
(٤) سفر العدد ١٢ (٣).
(٥) سفر العدد ٣٦ (١٣).

ابْتَدَأَ مُوسَى يَشْرَحُ هذِهِ الشَّرِيعَةَ قَائِلاً. اَلرَّبُّ إِلهُنَا كَلَّمَنَا فِي حُورِيبَ قَائِلاً: كَفَاكُمْ قُعُودٌ فِي هذَا الْجَبَلِ)[1].

وفي الحقيقة إن التوراة المعاصرة، ليست من كتابة موسى، ولا من تأليفه، ولم يملها على من كتبها، بل على النقيض من هذا، إذ يوجد فيها ما يؤيد عكس ذلك.

يقول الإمام القرطبي: (وهذا يدلك أنه ليس مما قاله الرب -جل ذكره- لموسى ولا مما قاله موسى لهم، أعنى لفظ (وكلم الرب موسى وقال له) وما أشبهه من لفظ الحكاية عنه، وإنما هو شيء حكى عنه بعد انقراضه وأضيف إلى كلام الله، ثم لا يعرفون من الحاكي، وإذا جاز مثل هذا ولا يشعرون به جاز أن يكون أكثرها مغيرا ومبدلا، وليس من كلام الله، ولا من كلام موسى ولا يشعرون به، ومن وقف عليها متتبعا لهذا المعنى قطع بأنها زيد فيها ما ليس منها، وعند انكشاف الغبار يتبين أفرس تحتك أم حمار)[2].

٢- خبر موت موسى ودفنه في أرض موآب، فلا يمكن لعاقل أن يصدق بأن موسى كتب خبر موته في التوراة قبل أن يموت، تقول التوراة في سفر التثنية: (فَمَاتَ هُنَاكَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مُوآبَ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ. وَدَفَنَهُ فِي الْجِوَاءِ فِي أَرْضِ مُوآبَ، مُقَابِلَ بَيْتِ فَغُورَ. وَلَمْ يَعْرِفْ إِنْسَانٌ قَبْرَهُ إِلَى هذَا الْيَوْمِ. وَكَانَ مُوسَى ابْنَ مِئَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَاتَ، وَلَمْ تَكِلَّ عَيْنُهُ وَلاَ ذَهَبَتْ نَضَارَتُهُ. فَبَكَى بَنُو إِسْرَائِيلَ مُوسَى فِي عَرَبَاتِ مُوآبَ ثَلاَثِينَ يَوْمًا. فَكَمُلَتْ أَيَّامُ بُكَاءِ مَنَاحَةِ مُوسَى. وَيَشُوعُ بْنُ نُونٍ كَانَ قَدِ امْتَلأَ رُوحَ حِكْمَةٍ، إِذْ وَضَعَ

(١) سفر التثنية ١ (١-٦).

(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، للإمام القرطبي صـ١٨٩، ط/ دار التراث، سنة ١٩٨٠ م.

مُوسَى عَلَيْهِ يَدَيْهِ، فَسَمِعَ لَهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَعَمِلُوا كَمَا أَوْصَى الرَّبُّ مُوسَى. وَلَمْ يَقُمْ بَعْدُ نَبِيٌّ فِي إِسْرَائِيلَ مِثْلُ مُوسَى
الَّذِي عَرَفَهُ الرَّبُّ وَجْهًا لِوَجْهٍ)[1].

إن من يتأمل هذا النص يجد فيه: (فمات هناك موسى ودفنه -أي الرب- في أرض موآب) فمن الواضح جدا أنها أفعال باللفظ الماضي، والصواب أنه تاريخ كتب بعد موت موسى عليه السلام بفترة طويلة، يقول الإمام القرافي: (إن تك الحكايات الركيكة زيدت بالأهواء والأغراض، وليست منزلة من عند الله -تعالى- بل يسقط الاحتجاج بجميع التوراة، لأن باب الزيادة والنقصان قد انفتح فلا يوثق بشيء بعد ذلك، ويجب اجتناب الجميع خشية أن يكون مما زيد وهو محرم، كما إذا اختلطت الميتة بالمذكاة يحرم الجميع)[2].

٣- إن الدارس للعهد القديم يجد فيه تناقضات كثيرة، خاصة في الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام فهذا سفر التثنية يتحدث عن وضع موسى له ولبقية الأسفار في التابوت وكيف يعرف هذا السفر بوصية موسى بالرغم من أنه كتب قبل أن يوضع في التابوت؟

وسفر التثنية يقص هذا الأمر فيقول: (فَعِنْدَمَا كَمَّلَ مُوسَى كِتَابَةَ كَلِمَاتِ هذِهِ التَّوْرَاةِ فِي كِتَابٍ إِلَى تَمَامِهَا، أَمَرَ مُوسَى اللاَّوِيِّينَ حَامِلِي تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ قَائِلاً: «خُذُوا كِتَابَ التَّوْرَاةِ هذَا وَضَعُوهُ بِجَانِبِ تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ إِلهِكُمْ، لِيَكُونَ هُنَاكَ شَاهِدًا عَلَيْكُمْ. لأَنِّي أَنَا عَارِفٌ تَمَرُّدَكُمْ وَرِقَابَكُمُ الصُّلْبَةَ. هُوَ ذَا وَأَنَا بَعْدُ حَيٌّ مَعَكُمُ الْيَوْمَ، قَدْ صِرْتُمْ تُقَاوِمُونَ الرَّبَّ، فَكَمْ

(١) سفر التثنية ٣٤ (٥-١٠). الجواء: أودية واسعة. انظر معجم الألفاظ العسرة للكتاب المقدس صـ٧١.

(٢) الأجوبة الفاخرة للإمام القرافي، تحقيق د/ بكر زكى عوض صـ٢٥٧/ ط/ الأولى سنة ١٩٨٦م.

بِالْحَرِيِّ بَعْدَ مَوْتِي! اِجْمَعُوا إِلَيَّ كُلَّ شُيُوخِ أَسْبَاطِكُمْ وَعُرَفَاءَكُمْ لأَنْطِقَ فِي مَسَامِعِهِمْ بِهذِهِ الْكَلِمَاتِ، وَأُشْهِدَ عَلَيْهِمِ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ. لأَنِّي عَارِفٌ أَنَّكُمْ بَعْدَ مَوْتِي تَفْسِدُونَ وَتَزِيغُونَ عَنِ الطَّرِيقِ الَّذِي أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ، وَيُصِيبُكُمُ الشَّرُّ فِي آخِرِ الأَيَّامِ لأَنَّكُمْ تَعْمَلُونَ الشَّرَّ أَمَامَ الرَّبِّ حَتَّى تُغِيظُوهُ بِأَعْمَالِ أَيْدِيكُمْ». فَنَطَقَ مُوسَى فِي مَسَامِعِ كُلِّ جَمَاعَةِ إِسْرَائِيلَ بِكَلِمَاتِ هذَا النَّشِيدِ إِلَى

تَمَامِهِ)[1].

فهذا دليل على أنه كتب بعد وفاة موسى عليه السلام وليس من تصنيفه. وليس من وحى الله المنزل على موسى عليه السلام.

٤- جاء في سفر التكوين أن الطوفان استمر أربعين يوما وليلة: (انْفَجَرَتْ كُلُّ يَنَابِيعِ الْغَمْرِ الْعَظِيمِ، وَانْفَتَحَتْ طَاقَاتُ السَّمَاءِ. وَكَانَ الْمَطَرُ عَلَى الأَرْضِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً)[2]. في حين تنص الفقرة الرابعة والعشرون من نفس الإصحاح على أن المطر استمر مائة وخمسين يوما (وَتَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ عَلَى الأَرْضِ مِئَةً وَخَمْسِينَ يَوْمًا)[3] فهذا تناقض في سفر واحد وفي إصحاح واحد وفي فقرتين متقاربتين حول موضوع واحد وهذا لا يكون في كتاب إلهي مصدره من الله عز وجل.

٥- وفي سفر الخروج الإصحاح التاسع نجد هذا التناقض أيضا بين نصين في إصحاح واحد، ففي الفقرة السادسة: (وَيُمَيِّزُ الرَّبُّ بَيْنَ مَوَاشِي إِسْرَائِيلَ وَمَوَاشِي الْمِصْرِيِّينَ. فَلاَ

(١) سفر التثنية ٣١ (٢٤-٣٠). والعرفاء: القادة المدنيون، انظر معجم الألفاظ العسرة للكتاب المقدس صـ٥٩.

(٢) سفر التكوين ٧ (١٢).

(٣) سفر التكوين ٧ (٢٤).

يَمُوتُ مِنْ كُلِّ مَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ شَيْءٌ». وَعَيَّنَ الرَّبُّ وَقْتًا قَائِلاً: «غَدًا يَفْعَلُ الرَّبُّ هذَا الأَمْرَ فِي الأَرْضِ». فَفَعَلَ الرَّبُّ هذَا الأَمْرَ فِي الْغَدِ. فَمَاتَتْ جَمِيعُ مَوَاشِي الْمِصْرِيِّينَ. وَأَمَّا مَوَاشِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمْ يَمُتْ مِنْهَا وَاحِدٌ)[1]. وفي الإصحاح نفسه: (فَالَّذِي خَافَ كَلِمَةَ الرَّبِّ مِنْ عَبِيدِ فِرْعَوْنَ هَرَبَ بِعَبِيدِهِ وَمَوَاشِيهِ إِلَى الْبُيُوتِ. وَأَمَّا الَّذِي لَمْ يُوَجِّهْ قَلْبَهُ إِلَى كَلِمَةِ الرَّبِّ فَتَرَكَ عَبِيدَهُ وَمَوَاشِيَهُ فِي الْحَقْلِ.)[2].

فالفقرة الأولى يتضح منها أن مواش المصريين قد ماتت ولم يبق من بهائمهم شيء ولكن الفقرة الثانية يفهم منها خلاف ذلك، وهذا دليل على التضارب والتناقض.

إن هذه النماذج السابقة وغيرها تدل على التناقض والتضارب في نصوص أسفار العهد القديم، بل وفي الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام وهذا يعد من أقوى الأدلة على أن هذه الأسفار كتابات بشرية، يعتريها ما يعترى البشر من الخطأ والنسيان، وما كان مصدره من الله عز وجل لا يكون فيه شيء من ذلك أبدا.

❁❁❁

المطلب الثالث: من مظاهر التحريف في التوراة

إن القارئ لأسفار العهد القديم وخاصة الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى من اليسير جدا أن يلحظ فيها التحريف والتغيير والتبديل، ويكفي دلالة على تحريفها وبراءة موسى عليه السلام من التوراة التي بأيدي اليهود اليوم ما يأتي:

إن هذه التوراة قد وصفت الله عز وجل بأوصاف لا يصح نسبتها إلى خالق السموات والأرض، ومبدع هذا الكون الذي نعيش فيه، فقد وصفت الذات العلية بالجهل والخوف

(١) سفر الخروج ٩ (٥-٦).
(٢) سفر الخروج ٩ (٢٠-٢١).

من البشر، والعهد القديم يصف الذات العلية بالحزن والندم، وصورت التوراة رب العالمين بمن يعمل عملا فيراه مشينا ومعيبا فيندم على ما كان منه وما صدر عنه، كما أنه يحتاج إلى مكان مقدس يسكن فيه حتى يكون في وسط بنى إسرائيل، وقد أنزلت التوراة رب العالمين من عليائه وأجلسته على كرسي، فرأى الحاضرون ربهم جهرة، وشاهدوا الكرسي الذي كان جالسا عليه كالبلور في نقاوته، وأنه قد دعا إلى النصب والاحتيال والحرص، وهو يحرض على الكذب والسرقة، وظلم الناس بغيا وعدوانا، والخلاصة أنها شبهته بأنه إنسان له خصائص البشر.

ولقد تكرر هذا التجسيم بهذا الوصف الخاطئ لله ﷻ والذي فيه مماثلة ومشابهة صريحة، ومن المحال أن يكتب الله ﷻ ذلك عن نفسه في كتاب ينسب إليه(١).

فهل يعقل أن مثل هذه الأوصاف الواهية، قد صدرت عن الله ﷻ؟ وهل يعقل أن يصدر هذا عن موسى عليه السلام الذي اختاره الله رسولا ليبلغ دعوته؟.

ليس هذا فحسب بل لقد اتهمت التوراة رسل الله -المصطفين الأخيار- بصفات يتنزه عنها الإنسان العادي، حتى الذين كتبوا هذه التوراة يأنفون أن يكونوا بمثل هذه الصورة، فما بالك برسل الله الذين اختارهم واصطفاهم لقيادة بنى إسرائيل إلى طريق الخير وحثهم على حسن الخلق، ونهيهم عن سيء الأعمال.

١- فقد نسبت التوراة إلى نوح عليه السلام السكر والعرى كما جاء في سفر التكوين: (وَابْتَدَأَ نُوحٌ يَكُونُ فَلاَّحًا وَغَرَسَ كَرْمًا. وَشَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ فَسَكِرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خِبَائِهِ. فَأَبْصَرَ حَامٌ أَبُو كَنْعَانَ عَوْرَةَ أَبِيهِ، وَأَخْبَرَ أَخَوَيْهِ خَارِجًا. فَأَخَذَ سَامٌ وَيَافَثُ الرِّدَاءَ وَوَضَعَاهُ عَلَى أَكْتَافِهِمَا

(١) انظر تفاصيل ذلك في المبحث الثاني.

وَمَشَيَا إِلَى الْوَرَاءِ، وَسَتَرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا وَوَجْهَاهُمَا إِلَى الْوَرَاءِ. فَلَمْ يُبْصِرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا. فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ، عَلِمَ مَا فَعَلَ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ، فَقَالَ: «مَلْعُونٌ كَنْعَانُ! عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لإِخْوَتِهِ». وَقَالَ: «مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ سَامٍ. وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ. لِيَفْتَحِ اللهُ لِيَافَثَ فَيَسْكُنَ فِي مَسَاكِنِ سَامٍ، وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ)[1].

٢- واتهمت هذه التوراة إبراهيم بأنه سجد لغير الله ﷻ فيذكر سفر التكوين: (فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ وَسَجَدَ لِشَعْبِ الأَرْضِ، لِبَنِي حِثَّ)[2].

٣- ونسبت إلى لوط أن ابنتيه وقعتا معه في الفاحشة من أجل تحصيل النسل لعمارة الأرض فيذكر سفر التكوين: (وَصَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوغَرَ وَسَكَنَ فِي الْجَبَلِ، وَابْنَتَاهُ مَعَهُ، لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرَ. فَسَكَنَ فِي الْمَغَارَةِ هُوَ وَابْنَتَاهُ. وَقَالَتِ الْبِكْرُ لِلصَّغِيرَةِ: «أَبُونَا قَدْ شَاخَ، وَلَيْسَ فِي الأَرْضِ رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ الأَرْضِ. هَلُمَّ نَسْقِي أَبَانَا خَمْرًا وَنَضْطَجِعُ مَعَهُ، فَنُحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلاً». فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَدَخَلَتِ الْبِكْرُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَ أَبِيهَا، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا. وَحَدَثَ فِي الْغَدِ أَنَّ الْبِكْرَ قَالَتْ لِلصَّغِيرَةِ: «إِنِّي قَدِ اضْطَجَعْتُ الْبَارِحَةَ مَعَ أَبِي. نَسْقِيهِ خَمْرًا اللَّيْلَةَ أَيْضًا فَادْخُلِي اضْطَجِعِي مَعَهُ، فَنُحْيِيَ مِنْ أَبِينَا نَسْلاً». فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضًا، وَقَامَتِ الصَّغِيرَةُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَهُ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلاَ بِقِيَامِهَا، فَحَبِلَتِ ابْنَتَا لُوطٍ مِنْ أَبِيهِمَا. فَوَلَدَتِ

(١) سفر التكوين ٩ (٢٠-٢٧). الكرم: شجر العنب. والخباء: الخيمة. انظر معجم الألفاظ العسرة للكتاب المقدس صـ٦.

(٢) سفر التكوين ٢٣ (٧).

الْبِكْرُ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «مُوآبَ»، وَهُوَ أَبُو الْمُوآبِيِّينَ إِلَى الْيَوْمِ. وَالصَّغِيرَةُ أَيْضًا وَلَدَتِ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «بِنْ عَمِّي»، وَهُوَ أَبُو بَنِي عَمُّونَ إِلَى الْيَوْمِ)[1].

بل إن هذه التوراة اتهمت لوطا عليه السلام بأنه قد عرض بناته على أهل سدوم ليفعلوا معهن الفاحشة، فيذكر سفر التكوين (فَنَادَوْا لُوطًا وَقَالُوا لَهُ: «أَيْنَ الرَّجُلاَنِ اللَّذَانِ دَخَلاَ إِلَيْكَ اللَّيْلَةَ؟ أَخْرِجْهُمَا إِلَيْنَا لِنَعْرِفَهُمَا». فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ لُوطٌ إِلَى الْبَابِ وَأَغْلَقَ الْبَابَ وَرَاءَهُ وَقَالَ: «لاَ تَفْعَلُوا شَرًّا يَا إِخْوَتِي. هُوَ ذَا لِي ابْنَتَانِ لَمْ تَعْرِفَا رَجُلاً. أُخْرِجُهُمَا إِلَيْكُمْ فَافْعَلُوا بِهِمَا كَمَا يَحْسُنُ فِي عُيُونِكُمْ. وَأَمَّا هذَانِ الرَّجُلاَنِ فَلاَ تَفْعَلُوا بِهِمَا شَيْئًا، لأَنَّهُمَا قَدْ دَخَلاَ تَحْتَ ظِلِّ سَقْفِي»)[2].

٤- ولقد اتهمت هذه التوراة يعقوب عليه السلام بالكذب على أبيه والاحتيال على سرقة النبوة، وفي ذلك جاء في سفر التكوين: (فَدَخَلَ إِلَى أَبِيهِ وَقَالَ: «يَا أَبِي». فَقَالَ: «هأَنَذَا. مَنْ أَنْتَ يَا ابْنِي؟» فَقَالَ يَعْقُوبُ لأَبِيهِ: «أَنَا عِيسُو بِكْرُكَ. قَدْ فَعَلْتُ كَمَا كَلَّمْتَنِي. قُمِ اجْلِسْ وَكُلْ مِنْ صَيْدِي لِكَيْ تُبَارِكَنِي نَفْسُكَ». فَقَالَ إِسْحَاقُ لابْنِهِ: «مَا هذَا الَّذِي أَسْرَعْتَ لِتَجِدَ يَا ابْنِي؟» فَقَالَ: «إِنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ قَدْ يَسَّرَ لِي». فَقَالَ إِسْحَاقُ لِيَعْقُوبَ: «تَقَدَّمْ لأَجُسَّكَ يَا ابْنِي. أَأَنْتَ هُوَ ابْنِي عِيسُو أَمْ لاَ؟». فَتَقَدَّمَ يَعْقُوبُ إِلَى إِسْحَاقَ أَبِيهِ، فَجَسَّهُ وَقَالَ: «الصَّوْتُ صَوْتُ يَعْقُوبَ، وَلكِنَّ الْيَدَيْنِ يَدَا عِيسُو». وَلَمْ يَعْرِفْهُ لأَنَّ يَدَيْهِ كَانَتَا مُشْعِرَتَيْنِ كَيَدَيْ عِيسُو أَخِيهِ، فَبَارَكَهُ. وَقَالَ: «هَلْ أَنْتَ هُوَ ابْنِي عِيسُو؟» فَقَالَ: «أَنَا هُوَ». فَقَالَ: «قَدِّمْ لِي لآكُلَ مِنْ صَيْدِ ابْنِي حَتَّى تُبَارِكَكَ نَفْسِي». فَقَدَّمَ لَهُ فَأَكَلَ، وَأَحْضَرَ لَهُ خَمْرًا فَشَرِبَ. فَقَالَ لَهُ إِسْحَاقُ

(١) سفر التكوين ١٩ (٣٠-٣٨).

(٢) سفر التكوين ١٩ (٥-٨). لنعرفهما: أي لكي نمارس الجنس معهما. انظر معجم الألفاظ العسرة للكتاب المقدس صـ٩.

أَبُوهُ: «تَقَدَّمْ وَقَبِّلْنِي يَا ابْنِي». فَتَقَدَّمَ وَقَبَّلَهُ، فَشَمَّ رَائِحَةَ ثِيَابِهِ وَبَارَكَهُ، وَقَالَ: «انْظُرْ! رَائِحَةُ ابْنِي كَرَائِحَةِ حَقْل قَدْ بَارَكَهُ الرَّبُّ. فَلْيُعْطِكَ اللهُ مِنْ نَدَى السَّمَاءِ وَمِنْ دَسَمِ الأَرْضِ. وَكَثْرَةَ حِنْطَةٍ وَخَمْرٍ. لِيُسْتَعْبَدْ لَكَ شُعُوبٌ، وَتَسْجُدْ لَكَ قَبَائِلُ. كُنْ سَيِّدًا لإِخْوَتِكَ، وَلْيَسْجُدْ لَكَ بَنُو أُمِّكَ. لِيَكُنْ لاَعِنُوكَ مَلْعُونِينَ، وَمُبَارِكُوكَ مُبَارَكِينَ»)[1].

٥- ولقد اتهمت هذه التوراة هارون بأنه هو الذي صنع العجل لبنى إسرائيل كما جاء في سفر الخروج: (وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي النُّزُولِ مِنَ الْجَبَلِ، اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وَقَالُوا لَهُ: «قُمِ اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، لأَنَّ هذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لاَ نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ». فَقَالَ لَهُمْ هَارُونُ: «انْزِعُوا أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَاتُونِي بِهَا». فَنَزَعَ كُلُّ الشَّعْبِ أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ وَأَتَوْا بِهَا إِلَى هَارُونَ. فَأَخَذَ ذلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالإِزْمِيلِ، وَصَنَعَهُ عِجْلاً مَسْبُوكًا. فَقَالُوا: «هذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ». فَلَمَّا نَظَرَ هَارُونُ بَنَى مَذْبَحًا أَمَامَهُ، وَنَادَى هَارُونُ وَقَالَ: «غَدًا عِيدٌ لِلرَّبِّ». فَبَكَّرُوا فِي الْغَدِ وَأَصْعَدُوا مُحْرَقَاتٍ وَقَدَّمُوا ذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ. وَجَلَسَ الشَّعْبُ لِلأَكْلِ وَالشُّرْبِ ثُمَّ قَامُوا لِلَّعِبِ)[2] وجاء فيه أيضا: (فَضَرَبَ الرَّبُّ الشَّعْبَ، لأَنَّهُمْ صَنَعُوا الْعِجْلَ الَّذِي صَنَعَهُ هَارُونُ)[3].

٦- كما رمت موسى وهارون بالخيانة لله ﷻ: (وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى فِي نَفْسِ ذلِكَ الْيَوْمِ قَائِلاً: «اِصْعَدْ إِلَى جَبَلِ عَبَارِيمَ هذَا، جَبَلِ نَبُو الَّذِي فِي أَرْضِ مُوآبَ الَّذِي قُبَالَةَ أَرِيحَا، وَانْظُرْ

(١) سفر التكوين ٢٧ (١٨ - ٢٩)، وانظر الإصحاح ٢٨، ٢٩، ٤٢، ٤٦.

(٢) سفر الخروج ٣٢ (١-٦)، وتصويبا لهذا الباطل انظر سورة طه، الآيات (٨٧-٩٨) والأقراط: حلقات معدنية تعلق في شحمة الأذن انظر معجم الألفاظ العسرة للكتاب المقدس صـ٣٣.

(٣) سفر الخروج ٣٢ (٣٥).

أَرْضَ كَنْعَانَ الَّتِي أَنَا أُعْطِيهَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مُلْكًا، وَمُتْ فِي الْجَبَلِ الَّذِي تَصْعَدُ إِلَيْهِ، وَانْضَمَّ إِلَى قَوْمِكَ، كَمَا مَاتَ هَارُونُ أَخُوكَ فِي جَبَلِ هُورٍ وَضُمَّ إِلَى قَوْمِهِ. لأَنَّكُمَا خُنْتُمَانِي فِي وَسَطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عِنْدَ مَاءِ مَرِيبَةِ قَادَشَ فِي بَرِّيَّةِ صِينٍ، إِذْ لَمْ تُقَدِّسَانِي فِي وَسَطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. ٥إِنَّكَ تَنْظُرُ الأَرْضَ مِنْ قُبَالَتِهَا، وَلكِنَّكَ لاَ تَدْخُلُ إِلَى هُنَاكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنَا أُعْطِيهَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ»)[1].

٧- واتهمت التوراة داود بالزنى والقتل، يقول سفر صموائيل عن داود عليه السلام: (وَكَانَ عِنْدَ تَمَامِ السَّنَةِ، فِي وَقْتِ خُرُوجِ الْمُلُوكِ، أَنَّ دَاوُدَ أَرْسَلَ يُوآبَ وَعَبِيدَهُ مَعَهُ وَجَمِيعَ إِسْرَائِيلَ، فَأَخْرَبُوا بَنِي عَمُّونَ وَحَاصَرُوا رِبَّةَ. وَأَمَّا دَاوُدُ فَأَقَامَ فِي أُورُشَلِيمَ. وَكَانَ فِي وَقْتِ الْمَسَاءِ أَنَّ دَاوُدَ قَامَ عَنْ سَرِيرِهِ وَتَمَشَّى عَلَى سَطْحِ بَيْتِ الْمُلْكِ، فَرَأَى مِنْ عَلَى السَّطْحِ امْرَأَةً تَسْتَحِمُّ. وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ جَمِيلَةَ الْمَنْظَرِ جِدًّا. فَأَرْسَلَ دَاوُدُ وَسَأَلَ عَنِ الْمَرْأَةِ، فَقَالَ وَاحِدٌ: «أَلَيْسَتْ هذِهِ بَثْشَبَعَ بِنْتَ أَلِيعَامَ امْرَأَةَ أُورِيَّا الْحِثِّيِّ؟». فَأَرْسَلَ دَاوُدُ رُسُلاً وَأَخَذَهَا، فَدَخَلَتْ إِلَيْهِ، فَاضْطَجَعَ مَعَهَا وَهِيَ مُطَهَّرَةٌ مِنْ طَمْثِهَا. ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا. وَحَبِلَتِ الْمَرْأَةُ، فَأَرْسَلَتْ وَأَخْبَرَتْ دَاوُدَ وَقَالَتْ: «إِنِّي حُبْلَى». فَأَرْسَلَ دَاوُدُ إِلَى يُوآبَ يَقُولُ: «أَرْسِلْ إِلَيَّ أُورِيَّا الْحِثِّيَّ». فَأَرْسَلَ يُوآبُ أُورِيَّا إِلَى دَاوُدَ. فَأَتَى أُورِيَّا إِلَيْهِ، فَسَأَلَ دَاوُدُ عَنْ سَلاَمَةِ يُوآبَ وَسَلاَمَةِ الشَّعْبِ وَنَجَاحِ الْحَرْبِ. وَقَالَ دَاوُدُ لأُورِيَّا: «انْزِلْ إِلَى بَيْتِكَ وَاغْسِلْ رِجْلَيْكَ». فَخَرَجَ أُورِيَّا مِنْ بَيْتِ الْمَلِكِ، وَخَرَجَتْ وَرَاءَهُ حِصَّةٌ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ. وَنَامَ أُورِيَّا عَلَى بَابِ بَيْتِ الْمَلِكِ مَعَ جَمِيعِ عَبِيدِ سَيِّدِهِ، وَلَمْ يَنْزِلْ إِلَى بَيْتِهِ. فَأَخْبَرُوا دَاوُدَ قَائِلِينَ: «لَمْ يَنْزِلْ أُورِيَّا إِلَى بَيْتِهِ». فَقَالَ دَاوُدُ لأُورِيَّا: «أَمَا جِئْتَ مِنَ السَّفَرِ؟ فَلِمَاذَا لَمْ تَنْزِلْ إِلَى بَيْتِكَ؟» فَقَالَ أُورِيَّا لِدَاوُدَ: «إِنَّ التَّابُوتَ

(١) سفر التثنية ٣٢ (٤٨-٥٢).

وَإِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا سَاكِنُونَ فِي الْخِيَامِ، وَسَيِّدِي يُوآبُ وَعَبِيدُ سَيِّدِي نَازِلُونَ عَلَى وَجْهِ الصَّحْرَاءِ، وَأَنَا آتِي إِلَى بَيْتِي لآكُلَ وَأَشْرَبَ وَأَضْطَجِعَ مَعَ امْرَأَتِي؟ وَحَيَاتِكَ وَحَيَاةِ نَفْسِكَ، لاَ أَفْعَلُ هذَا الأَمْرَ». فَقَالَ دَاوُدُ لأُورِيَّا: «أَقِمْ هُنَا الْيَوْمَ أَيْضًا، وَغَدًا أُطْلِقُكَ». فَأَقَامَ أُورِيَّا فِي أُورُشَلِيمَ ذلِكَ الْيَوْمَ وَغَدَهُ. وَدَعَاهُ دَاوُدُ فَأَكَلَ أَمَامَهُ وَشَرِبَ وَأَسْكَرَهُ. وَخَرَجَ عِنْدَ الْمَسَاءِ لِيَضْطَجِعَ فِي مَضْجَعِهِ مَعَ عَبِيدِ سَيِّدِهِ، وَإِلَى بَيْتِهِ لَمْ يَنْزِلْ. وَفِي الصَّبَاحِ كَتَبَ دَاوُدُ مَكْتُوبًا إِلَى يُوآبَ وَأَرْسَلَهُ بِيَدِ أُورِيَّا. وَكَتَبَ فِي الْمَكْتُوبِ يَقُولُ: «اجْعَلُوا أُورِيَّا فِي وَجْهِ الْحَرْبِ الشَّدِيدَةِ، وَارْجِعُوا مِنْ وَرَائِهِ فَيُضْرَبَ وَيَمُوتَ». وَكَانَ فِي مُحَاصَرَةِ يُوآبَ الْمَدِينَةَ أَنَّهُ جَعَلَ أُورِيَّا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي عَلِمَ أَنَّ رِجَالَ الْبَأْسِ فِيهِ. فَخَرَجَ رِجَالُ الْمَدِينَةِ وَحَارَبُوا يُوآبَ، فَسَقَطَ بَعْضُ الشَّعْبِ مِنْ عَبِيدِ دَاوُدَ، وَمَاتَ أُورِيَّا الْحِثِّيُّ أَيْضًا. فَأَرْسَلَ يُوآبُ وَأَخْبَرَ دَاوُدَ بِجَمِيعِ أُمُورِ الْحَرْبِ. وَأَوْصَى الرَّسُولَ قَائِلاً: «عِنْدَمَا تَفْرَغُ مِنَ الْكَلاَمِ مَعَ الْمَلِكِ عَنْ جَمِيعِ أُمُورِ الْحَرْبِ، فَإِنِ اشْتَعَلَ غَضَبُ الْمَلِكِ، وَقَالَ لَكَ: لِمَاذَا دَنَوْتُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ لِلْقِتَالِ؟ أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّهُمْ يَرْمُونَ مِنْ عَلَى السُّورِ؟ مَنْ قَتَلَ أَبِيمَالِكَ بْنَ يَرُبُّوشَثَ؟ أَلَمْ تَرْمِهِ امْرَأَةٌ بِقِطْعَةِ رَحًى مِنْ عَلَى السُّورِ فَمَاتَ فِي تَابَاصَ؟ لِمَاذَا دَنَوْتُمْ مِنَ السُّورِ؟ فَقُلْ: قَدْ مَاتَ عَبْدُكَ أُورِيَّا الْحِثِّيُّ أَيْضًا».

فَذَهَبَ الرَّسُولُ وَدَخَلَ وَأَخْبَرَ دَاوُدَ بِكُلِّ مَا أَرْسَلَهُ فِيهِ يُوآبُ. وَقَالَ الرَّسُولُ لِدَاوُدَ: «قَدْ تَجَبَّرَ عَلَيْنَا الْقَوْمُ وَخَرَجُوا إِلَيْنَا إِلَى الْحَقْلِ فَكُنَّا عَلَيْهِمْ إِلَى مَدْخَلِ الْبَابِ. فَرَمَى الرُّمَاةُ عَبِيدَكَ مِنْ عَلَى السُّورِ، فَمَاتَ الْبَعْضُ مِنْ عَبِيدِ الْمَلِكِ، وَمَاتَ عَبْدُكَ أُورِيَّا الْحِثِّيُّ أَيْضًا». فَقَالَ دَاوُدُ لِلرَّسُولِ: « هكَذَا تَقُولُ لِيُوآبَ: لاَ يَسُؤْ فِي عَيْنَيْكَ هذَا الأَمْرُ، لأَنَّ السَّيْفَ يَأْكُلُ هذَا وَذَاكَ. شَدِّدْ قِتَالَكَ عَلَى الْمَدِينَةِ وَأَخْرِبْهَا. وَشَدِّدْهُ». فَلَمَّا سَمِعَتِ امْرَأَةُ أُورِيَّا أَنَّهُ قَدْ مَاتَ

أُورِيَّا رَجُلُهَا، نَدَبَتْ بَعْلَهَا. وَلَمَّا مَضَتِ الْمُنَاحَةُ أَرْسَلَ دَاوُدُ وَضَمَّهَا إِلَى بَيْتِهِ، وَصَارَتْ لَهُ امْرَأَةً وَوَلَدَتْ لَهُ ابْنًا. وَأَمَّا الأَمْرُ الَّذِي فَعَلَهُ دَاوُدُ فَقَبُحَ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ)[1].

وبعد أن اتهمت التوراة داود بالزنى والقتل تشهد له بعد ذلك بأحسن الشهادات، فجاء في نفس السفر السابق على لسان داود عليه السلام: (يُكَافِئُنِي الرَّبُّ حَسَبَ بِرِّي. حَسَبَ طَهَارَةِ يَدَيَّ يَرُدُّ عَلَيَّ. لأَنِّي حَفِظْتُ طُرُقَ الرَّبِّ، وَلَمْ أَعْصِ إِلهِي. لأَنَّ جَمِيعَ أَحْكَامِهِ أَمَامِي، وَفَرَائِضُهُ لاَ أَحِيدُ عَنْهَا. وَأَكُونُ كَامِلاً لَدَيْهِ، وَأَتَحَفَّظُ مِنْ إِثْمِي. فَيَرُدُّ الرَّبُّ عَلَيَّ كَبِرِّي، وَكَطَهَارَتِي أَمَامَ عَيْنَيْهِ. «مَعَ الرَّحِيمِ تَكُونُ رَحِيمًا. مَعَ الرَّجُلِ الْكَامِلِ تَكُونُ كَامِلاً. مَعَ الطَّاهِرِ تَكُونُ طَاهِرًا، وَمَعَ الأَعْوَجِ تَكُونُ مُلْتَوِيًا)[2].

٨- كما أن التوراة تحتوى على عبارات الغزل والمجون الفاحش، الذي يخدش الحياء، ويجعل القارئ له يستبعد أن يعتقد أن مثل هذا الكلام يكون في كتاب منزل من عند الله عز وجل جاء في نشيد الإنشاد: (فِي اللَّيْلِ عَلَى فِرَاشِي طَلَبْتُ مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي. طَلَبْتُهُ فَمَا وَجَدْتُهُ. إِنِّي أَقُومُ وَأَطُوفُ فِي الْمَدِينَةِ، فِي الأَسْوَاقِ وَفِي الشَّوَارِعِ، أَطْلُبُ مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي. طَلَبْتُهُ فَمَا وَجَدْتُهُ. وَجَدَنِي الْحَرَسُ الطَّائِفُ فِي الْمَدِينَةِ، فَقُلْتُ: «أَرَأَيْتُمْ مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي؟» فَمَا جَاوَزْتُهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً حَتَّى وَجَدْتُ مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي، فَأَمْسَكْتُهُ وَلَمْ أُرْخِهِ، حَتَّى أَدْخَلْتُهُ بَيْتَ أُمِّي وَحُجْرَةَ مَنْ حَبِلَتْ بِي. أُحَلِّفُكُنَّ يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ بِالظِّبَاءِ وَبِأَيَائِلِ الْحَقْلِ، أَلاَّ تُيَقِّظْنَ وَلاَ تُنَبِّهْنَ الْحَبِيبَ حَتَّى يَشَاءَ)[3].

(١) سفر صموائيل الثاني ١١ (١-٢٧).

(٢) سفر صموائيل الثاني ٢٢ (٢١-٢٧).

(٣) نشيد الإنشاد ٣ (١-٥)، وانظر الإصحاح الرابع والخامس والسادس والسابع من نفس السفر.

إن مثل هذه العبارات تهيج الشهوة، وتحرك الساكن، مما جعلت كثيرا من العلماء يقفون منها موقف الدهشة والاستنكار، يقول ديوارنت: (وفي هذه الكتابات الغرامية العجيبة مجال واسع للحدس والتخمين، فقد تكون مجموعة من الأغاني البابلية الأصل... وقد تكون من وضع جماعة من شعراء الغزل العبرانيين، ومهما يكن أصلها فإن وجودها في التوراة سر خفي... ولسنا ندرى كيف غفل أو تغافل رجال الدين عما في هذه الأغاني من عواطف شهوانية فأجازوا وضعها بين أقوال (أشعياء وأرمياء))[1].

إن القارئ لهذه النصوص يعتقد أن هذه البراهين والاعترافات والشواهد أكدت ما ذكرته سابقا من أن التحريف في التوراة قد أفقدها صحتها وربانيتها، وما نقلته من نصوص سابقة يدل على ذلك دلالة صريحة وواضحة.

شهادة التوراة على نفسها بالتحريف:

وهذه بعض النصوص من التوراة نفسها، شهادة منها على ما قام به أصحابها من التحريف بصريح العبارة، ففي سفر التثنية جاءت هذه الشهادة الواضحة التي تنبئ بالانحراف عن الطريق السوي بالفساد والإفساد: (اِجْمَعُوا إِلَيَّ كُلَّ شُيُوخِ أَسْبَاطِكُمْ وَعُرَفَاءَكُمْ لأَنْطِقَ فِي مَسَامِعِهِمْ بِهذِهِ الْكَلِمَاتِ، وَأُشْهِدَ عَلَيْهِمِ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ. لأَنِّي عَارِفٌ أَنَّكُمْ بَعْدَ مَوْتِي تَفْسِدُونَ وَتَزِيغُونَ عَنِ الطَّرِيقِ الَّذِي أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ، وَيُصِيبُكُمُ الشَّرُّ فِي آخِرِ الأَيَّامِ لأَنَّكُمْ تَعْمَلُونَ الشَّرَّ أَمَامَ الرَّبِّ حَتَّى تُغِيظُوهُ بِأَعْمَالِ أَيْدِيكُمْ». فَنَطَقَ مُوسَى فِي مَسَامِعِ كُلِّ جَمَاعَةِ إِسْرَائِيلَ بِكَلِمَاتِ هذَا النَّشِيدِ إِلَى تَمَامِهِ)[2].

(١) انظر قصة الحضارة ول ديوارنت ٣٨٨/٣. مصدر سابق.

(٢) سفر التثنية ٣١ (٢٨-٣٠).

وفي سفر أشعياء: (وَيْلٌ لِلَّذِينَ يَتَعَمَّقُونَ لِيَكْتُمُوا رَأْيَهُمْ عَنِ الرَّبِّ، فَتَصِيرُ أَعْمَالُهُمْ فِي الظُّلْمَةِ، وَيَقُولُونَ: «مَنْ يُبْصِرُنَا وَمَنْ يَعْرِفُنَا؟». يَا لَتَحْرِيفِكُمْ)[1]. وفي سفر المزامير: (مَاذَا يَصْنَعُهُ بِي الْبَشَرُ؟ الْيَوْمَ كُلَّهُ يُحَرِّفُونَ كَلاَمِي.)[2] وفي سفر أرمياء: (أَمَّا وَحْيُ الرَّبِّ فَلاَ تَذْكُرُوهُ بَعْدُ، لأَنَّ كَلِمَةَ كُلِّ إِنْسَانٍ تَكُونُ وَحْيَهُ، إِذْ قَدْ حَرَّفْتُمْ كَلاَمَ الإِلهِ الْحَيِّ رَبِّ الْجُنُودِ إِلهِنَا)[3] وفي سفر أرمياء: (كَيْفَ تَقُولُونَ: نَحْنُ حُكَمَاءُ وَشَرِيعَةُ الرَّبِّ مَعَنَا؟ حَقًّا إِنَّهُ إِلَى الْكَذِبِ حَوَّلَهَا قَلَمُ الْكَتَبَةِ الْكَاذِبُ)[4] وفي سفر أرمياء: (فَلاَ تَسْمَعُوا لِكَلاَمِ الأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ يُكَلِّمُونَكُمْ قَائِلِينَ: لاَ تَخْدِمُوا مَلِكَ بَابِلَ، لأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَتَنَبَّأُونَ لَكُمْ بِالْكَذِبِ. لأَنِّي لَمْ أُرْسِلْهُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ، بَلْ هُمْ يَتَنَبَّأُونَ بِاسْمِي بِالْكَذِبِ، لِكَيْ أَطْرُدَكُمْ فَتَهْلِكُوا أَنْتُمْ وَالأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ يَتَنَبَّأُونَ لَكُمْ»)[5].

إن النصوص السابقة لها دلالات قوية على بطلان التوراة الحالية ووقوع التحريف فيها، حيث إن هذه النصوص ليست من أقوال المسلمين حتى يتهم القائل بالتعصب الأعمى بل إنها نصوص منثورة داخل أسفار العهد القديم وإصحاحاته، فكيف نهمل هذه النصوص؟ وكيف نأخذ بعضا ونترك بعضا؟ إما أن تكون هذه النصوص من مصادرهم وإما ألا تكون، فإن كانت فما موقفهم منها؟ وإن لم تكن فلم الإبقاء عليها؟.

وبعد شهادة التوراة على نفسها بالتحريف، تجدر الإشارة إلى موقف القرآن الكريم من تحريف التوراة، أو أسفار العهد القديم. ❁❁❁

(١) سفر أشعياء ٢٩ (١٥-١٦).
(٢) سفر المزامير ٥٦ (٤-٥).
(٣) سفر أرمياء ٢٣ (٣٦).
(٤) سفر أرمياء ٨ (٨).
(٥) سفر أرمياء ٢٧ (١٤-١٥).

المطلب الرابع: موقف القرآن الكريم من تحريف التوراة

تبين من الدراسة السابقة أن توراة موسى قد فقدت، وأن التوراة الموجودة الآن أو التي بيد اليهود اليوم لم تقم على نقل صحيح، وليس لها سند متواتر، وتدخلت فيها أيدي الأحبار والكهنة، وتأثرت بما حل ببني إسرائيل من حروب ودمار وتشريد، ولذلك ليست هذه التوراة معصومة من الخطأ ولا من التحريف، لدرجة أنه أصبح كلام البشر فيها أكثر من كلام الله ﷻ والتضارب والتناقض فيها أكثر من التطابق والتناسق.

ولقد سجل القرآن الكريم هذا التحريف في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾[1] وقال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ﴾[3].

فهذه الآيات تؤكد تحريف اليهود للتوراة، كما أنها تصفهم بكتمان الحق الذي أودعه الله تعالى فيها، وأنهم نسوا حظا من هذا الوحي الإلهي المنزل.

---

(١) سورة البقرة الآيتان (٧٥-٧٦).

(٢) سورة المائدة الآية (١٣).

(٣) سورة المائدة الآية (٤١).

وفي السنة أيضا ما يؤكد هذا التحريف فعن ابن عباس قال: (يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل الله على نبيكم ﷺ أحدث الأخبار بالله محضا لم يشب، و قد حدثكم الله أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتب الله وغيروا فكتبوا بأيديهم، قالوا: هو من عند الله ليشتروا بذلك ثمنا قليلا، أو لا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم فلا والله ما رأينا رجلا منهم يسألكم عن الذي أنزل عليكم)(١).

ويقول الإمام بن قيم الجوزية: (إن هذه التوراة التي بأيدي اليهود فيها من الزيادة والتحريف والنقصان ما لا يخفى على الراسخين في العلم، وهم يعلمون قطعا أن ذلك ليس في التوراة التي انزلها الله على موسى)(٢).

فالقول بتحريف التوراة أصبح من الأمور المقطوع بها، وذلك لإخبار القرآن الكريم به وتأكيد السنة النبوية له، وشهادة العلماء ومن نماذج التحريف التي ذكرها القرآن الكريم ما يلي:(٣)

١ – إلباس الحق بالباطل والباطل بالحق. ٢ – كتمان الحق.

٣– إخفاء الحق. ٤ – ليّ اللسان. ٥ – تحريف الكلم عن مواضعه.

(١) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب التوحيد ٥٠٥/١٣ (٧٥٢٣). ومعنى لم يشب: أي لم يخالطه غيره انظر فتح الباري في شرح الحديث ٥٠٥/١٣.

(٢) هداية الحيارى في أجوبة اليهود و النصارى لابن قيم الجوزية صـ٣١١ تحقيق ودراسة د/ محمد أحمد الحاج ط/ دار القلم دمشق ط/ الأولى سنة١٤١٦هـ–١٩٩٦م.

(٣) انظرها مفصلة في إظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي ٥٤١/٢–٤٢٥ تحقيق د/ محمد ملكاوي. وانظر هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن قيم الجوزية صـ٣١٢ تحقيق ودراسة د/ محمد أحمد الحاج. وانظر التوراة دراسة وتحليل، د/ محمد شلبي شتيوي، صـ٧٤–١٠٢.

١ - إلباس الحق بالباطل والباطل بالحق:-

لقد ألبس بنو إسرائيل الصواب بالخطأ، والهدى بالضلال، والحق بالباطل، والمنكر بالمعروف، وذلك لحاجة في نفوسهم، يصبون إلى تحقيقها، وقد جاء عنهم ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾[1].

واليهود قد خلطوا الحق بالباطل والصدق بالكذب في توراتهم، وما جاء في سفر الخروج من نسبة صناعة العجل إلى هارون يؤكد ذلك، يقول سفر الخروج: (وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي النُّزُولِ مِنَ الْجَبَلِ، اجْتَمَعَ الشَّعْبُ عَلَى هَارُونَ وَقَالُوا لَهُ: «قُمِ اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، لأَنَّ هذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لاَ نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ». فَقَالَ لَهُمْ هَارُونُ: «انْزِعُوا أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَائِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَاتُونِي بِهَا». فَنَزَعَ كُلُّ الشَّعْبِ أَقْرَاطَ الذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ وَأَتَوْا بِهَا إِلَى هَارُونَ. ٤ فَأَخَذَ ذلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالإِزْمِيلِ، وَصَنَعَهُ عِجْلاً مَسْبُوكًا. فَقَالُوا: «هذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ». فَلَمَّا نَظَرَ هَارُونُ بَنَى مَذْبَحًا أَمَامَهُ، وَنَادَى هَارُونُ وَقَالَ: «غَدًا عِيدٌ لِلرَّبِّ». فَبَكَّرُوا فِي الْغَدِ وَأَصْعَدُوا مُحْرَقَاتٍ وَقَدَّمُوا ذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ. وَجَلَسَ الشَّعْبُ لِلأَكْلِ وَالشُّرْبِ ثُمَّ قَامُوا لِلَّعِبِ.)[2].

فانظر إلى إلباسهم الحق بالباطل والباطل بالحق فقد جعلوا من نبيهم هارون عليه السلام داعية إلى عبادة الأوثان والأحجار، مع أن هارون عليه السلام أخو موسى عليه السلام وكلاهما نبي يدعوا إلى التوحيد وتنزيه الله عن الشريك، لكن القوم باءوا بغضب من الله فزيفوا التاريخ

(١) سورة آل عمران الآية (٧١).

(٢) سفر الخروج ٣٢ (١-٦).

ولو كان تاريخ الأنبياء، فنسبوا إلى هارون ما لم يفعله وتجاهلوا ما فعله السامري إلباسا وتضليلا للحق والحقيقة(١).

٢- كتمان الحق:

مما لا ريب فيه أن الصحف التي نزلت على موسى عليه السلام والتي تتمثل في التوراة، كلها حق وصدق وصواب، لكن بنى إسرائيل كان ديدنهم كتمان الحق وعدم الاعتراف به، وقد تحدث القرآن الكريم عنهم في ذلك فقال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾(٢).

واليهود قد قاموا بهذا كله، فالتوراة اشتملت على صفه محمد ﷺ وعلى شمائله، واختيار الله له رسولا للناس أجمعين، وكان بنو إسرائيل يعرفون ذلك كما يعرفون أبناءهم، ولكنهم كانوا يكتمون هذا الحق إذا سئلوا عنه، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۘ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾(٣) وقال تعالى: ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ

(١) تصويبا لهذا الكذب والافتراء من اليهود انظر سورة طه الآيات (٨٣-٩٨).

(٢) سورة البقرة الآيات (٤٠-٤٢).

(٣) سورة البقرة الآية (١٤٦).

وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

جاء في التوراة: (أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَجْعَلُ كَلاَمِي فِي فَمِهِ، فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ)[2]. ومع أنهم كانوا يقفون على وصف رسول الله ﷺ بل يستفتحون به على العرب إلا أنهم كانوا أول المنكرين له، الواقفين في طريق دعوته. فتأولوا هذا النص وحرفوا تأويله كتمانا للحق فقالوا هذه بشارة نبي من بنى إسرائيل.

يتبين من هذا أن كتمان الحق من صفات اليهود الأصلية فقد كتموا وصف الرسول ﷺ الذي جاء في كتبهم، ليس هذا فحسب وإنما كتموا بعض شرائعهم لحاجة في نفوسهم، والقائم بالكتمان هم الأحبار والرهبان، فكيف يسلم كتاب من التحريف والقائمون على أمره وحفظه بهذه الأخلاق والنعوت.

٣ - إخفاء الحق:

لقد جاءت آيات القرآن الكريم موضحة أن بنى إسرائيل كانوا دائما وأبدا يخفون أحكاما أنزلها الله ﷻ وهذا لون من ألوان التحريف وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾[3].

(١) سورة الأعراف الآيتان (١٥٦-١٥٧).

(٢) سفر التثنية ١٨ (١٨-١٩).

(٣) سورة المائدة الآية (١٥).

ومثال هذا الإخفاء الذي وقع فيه بنو إسرائيل، حكم الرجم للزاني المحصن، فقد كان هذا موجودا في التوراة لكنهم أخفوه وذهبوا إلى محمد ﷺ يسألونه عن حكم الله في هذه الجريمة، فطلب منهم ﷺ أن يأتوه بالتوراة حيث الحكم فيها، فلما جيء بالتوراة لرسول الله ﷺ لقراءة الحكم، وضع أحدهم يده عليه إخفاء لحكم الله ﷻ.

روى الإمام مسلم في صحيحه: (أن رسول الله ﷺ أُتى بيهودي ويهودية قد زنيا فانطلق رسول الله ﷺ حتى جاء يهود، فقال: **"ما تجدون في التوراة على من زنى؟"** قالوا: نسود وجوههما ونحملهما ونخالف بين وجهيهما ويطاف بهما، قال: **"فأتوا بالتوراة إن كنتم صادقين"** قال فجاءوا بها فقرؤوها، حتى إذا مر بآية الرجم، وضع الفتى الذي يقرأ يده على آية الرجم وقرأ ما بين يديها وما وراءها، فقال عبد الله بن سلام: وهو مع رسول الله ﷺ مره فليرفع يده فرفعها فإذا تحتها آية الرجم فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما)[1] قال ابن عمر: كنت فيمن رجمهما، فلقد رأيته يقيها من الحجارة بنفسه. يقول ابن كثير: (والصحيح أنها -أي قول الله: وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله- نزلت في اليهوديين اللذين زنيا وكانوا قد بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم من الأمر برجم من أحصن فحرفوه واصطلحوا فيما بينهم على الجلد مائة جلدة، والتحميم، والإركاب على حمارين مقلوبين)[2].

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الحدود، باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنى ٣/ ١٣٢٦ (٢٦-١٦٩٩).

(٢) تفسير ابن كثير ٢/٥٨، والتحميم: يعنى تسويد الوجه، انظر المعجم الوسيط ١/٢٠٢.

٤ – ليّ اللسان:

جاء في معنى الليّ أنه (الفتل واللف)[١] على معنى أن بنى إسرائيل كانوا يلفون ألسنتهم بالتوراة، ويميلون بها عن وجهها، في محاولة زائفة لإضلال الناس، وقد فضحهم القرآن الكريم في ذلك فقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[٢].

ومن صور التحريف بلى اللسان ما سجله القرآن عليهم في قوله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ ﴾[٣].

يقول الإمام القاسمي في تفسيره: (ومن ليهم ما جاء في الحديث أنهم كانوا إذا سلموا يقولون (السام عليكم) والسام هو الموت، ولهذا أمرنا أن نرد عليهم (وعليكم) وإنما يستجاب لنا فيهم ولا يستجاب لهم فينا[٤].

---

(١) المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية ٢/٢٨٠.

(٢) سورة آل عمران الآية (٧٨).

(٣) سورة النساء الآية (٤٦).

(٤) تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل ١/٣٤٣. ط/ مؤسسة التاريخ العربي ط/ الأولى ١٩٩٤م، والحديث أخرجه البخاري بمعناه في كتاب الأدب باب الرفق في الأمر كله ١٠/٤٦٣ (٦٠٢٤).

٥ - تحريف الكلم عن مواضعه:

ويتمثل هذا التحريف حين يحاولون حذف كلمة ووضع كلمة أخرى بديلة عنها، وربما حذفوا جملة كاملة واستعاضوا مكانها جملة أخرى أي أنه تحريف تارة بزيادة وتارة بنقصان، وربما جعلوا موضع الكلمة كلمة أخرى موهمة أكثر من وجه ليتسنى لهم اختيار الوجه المناسب لهم، وهذا التحريف يأتي على أربعة أوجه.

أ - تحريف التبديل:

التبديل كما هو ظاهر من اللفظ وضع شيء مكان شيء، والمقصود به هنا ما كان يقوم به أحبار اليهود من وضع نص مكان نص لمنفعة ترد عليهم، أو نقيصة يدفعونها عن أنفسهم.

فالنصوص التي في أسفار العهد القديم، والتي تصف الله ﷻ بما لا يليق به لا شك أنها كذب صراح، لأن الله ﷻ لا يصف نفسه بسئ الأخلاق ورذائل الفعال.

وكذلك النصوص التي تصف الأنبياء -عليهم السلام- بما يتنافى مع عصمتهم من الزنا والقتل والكذب والخداع والتضليل كل ذلك من تحريف التبديل الذي أوقعه أحبار اليهود في أسفار العهد القديم.

ب - التحريف بالزيادة:

لقد كثرت نسخ التوراة وتعددت واختلفت فيما بينها حتى أن كل نسخة كان لها أتباع مخصوصون، يعتقدون أن نسختهم هي وحدها الصحيحة دون غيرها من النسخ.

ومن الأمثلة الدالة على وقوع التحريف بالزيادة في التوراة التي بأيدي اليهود اليوم، ما جاء في سفر التكوين: (وَهؤُلاَءِ هُمُ الْمُلُوكُ الَّذِينَ مَلَكُوا فِي أَرْضِ أَدُومَ، قَبْلَمَا مَلَكَ مَلِكٌ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ)[1].

فهذا النص يدل على أن الكاتب سطره بعد أن قامت دولة لبنى إسرائيل، ولاشك أن قيام الدولة كان بعد موت موسى عليه السلام بفترة طويلة، فأول دولة قامت لهم في عصر الملوك وكان أول ملوكهم هو شاؤول، وعليه فليست هذه الفقرة التي في سفر التكوين من توراة موسى عليه السلام ولا من تصنيفه.

وقد نقل الشيخ رحمة الله الهندي عن "آدم كلارك" في المجلد الأول في تفسيره تعليقا على هذا النص: (غالب ظني أن موسى عليه السلام ما كتب هذه الآية، والآيات التي بعدها إلى الآية التاسعة والثلاثين، بل هذه الآيات في الباب الأول من السفر الأول من كتاب أخبار الأيام وأظن ظنا قويا قريبا من اليقين أن هذه الآيات كانت مكتوبة على حاشية نسخة صحيحة من التوراة، فظن أنها جزء من المتن فأدخلوها فيه، يقول الشيخ "رحمة الله الهندي" تعليقا على كلام آدم كلارك: "فاعترف هذا المفسر بإلحاق الآيات التسع، وعلى اعترافه يلزم أن كتبهم كانت صالحة للتحريف، لأن هذه الآيات التسع مع عموم كونها من التوراة دخلت فيه وشاعت بعد ذلك في جميع النسخ)[2].

جـ - التحريف بالنقص:

لقد أكد الذين قاموا بالمقارنة بين النسخ العبرية وغيرها من النسخ الأخرى للتوراة أن فيها نقصا لبعض الكلمات أو العبارات، وقد اعترف علماء اليهود بذلك.

---

(١) سفر التكوين ٣٦ (٣١).

(٢) إظهار الحق ٤٦٨/٢.

وقد نقل الشيخ رحمة الله الهندي عن هورن قوله تعليقا على الترجمة اليونانية للتوراة: (وهذه الترجمة كانت تقرأ في الكنيسة اليونانية واللاتينية إلى ألف وخمسمائة، وكان السند يؤخذ منها، وكانت هذه معتبرة في معابد اليهود في أول القرن، ثم لما استدل المسيحيون عليهم من هذه الترجمة أطالوا ألسنتهم على هذا بأنها ليست موافقة للمتن العبري، وجعلوا في ابتداء القرن الثاني يسقطون الفقرات الكثيرة منها ثم تركوها واختاروا ترجمة "أيكوئلا" ولما كانت مستعملة في اليهود إلى أول القرن المسيحي، وفي المسيحيين إلى مدة فكثرت نقولها ووقعت فيها الأغلاط بسبب تحريف صدر عن اليهود قصدا، وكذلك بسبب غلط الكتاب ودخول عبارات الشرح والحاشية في المتن)[1].

هذه هي الأسباب التي من أجلها يرى (هورن) أن علماء اليهودية قاموا بتحريف التوراة، ولعل ذلك يتضح من خلال ما جاء في سفر التكوين حول قضية قتل قابيل أخيه هابيل: (وَكَلَّمَ قَايِينُ هَابِيلَ أَخَاهُ. وَحَدَثَ إِذْ كَانَا فِي الْحَقْلِ أَنَّ قَايِينَ قَامَ عَلَى هَابِيلَ أَخِيهِ وَقَتَلَهُ. ٩فَقَالَ الرَّبُّ لِقَايِينَ: «أَيْنَ هَابِيلُ أَخُوكَ؟» فَقَالَ: «لاَ أَعْلَمُ! أَحَارِسٌ أَنَا لأَخِي؟»)[2].

وبمجرد قراءة هذا النص يلاحظ القارئ أن مقول القول ساقط من النص فماذا قال قابيل لهابيل أخيه؟ تأتى التوراة السامرية واليونانية والتراجم القديمة فتذكر ما قاله قابيل لأخيه هابيل وهذا في النص الذي يقول: (وقال قابيل لهابيل أخيه تعال نخرج إلى الحقل ولما صار في الحقل قام قابيل على هابيل أخيه فقتله).

(١) إظهار الحق رحمة الله الهندي ٥٦٥/٢.

(٢) سفر التكوين ٤ (٨-٩).

(وبالمقارنة بين النص العبري والنص الثاني نرى أن جملة "تعال نخرج إلى الحقل" ساقطة من النسخة العبرية، واستقامة التعبير تقتضى وجود هذه الجملة في النص، كما أن أكثر النسخ قد ذكرت هذه الجملة، وبذلك فالتحريف بالنقص واقع في النسخة العبرية التي يدعى أكثر اليهود صحتها وصدق نقلها ومتانة سندها. قال "هورن": قد تكون عبارة الترجمة اليونانية صحيحة وإن لم توجد في نسخ العبرانية المروجة الآن، مثلا نسخ العبرانية مكتوبة كانت أو مطبوعة ناقصة في الآية المذكورة نقصانا بينا)[1].

د- تحريف التأويل:

ومعنى تحريف التأويل أن يحمل اللفظ على معنى بعيد يصرفه عن معناه الظاهر، وغالبا ما يكون هذا المعنى الجديد بعيدا كل البعد عن المعنى الأصلي، وذلك لعدم وجود قرينة تستدعى ذلك، وقد وفعل بنو إسرائيل ذلك حينما أخضعوا التوراة لأهوائهم.

ومن الأمثلة على تحريف المعنى ما جاء في التوراة عن المكان الذي يبعث فيه النبي المنتظر وهو محمد ﷺ: (جَاءَ الرَّبُّ مِنْ سِينَاءَ، وَأَشْرَقَ لَهُمْ مِنْ سَعِيرَ، وَتَلأْلأَ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ، وَأَتَى مِنْ رِبْوَاتِ الْقُدْسِ، وَعَنْ يَمِينِهِ نَارُ شَرِيعَةٍ لَهُمْ)[2] فأول أحبار اليهود كلمة "فاران" التي هي جبال "مكة" وحملوها على جبال "الشام" من أجل تضليل غيرهم. والتوراة نفسها تشهد بعكس هذا التأويل الفاسد فقد جاء فيها: (أن إسماعيل أقام في برية "فاران" وأنكحته أمه من أرض مصر)[3] ومن المعلوم أن إسماعيل عليه السلام كان يقيم بأرض "مكة" ويعيش على جبالها، "ففاران" ليست جبال الشام وإنما هي جبال مكة.

---

(١) إظهار الحق رحمة الله الهندي ٥٢٢/٢.

(٢) سفر التثنية ٣٣ (٢).

(٣) انظر سفر التكوين الإصحاح (الحادي والعشرون).

فهذه شهادة صريحة من التوراة بنبوة محمد ﷺ ورسالته. ومعنى هذا النص (جاء الرب: المراد به ظهور ملاك الرب على نبيه وتلقينه كلام الله، وأشرق: المراد تجلية الشريعة وتوضيحها، وتلألأ: المراد قمة البيان والهيمنة، وأتى من ربوات القدس: أتى عليه الدهر وأهلكه: وهي إشارة إلى انتقال القبلة من بيت المقدس إلى مكة المكرمة، ومن هيكل سليمان إلى الكعبة المشرفة، وقد أكد المسيح من قبل على خراب أورشليم، وزوال النبوة والكتاب والملك من بنى إسرائيل)(١).

يقول الشهرستاني-رحمه الله- في الملل والنحل: (ولما كانت الأسرار الإلهية والأنوار الربانية في الوحي والتنزيل والمناجاة والتأويل على مراتب ثلاث مبدأ، ووسط، وكمال، والمجيء أشبه بالمبدأ، والظهور والإشراق أشبه بالوسط، والإعلان والتلألأ أشبه بالكمال، عبرت التوراة عن طلوع صبح الشريعة والتنزيل بالمجيء من طور سيناء، وعن طلوع الشمس بالظهور على سعير، وعن البلوغ إلى درجة الكمال بالاستواء والإعلان على فاران، وفي هذه الكلمات إثبات نبوة المسيح عليه السلام والمصطفى ﷺ)(٢).

ونصت التوراة على أنه لم يقم نبي من بنى إسرائيل كموسى عليه السلام فقالت: (وَلَمْ يَقُمْ بَعْدُ نَبِيٌّ فِي إِسْرَائِيلَ مِثْلُ مُوسَى الَّذِي عَرَفَهُ الرَّبُّ وَجْهًا لِوَجْهٍ)(٣).

---

(١) انظر محاضرات في مقارنة الأديان أ/ إبراهيم خليل أحمد، صـ٤٧-٤٨ بتصرف، دار المنار، ط/ الأولى.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ١٨/٢، ط/ مؤسسة الحلبي، والقرآن الكريم أشار إلى هذه الأماكن الثلاثة في سورة التين الآيات (١-٣) ففي وادي التين والزيتون ظهرت نبوة المسيح عليه السلام وفي طور سيناء ظهرت نبوة موسى عليه السلام وفي البلد الأمين ظهرت نبوة محمد (وهذه الأماكن كانت تسمى قديما (سعير- سيناء - فاران).

(٣) سفر التثنية ٣٤ (١٠).

تلك هي أبرز الصور والتحريفات التي وقع فيها اليهود، وشهد بها القرآن الكريم في آيات متعددة، والمتأمل في النص الذي يقدسه اليهود يرى نماذج عديدة لهذه التحريفات بما يند عن الحصر، وما ذكرته منها سابقا قليل من كثير، وقد تكلفت كتب ودراسات متخصصة لعلماء المسلمين وغيرهم بإبراز هذه التحريفات وحصرها، حتى أضحت واضحة جلية لا ينكرها إلا معاند أو مكابر بل إن اليهود والنصارى يشهدون على أنفسهم بالتحريف. فاليهود يرمون النصارى بالتحريف والتبديل، ويتهمونهم بالزيادة والنقصان، كما أن النصارى يصفونهم بمثل الصفات السابقة، وهنا يتبين بوضوح صدق القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾[1].

وبعد...

فمما سبق في هذا المبحث يمكن الجزم دون تردد بأن العهد القديم بجميع أسفاره سواء المتفق عليها بين فرق اليهود أم المختلف فيها ليس وحيا إلهيا من الله ﷻ إلى رسوله موسى عليه السلام.

وقد شهد بذلك ما جاء في متن العهد القديم من تناقض واضطراب يعجز العقل عن فهمه، بالإضافة إلى انقطاع سند أسفاره كلها، نظرا لأسباب وظرف مرت بأمة بنى إسرائيل من أسر وتشتت وتشريد، وقد تعددت صور تحريفهم لتوراة موسى عليه السلام فأحيانا يضيفون إليها وآونة أخرى يحذفون منها، وتارة ثالثة يؤلون المعنى ويوهمون القاريء بغير

(١) سورة البقرة الآية (١١٣).

المطلوب في محاولة لاختيار وجه يتناسب مع نفسياتهم. وبذلك فقدت أسفار العهد القديم أهم خصيصة لها وهي ربانية المصدر والمنهج.

أثر فقدان ربانية العهد القديم:

يترتب على فقدان ربانية العهد القديم أمور منها:-

١- خلوه من الكمال والعصمة، وامتلاؤه بمظاهر النقص والجهالة، والسر في ذلك أنه كتاب بشرى يقتات من قلم كاتبه، كما هو واضح في كل فقرة من فقراته، حيث إن الإنسان من صفاته الضعف والنقص والنسيان، وقد بدا كل ذلك في أسفار العهد القديم.

٢- العهد القديم يختلف في طبعاته من عصر إلى عصر، بل من حين إلى آخر، والباحث إذ يحاول توثيق بعض نصوصه يحار في ذلك، ثم يتبين له بعد ذلك اختلاف الطبعات التي ترتب عليها اختلاف العبارات، ولو كان ربانيا ما كان ثمة اختلاف، ولكانت النسخة في الشرق كما هي في الغرب.

٣- إن العهد القديم لفقدانه الربانية ليس له صفات القبول والاحترام، وأوامره لا تنال الطاعة والانقياد، وذلك لتصادمها مع الفطرة الإنسانية، وتمييزها بين الناس بعضهم مع بعض، وإعلائها من شأن اليهود على غيرهم، وإسفافها في الحديث عن الذات الإلهية، وكذلك الأنبياء صفوة خلق الله-صلوات الله عليهم أجمعين- كل ذلك يحول دون رغبة الإنسان في مطالعتها والتأمل فيها.

❁❁❁

والخلاصة من خلال دراسة مدى تحقق خصيصة الربانية في العهد القديم يمكن القول بما يلي:-

لقد ثبت بيقين أن العهد القديم الذي بأيدي اليهود اليوم، لا صلة بينه وبين التوراة المنزلة على موسى عليه السلام فسنده فيه انقطاع، حيث أثبت التاريخ أنه كتب بعد موسى عليه السلام بفترة طويلة تُقدر بتسعة قرون، وبأسلوب الحكاية، كما أن فيه بعض الوقائع والأحداث التي وقعت لبنى إسرائيل بعد خروجهم من مصر، مما يدل على أنه كتب في فترة متأخرة بعد وفاة موسى عليه السلام بأيدي أناس مختلفين، وأكثر علمائهم معترفون بذلك، مقرون بفقد الأصل، وإن اعتذروا بما جرى لهم من مصائب ورزايا، وأسر وشتات، فإن الحقيقة التي لا تخفى هي أن العهد القديم منقطع الإسناد.

العهد القديم يوجد فيه نصوص كثيرة تدل على أن هناك شخصا ثالثا هو الذي سجل وكتب الأحداث التي مرت ببني إسرائيل، وقد أخل هذا الحاكي باللفظ والمعنى.

كما أن العهد القديم يمتلئ بالتناقض الواضح الذي يستعصى على الإنسان فهمه، والأمثلة على ذلك كثيرة، كما أن كُتاب العهد القديم نسبوا إلى الله عز وجل ما لا يجوز في حقه، ونسبوا إلى الرسل الأطهار ما هم منزهون عنه.

بالإضافة إلى أن العهد القديم يحتوى على عبارات فيها من الغزل الفاحش، والمجون القبيح ما يحرك الغريزة، مما حمل بعض علماء الغرب أن يستنكروا هذه الجمل، وكل ذلك كاف في إثبات أن العهد القديم ليس ربانيا وإنما هو كتاب بشرى.

موقف المسلم من الإيمان بالتوراة:

القرآن الكريم أوجب على المسلم الإيمان بالكتب الإلهية السابقة المنزلة على الأنبياء والمرسلين من قبل قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾[1].

والمقصود بالكتاب الذي نزل على رسوله هو القرآن الكريم، والكتاب الذي أنزل من قبل يشمل كل كتاب سابق نزل قبل محمد ﷺ بل إن القرآن الكريم حذر المسلم من الكفر بأي كتاب سابق وتوعد الله –عز وجل – كل من يكفر بهذه الكتب أو بعضها بالعذاب الشديد كما هو واضح من الآية السابقة.

يقول د/ محمد شلبي شتيوي: (وإيمان المسلم بالكتب السابقة إنما ينصب على الكتب الصحيحة المنزلة على إبراهيم وموسى وداود وعيسى وحيا من الله ﷻ دون النظر إلى هذه الكتب المعاصرة من أسفار العهد القديم أو الجديد أو غيرها مما ينسب إلى الأنبياء، ولم يرد لها ذكر في القرآن الكريم، أو السنة النبوية الصحيحة)[2].

ومثل هذه الكتب يتوقف المسلم أمامها فلا يصدق ما فيها مطلقا ولا يكذب ما فيها مطلقا. فلقد جاء رجل من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقال يا محمد هل تتكلم الجنازة فقال رسول الله ﷺ الله أعلم؟ فقال اليهودي: أنا أشهد أنها تتكلم، فقال رسول الله ﷺ: **"إذا**

(١) سورة النساء الآية (١٣٦).

(٢) انظر التوراة دراسة وتحليل، د/محمد شلبي شتيوي صـ١٤ بتصرف.

حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم، ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله، فإن كان حقا فلا تكذبوهم، وإن كان باطلا لم تصدقوهم"(١).

يقول الشيخ رحمة الله الهندي: (إن التوراة الأصلية وكذا الإنجيل الأصلي، فقدا قبل بعثة محمد ﷺ والموجودان الآن بمنزله كتابين من السير، مجموعين من الروايات الصحيحة والكاذبة، ولا نقول بأنهما كانا موجودين على أصالتهما إلى عهد النبي ﷺ ثم وقع فيهما التحريف حاشا وكلا. وأما هذه التواريخ والرسائل الموجودة ليست التوراة والإنجيل المذكورين في القرآن، فليسا واجبي التسليم، بل حكمهما وحكم سائر الكتب من العهد العتيق أن كل رواية من روايتهما إن صدقها القرآن فهي مقبولة، وإن كذبها القرآن فهي مردودة يقينا، وإن كان القرآن ساكتا عن التصديق والتكذيب فنسكت عنه فلا نصدق ولا نكذب، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾)(٢)(٣).

والخلاصة أن العهدين القديم والجديد بعدما أصابهم ما أصابهم من التحريف والتبديل هما بمنزلة كتابين من كتب التاريخ التي تحتاج إلى توثيق وتصويب، وقد تكفل القرآن الكريم بهذا الدور ليريح الناس من العنت والمشقة فما وافق القرآن الكريم يقبل، وما خالف القرآن الكريم يرفض.

❁❁❁

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند٤/ ١٣٦. ط/ دار المكتب الإسلامي بيروت.

(٢) سورة المائدة الآية (٤٨).

(٣) إظهار الحق، رحمة الله الهندي ٢/٣٨٧-٣٨٨ تحقيق د/ محمد ملكاوي.

المبحث الثاني

دراسة مدي تحقق خصيصة التوحيد في العهد القديم

تمهيد

من القضايا الجليلة التي عنيت بها الإنسانية منذ جذورها الأولى، الموغلة في التاريخ، قضية الألوهية، فلم يخل عصر من الإعصار، ولا جيل من الأجيال، إلا وقد اعتنى بها وتساءل عنها، وتخبط في الإجابة عليها، فأحياناً يعبد النبات، وأحياناً أخرى يعبد الحيوان، وفي آونة ثالثة يسمو إلى التوحيد، إذ هو الفطرة التي فُطر الإنسان عليه، قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

وإذا كان التوحيد فطرة أصيلة في النفس البشرية، فإنه يترسخ من خلال الخطاب الإلهي من الله- عز وجل- للبشر على لسان الرسل، ومن خلال الكتب المنزلة عليهم، فكلما انحرف الناس عن التوحيد، جاءت الرسالات الإلهية لتصحيح المسار لهم؛ فيرجعوا إلى المصدر الحقيقي الذى يستقون منه المعرفة الصحيحة.

ومن ثم فإن مهمة الدين هي: توضيح الفكرة الصحيحة عن الله ﷻ وتجلية العقيدة السليمة أمام العقل الإنساني، مما ينتابه من ضلال الفهم، كلما أوغل في التفكير بعيداً عن الوحى الإلهي.

---

(١) سورة الروم الآية (٣٠).

ويأتي هذا الفصل ليكشف عن مدى تحقق خصيصة التوحيد في العهدين القديم والجديد، وهل هو توحيد خالص، أم أنه مشوب بالعنصرية والوثنية والتثليث؟.

وهل تأثر أصحاب هذه الكتب بخصيصة التوحيد فعادت عليهم بثمار التوحيد؟ أم أنهم بقوا في تخبط الشرك، والتعدد، والوثنية؟.

هذا ما سيتبين من خلال الصفحات القادمة إن شاء الله ﷻ:

معنى كلمة: التوحيد والمقصود منها:

قبل دراسة مدى تحقق خصيصة التوحيد في العهدين القديم والجديد والتوحيد في القرآن الكريم، تجدر الإشارة إلى معنى كلمة: التوحيد والمقصود منها:-

التوحيد: مصدر من الفعل وحّد، وهو يعنى: التفرد، جاء في المعجم الوسيط ما يلى: (وحّد الله: أي أقرّ وآمن بأنه واحد، وتوحد الله بربوبيته وجلاله وعظمته: أي تفرد بها. والتوحيد: الإيمان بالله -تعالى- وحده لا شريك له، والواحد: من صفات الله -تعالى- ومعناه أنه لا ثاني له، ذو الوحدانية والتوحيد.

والوحدانية: مصدر صناعي من الوَحدة، بزيادة الألف والنون للمبالغة، وصفة من صفات الله -تعالى- معناها أن يمتنع أن يشاركه شيء في ماهيته وصفات كماله، وأنه متفرد بالإيجاد والتدبير العام، بلا واسطة، ولا معالجة ولا مؤثر سواه في أثر ما عموماً)[1].

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ١٠٥٨/٢-١٠٥٩،وانظر فقه اللغة، للشيخ محمد رضا، ٧١٦/٥. ط/ المكتبة العلمية / بدون تاريخ.

وأصل كلمة توحيد: (اعتقاد أن الله واحد لا شريك له، وسمى -علم التوحيد- بهذا الاسم؛ تسمية بأهم أجزائه، وهو إثبات الوحدة لله في الذات والفعل في خلق الأكوان، وأنه وحده مرجع كل كون ومنتهى كل قصد)(١).

وقد عرف التوحيد في الشرع كعقيده يجب الإيمان بها بأنه: (إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتا وصفات وأفعالا)(٢).

وعرف التوحيد كعلم بمعنى الفن المدون بأنه: (علم يبحث فيه عن معرفة العقائد الدينية، وهي التي يجب على كل مكلف ذكر أو أنثى، حر أو رقيق، أن يعتقدها فيجب عليه أن يعرف الصفات الواجبة لله تعالى، والمستحيلة والجائزة في حقه تعالى)(٣). وهذا التعريف الأخير يعنى العلم بالعقائد الدينية من خلال الأدلة اليقينية التي تدل عليها.

ومما سبق يتضح أن التوحيد في الشرع -وهو المعنى الذى تدور عليه الدراسة- يقصد به: إفراد الله ﷻ بالعبادة والاستعانة ونفى الشريك عنه، وتجريده عن كل ما يتصور في الأفهام، ويتخيل في الأوهام، والإقرار بعدم تعدد الذات والصفات والأفعال، فذاته غير مركبة، وليست هناك ذات تشبه ذاته ﷻ وليس له ولد ولا صاحبة. والإقرار بأنه وحده ﷻ الخالق المدبر لكل أمور الناس، والمتصرف في شئونهم، والذى له وحده حق الحكم والتشريع لعباده.

❁❁❁

(١) رسالة التوحيد، الشيخ محمد عبده صـ٢١ دار المعارف، ط/ الخامسة.

(٢) الدين الخالص للشيخ محمود خطاب السبكي صـ١٤-١٥ ط/ المحمودية السبكية، ط/ الخامسة سنة١٤١١هـ.

(٣) المصدر السابق. وللتوسع في معرفة تعريفات التوحيد يراجع كتاب مدخل إلى العقيدة الإسلامية د/ يحيى هاشم حسن فرغل صـ٦٦-٦٧ ط/ التقدم الأولى سنة ١٩٨٥م.

لقد جاء موسى عليه السلام على سنة الأنبياء السابقين من قبله، جاء بعقيدة التوحيد والتنزيه لله ﷻ ووصفه بصفات الجلال والجمال والكمال، وقد جاءت الآيات القرآنية تترى لتؤكد أن جميع الأنبياء والمرسلين دعوا قومهم إلى توحيد المولى ﷻ ورفض عبادة الأصنام والأوثان قال تعالى مخاطبا نبيه محمد ﷺ: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[1].

فالعقيدة في الذات الإلهية واحدة لا تتغير ولا تتبدل، فما دعا إليه نوح هو عين ما دعا إليه إبراهيم والأنبياء من بعده، قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾[2] وقال تعالى على لسان موسى مخاطبا قومه: ﴿ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾[3].

بل كان أول ما تلقى موسى عليه السلام من وحى الله ﷻ هو التوحيد الخالص قال تعالى: ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾[4]

فالآيات تتضمن عقيدة التوحيد، ونفى الشرك، وعقيدة البعث والحساب والجزاء.

---

(١) سورة الزخرف الآية (٤٥).

(٢) سورة الشورى الآية (١٣). وانظر سورة الأنبياء الآية (٢٥).

(٣) سورة الأعراف الآية (١٤٠).

(٤) سورة طه الآيات (١٤-١٦).

وحينما ذهب موسى عليه السلام إلى فرعون، وسأله فرعون عن حقيقة الإله بقوله كما يحكى القرآن الكريم: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾[1] فبين موسى لفرعون صفات الإله من التفرد بالخلق، والعلم المطلق، والتنزه عن النقائص والعيوب.

هذا ما تحدث به القرآن الكريم عن توحيد الله عز وجل وصفاته، كما جاء به موسى عليه السلام عقيدة لبنى إسرائيل، فهل هذا التوحيد بقى كما هو في أسفار العهد القديم، أم خالطه الشرك والتعدد والوثنية والتجسيم والتشبيه؟ هذا ما سيتضخ من خلال دراسة هذين العنصرين.

(أ) العهد القديم بين التوحيد والتعدد.

(ب) العهد القديم بين التنزيه والتجسيم[2].

❁❁❁

المطلب الأول: العهد القديم بين التوحيد والتعدد

لقد تبين من دراسة الفصل السابق افتقاد الربانية في أسفار العهد القديم، فقد أصابها التحريف والتغيير والتبديل، وبالرغم من هذا فإنه ما زال في أسفار العهد القديم بعض الشذرات التي سلمت من التحريف، وأشارت إلى إثبات وحدانية الإله، ونفي الشرك والتعدد، ومن هذه النصوص ما يلي:

---

(١) سورة طه الآيات (٤٩- ٥٣).

(٢) هذا التقسيم مستفاد من (تأثر اليهودية بالأديان الوثنية) د/ فتحي محمد الزغبي صـ٦٣٧ ط/ دار البشير ط/ الأولى سنة ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

١- ففي سفر التثنية: (الرَّبَّ هُوَ الإِلهُ فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَعَلَى الأَرْضِ مِنْ أَسْفَلُ. لَيْسَ سِوَاهُ)[١] وفي مزامير داود (يَا اَللهُ، الَّذِي صَنَعْتَ الْعَظَائِمَ. يَا اَللهُ، مَنْ مِثْلُكَ)[٢] وفيه أيضا: (مَنْ هُوَ إِلهٌ غَيْرُ الرَّبِّ)[٣].

٢- وفي سفر أشعياء: (أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ. لاَ إِلهَ سِوَايَ. نَطَّقْتُكَ وَأَنْتَ لَمْ تَعْرِفْنِي. ٦لِكَيْ يَعْلَمُوا مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ وَمِنْ مَغْرِبِهَا أَنْ لَيْسَ غَيْرِي. أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ)[٤]. ويتعجب النبي أشعياء من الذين يشبهون الله بالخلق فيقول: (فَبِمَنْ تُشَبِّهُونَ اللهَ، وَأَيَّ شَبَهٍ تُعَادِلُونَ بِهِ)[٥] وفي سفر أشعياء أيضا: (أَنَا الأَوَّلُ وَأَنَا الآخِرُ، وَيَدِي أَسَّسَتِ الأَرْضَ، وَيَمِينِي نَشَرَتِ السَّمَاوَاتِ)[٦].

٣- وفيه أيضا: (أَنَا الرَّبُّ صَانِعٌ كُلَّ شَيْءٍ، نَاشِرٌ السَّمَاوَاتِ وَحْدِي، بَاسِطٌ الأَرْضَ. مَنْ مَعِي؟ مُبَطِّلٌ آيَاتِ الْمُخَادِعِينَ وَمُحَمِّقٌ الْعَرَّافِينَ. مُرَجِّعٌ الْحُكَمَاءَ إِلَى الْوَرَاءِ، وَمُجَهِّلٌ مَعْرِفَتَهُمْ. مُقِيمٌ كَلِمَةَ عَبْدِهِ، وَمُتَمِّمٌ رَأْيَ رُسُلِهِ)[٧].

فهذه النصوص تقرر وحدانية الألوهية ووحدانية الربوبية، وكلاهما متفق عليه بين الأنبياء وعلى هذا درج جميع أنبياء بنى إسرائيل.

---

(١) سفر التثنية ٤ (٣٩).
(٢) سفر المزامير ٧١ (١٩).
(٣) سفر المزامير ١٨ (٣١).
(٤) سفر أشعياء ٤٥ (٥).
(٥) سفر أشعياء ٤٠ (١١٨).
(٦) سفر أشعياء ٤٨ (١٣-١٤).
(٧) سفر أشعياء ٤٤ (٣٤-٣٥). وانظر (الله وصفاته في اليهودية والنصرانية والإسلام د/ أحمد حجازي السقا، صـ١٧ ط/ دار النهضة العربية الأولى سنة ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، وانظر (تأثر اليهودية بالأديان الوثنية) د/ فتحي محمد الزغبي صـ٦٩٠.

وهكذا تتحدث هذه النصوص عن الإله الخالق الحقيقي، المنفرد بوحدانية الألوهية والربوبية، الذي ليس له شبه في خلقه، فهل يؤمن اليهود بهذا الإله وبصفاته المذكورة؟! كلا، لقد صنع اليهود من فكرهم إلها خاصا بهم، بالرغم من أن أسفارهم حذرتهم من عبادة آلهة أخرى غير الإله الرب، ومن بين النصوص الدالة على ذلك ما يأتي:-

١- جاء في سفر الخروج: (أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ. لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي. لاَ تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالا مَنْحُوتًا، وَلاَ صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ تَحْتُ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الأَرْضِ. لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ، لأَنِّي أَنَا الرَّبَّ إِلهَكَ إِلهٌ غَيُورٌ)[١].

٢- كما حذر سفر الخروج أيضا من آلهة الشعوب التي سيختلط بها اليهود وفي ذلك قوله: (لاَ تَصْنَعُوا مَعِي آلِهَةَ فِضَّةٍ، وَلاَ تَصْنَعُوا لَكُمْ آلِهَةَ ذَهَبٍ) [٢] وفي سفر الخروج أيضا: (فَإِنَّ مَلاَكِي يَسِيرُ أَمَامَكَ وَيَجِيءُ بِكَ إِلَى الأَمُورِيِّينَ... فَأُبِيدُهُمْ. لاَ تَسْجُدْ لآلِهَتِهِمْ، وَلاَ تَعْبُدْهَا، وَلاَ تَعْمَلْ كَأَعْمَالِهِمْ، بَلْ تُبِيدُهُمْ وَتَكْسِرُ أَنْصَابَهُمْ. وَتَعْبُدُونَ الرَّبَّ إِلهَكُمْ)[٣].

٣- وجاء في سفر التثنية بعد أن تحدث عن شعوب كنعان: (لاَ تَقْطَعْ لَهُمْ عَهْدًا، وَلاَ تُشْفِقْ عَلَيْهِمْ، ٣وَلاَ تُصَاهِرْهُمْ. بْنَتَكَ لاَ تُعْطِ لابْنِهِ، وَبِنْتُهُ لاَ تَأْخُذْ لابْنِكَ. ٤لأَنَّهُ يَرُدُّ ابْنَكَ مِنْ وَرَائِي فَيَعْبُدُ آلِهَةً أُخْرَى، فَيَحْمَى غَضَبُ الرَّبِّ عَلَيْكُمْ وَيُهْلِكُكُمْ سَرِيعًا)[٤].

---

(١) سفر الخروج ٢٠ (١-٥).
(٢) سفر الخروج ٢٠ (٢٣).
(٣) سفر الخروج ٢٣ (٢٣ -٣٤).
(٤) سفر التثنية ٧ (٢-٤).

٤- وفي نفس السفر أيضا: (وَإِذَا أَغْوَاكَ سِرًّا أَخُوكَ ابْنُ أُمِّكَ، أَوِ ابْنُكَ أَوِ ابْنَتُكَ أَوِ امْرَأَةُ حِضْنِكَ، أَوْ صَاحِبُكَ الَّذِي مِثْلُ نَفْسِكَ قَائِلا: نَذْهَبُ وَنَعْبُدُ آلِهَةً أُخْرَى لَمْ تَعْرِفْهَا أَنْتَ وَلاَ آبَاؤُكَ مِنْ آلِهَةِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ حَوْلَكَ، الْقَرِيبِينَ مِنْكَ أَوِ الْبَعِيدِينَ عَنْكَ، مِنْ أَقْصَاءِ الأَرْضِ إِلَى أَقْصَائِهَا، فَلاَ تَرْضَ مِنْهُ وَلاَ تَسْمَعْ لَهُ وَلاَ تُشْفِقْ عَيْنُكَ عَلَيْهِ، وَلاَ تَرِقَّ لَهُ وَلاَ تَسْتُرْهُ، بَلْ قَتْلا تَقْتُلُهُ. يَدُكَ تَكُونُ عَلَيْهِ أَوَّلا لِقَتْلِهِ، ثُمَّ أَيْدِي جَمِيعِ الشَّعْبِ أَخِيرًا. تَرْجُمُهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَ، لأَنَّهُ الْتَمَسَ أَنْ يُطَوِّحَكَ عَنِ الرَّبِّ إِلهِكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ)[1].

فهذه النصوص السابقة التي جاءت في سفري الخروج والتثنية، تتحدث عن وحدانية الله، وتعاهد اليهود على التوحيد، وتنهاهم عن عبادة الأوثان، وتأمرهم بإبادتها وتحطيمها في عبارات صريحة لا تحتمل تأويلا وصرفا عن ظاهرها، فأين هم من العمل بها؟.

عنصرية الإله عند اليهود:

وأول انحراف عن التوحيد هو العنصرية في الذات الإلهية، فلقد انحرف بنو إسرائيل إلى مهاوى الشرك والتعدد، فقرروا أن لهم إلها خاصا بهم، وأن للشعوب الأخرى آلهة أخرى، فإلههم ليس كبقية آلهة الشعوب، يختلف عنهم في القوة والبطش والعنصرية، فهم أبناؤه وأحباؤه دون بقية الناس، وهم يعتقدون أنهم شعب الله المختار[2].

ومن النصوص التي أشارت إلى عنصرية الإله في العهد القديم ما يأتي:

---

(١) سفر التثنية ١٣ (٦-١٠).

(٢) انظر سفر التثنية ٧ (١-٨). انظر تفصيلات العنصرية في الإله عند اليهود في اليهودية د/ أحمد شلبي صـ١٩٣-١٩٤ ط/ مكتبة النهضة المصرية ط/ الخامسة سنة ١٩٧٨م.

١- (وَأَمَّا مُوسَى فَصَعِدَ إِلَى اللهِ. فَنَادَاهُ الرَّبُّ مِنَ الْجَبَلِ قَائِلا: «هكَذَا تَقُولُ لِبَيْتِ يَعْقُوبَ، وَتُخْبِرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَنْتُمْ رَأَيْتُمْ مَا صَنَعْتُ بِالْمِصْرِيِّينَ. وَأَنَا حَمَلْتُكُمْ عَلَى أَجْنِحَةِ النُّسُورِ وَجِئْتُ بِكُمْ إِلَيَّ. فَالآنَ إِنْ سَمِعْتُمْ لِصَوْتِي، وَحَفِظْتُمْ عَهْدِي تَكُونُونَ لِي خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. فَإِنَّ لِي كُلَّ الأَرْضِ. وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةَ كَهَنَةٍ وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً. هذِهِ هِيَ الْكَلِمَاتُ الَّتِي تُكَلِّمُ بِهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ»)[1].

٢- وسفر التثنية: (وَأَنْتُمْ قَدْ أَخَذَكُمُ الرَّبُّ وَأَخْرَجَكُمْ مِنْ كُورِ الْحَدِيدِ مِنْ مِصْرَ، لِكَيْ تَكُونُوا لَهُ شَعْبَ مِيرَاثٍ كَمَا فِي هذَا الْيَوْمِ. وَغَضِبَ الرَّبُّ عَلَيَّ بِسَبَبِكُمْ، وَأَقْسَمَ إِنِّي لاَ أَعْبُرُ الأُرْدُنَّ وَلاَ أَدْخُلُ الأَرْضَ الْجَيِّدَةَ الَّتِي الرَّبُّ إِلهُكَ يُعْطِيكَ نَصِيبًا. فَأَمُوتُ أَنَا فِي هذِهِ الأَرْضِ، لاَ أَعْبُرُ الأُرْدُنَّ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْبُرُونَ وَتَمْتَلِكُونَ تِلْكَ الأَرْضَ الْجَيِّدَةَ. اِحْتَرِزُوا مِنْ أَنْ تَنْسَوْا عَهْدَ الرَّبِّ إِلهِكُمُ الَّذِي قَطَعَهُ مَعَكُمْ، وَتَصْنَعُوا لأَنْفُسِكُمْ تِمْثَالا مَنْحُوتًا، صُورَةَ كُلِّ مَا نَهَاكَ عَنْهُ الرَّبُّ إِلهُكَ. لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ هُوَ نَارٌ آكِلَةٌ، إِلهٌ غَيُورٌ.)[2].

٣- وسفر التثنية أيضا: (لأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، ٧لَيْسَ مِنْ كَوْنِكُمْ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ، الْتَصَقَ الرَّبُّ بِكُمْ وَاخْتَارَكُمْ، لأَنَّكُمْ أَقَلُّ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ. ٨بَلْ مِنْ مَحَبَّةِ الرَّبِّ إِيَّاكُمْ، وَحِفْظِهِ الْقَسَمَ الَّذِي أَقْسَمَ لآبَائِكُمْ، أَخْرَجَكُمُ الرَّبُّ بِيَدٍ شَدِيدَةٍ وَفَدَاكُمْ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ مِنْ يَدِ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ)[3].

---

(١) سفر الخروج ١٩ (٣-٦).

(٢) سفر التثنية ٤ (٢٠).

(٣) سفر التثنية ٧ (٦-٨).

٤- وجاء في سفر صموائيل الثاني: (لِذلِكَ قَدْ عَظُمْتَ أَيُّهَا الرَّبُّ الإِلهُ، لأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُكَ وَلَيْسَ إِلهٌ غَيْرَكَ حَسَبَ كُلِّ مَا سَمِعْنَاهُ بِآذَانِنَا. وَأَيَّةُ أُمَّةٍ عَلَى الأَرْضِ مِثْلُ شَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ الَّذِي سَارَ اللهُ لِيَفْتَدِيَهُ لِنَفْسِهِ شَعْبًا، وَيَجْعَلَ لَهُ اسْمًا، وَيَعْمَلَ لَكُمُ الْعَظَائِمَ وَالتَّخَاوِيفَ لأَرْضِكَ أَمَامَ شَعْبِكَ الَّذِي افْتَدَيْتَهُ لِنَفْسِكَ مِنْ مِصْرَ، مِنَ الشُّعُوبِ وَآلِهَتِهِمْ. وَثَبَّتَّ لِنَفْسِكَ شَعْبَكَ إِسْرَائِيلَ،
شَعْبًا لِنَفْسِكَ إِلَى الأَبَدِ، وَأَنْتَ يَا رَبُّ صِرْتَ لَهُمْ إِلهًا)[1].

ففهم اليهود من هذه النصوص وأمثالها أنهم جنس مميز عن باقي الناس، وسائر الشعوب وأن إلههم إله خاص بهم فقط، وليس لغيرهم من الأمم والشعوب.

ليس هذا فحسب، بل إنه مما يدل على انحراف اليهود في معرفة الذات الإلهية، اختلافهم في اسم الإله عندهم، فلقد ظهر عندهم عدة أسماء للإله لم يستطيعوا الاتفاق على واحد منها، فإله بنى إسرائيل لم يكن هو الله (مثل ما يعتقد المسلمون) وإنما اسم الإله عندهم كانوا مختلفين حوله إلى عدة مسميات منها:- (١- فمنهم من أطلق عليه اسم "إيل" بمعنى (الله) باللغات السامية ومنها العبرية، وهو التسمية التي استخدمها الموحدون الحقيقيون، وقد ورد استعمالها قبل بعثة موسى عليه السلام فهو اسم يطلق على الإله، وإليه ينسب كثير من أسمائهم الشخصية والمكانية، مثل إسماعيل وإسرائيل وبتوئيل)[2].

(٢- إيلوهيم: أي الآلهة بصيغة الجمع، ولعلها التسمية التي أطلقها التعدديون الذين اعتبروا أن التوحيد إنما هو انصهار جميع الآلهة مع بعضها لتشكل إلها واحدا.

(١) سفر صموائيل الثاني ٧ (٢٢-٢٤).

(٢) انظر دراسات في اليهودية د/ محمود مزروعة صـ١٦٣ مصدر سابق.

٣- أدوناي: أي (سيدي) في اللغات السامية وهو اللقب الذي كان الكنعانيون يطلقونه على الإله (تموز).

٤- يهوه: وهو اسم أحد الآلهة العبرانيين القبلية، وهو إله باطش منتقم جبار، تتوافق صفاته مع عقلية جزء يسير من شعب أمضى مئات السنين في الأسر، فأخذ الأمل بالخلاص

يضمحل، وسيطر التطرف على الأجيال الجديدة، فانتسبت إلى أكثر الآلهة اقتدارا وبطشا)[1].

وجاء اسم الإله يهوه بهذا الاسم في سفر الخروج: (وَقَالَ اللهُ أَيْضًا لِمُوسَى: «هكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: يَهْوَهْ إِلهُ آبَائِكُمْ، إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ. هذَا اسْمِي إِلَى الأَبَدِ)[2].

٥- ياهو: وهو اسم من أسماء الذات الإلهية عند اليهود، ومن الجدير بالذكر أن اليهود سموا أحد ملوكهم بذلك ولم ينكر عليه أحد هذه التسمية، فقد جاء في سفر الملوك الثاني

(١) انظر في أسماء الإله عند اليهود، التوراة بين الوثنية والتوحيد، سهيل ديب، صـ١٦ ط/ دار النفائس بيروت ط/ الثانية سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م. وانظر هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن قيم الجوزية صـ٢٠٤-٢٠٥ تحقيق ودراسة د/ محمد أحمد الحاج ط/ دار القلم دمشق ط/ الأولى سنة١٤١٦هـ-١٩٩٦م و(الله وصفاته في اليهودية والنصرانية والإسلام) د/ أحمد حجازي السقا، صـ٢٥ ط/ دار النهضة العربية الأولى سنة١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م، و(تأثر اليهودية بالأديان الوثنية) د/ فتحي محمد الزغبي صـ ٦٨٩.

(٢) سفر الخروج ٣ (١٥).

عن ملك يسمى ياهو (ثُمَّ جَمَعَ يَاهُو كُلَّ الشَّعْبِ وَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّ أَخْآبَ قَدْ عَبَدَ الْبَعْلَ قَلِيلا، وَأَمَّا يَاهُو فَإِنَّهُ يَعْبُدُهُ كَثِيرًا)[١].

إن كل هذه الأسماء السابقة استعملها بنو إسرائيل علما على الذات الإلهية، غير أن أشهرها عندهم هو يهوه، وحاول كثير من المفكرين أن يجدوا لهذه التسمية تعليلا لكنهم ذهبوا إلى تأويلات لا معنى لها، فالعقاد يحاول أن يجد لاسم (يهوه) معنا مشتقا فيقول: (يصح أنه من مادة الحياة، ويصح أنه نداء لضمير الغائب؛ لأن بنى إسرائيل كانوا يتقون ذكره توقيرا له ويكتفون بالإشارة إليه ويصح غير ذلك من الفروض)[٢].

ومن المعلوم أن الإنسان لا يعدل عن ذكر اسم شخص إلى الحديث عنه بضمير الغيبة إلا تحقيرا له، فكيف يأتي التوقير؟ فيهوه عندهم اسم لإله خاص ببني إسرائيل، وهم شعبه دون سائر الخلق، وهو إله الحرب والانتقام من أعداء بنى إسرائيل، وهو سريع الغضب، ومتقلب ومتغير، فهو في الحقيقة يمثل انعكاسا لصفات اليهود وأخلاقهم، فهو ليس خالقهم، وإنما هو مخلوق لهم، يسير على هواهم، ويأتمر بأمرهم، وينتهي بنهيهم.

ولم يكتف اليهود بالعنصرية في الذات الإلهية، أو اختلافهم حول اسم الإله فحسب، وإن كان هذا وحده كافيا على تخبطهم في توحيد الإله، بل إنهم وقعوا فيما هو أشنع من ذلك، حينما عبدوا آلهة صنعوها بأيديهم، أو آلهة الشعوب التي اختلطوا بهم، وقد سجل ذلك كاتبو أسفار العهد القديم، ومن هذه الصور الوثنية ما يلي:-

١- عبادة اليهود العجل الذهبي في عهد موسى.

---

(١) سفر الملوك الثاني ١٠ (١٨).

(٢) كتاب (الله) عباس محمود عباس العقاد صـ١١٧-١١٨ دار الكتاب اللبناني بيروت ط/ الأولى سنة ١٩٧٨م.

٢- عبادة اليهود عجلين من الذهب في مملكة إسرائيل.

٣- عبادة اليهود للإله بعل في عهد موسى عليه السلام.

٤- عبادة اليهود للإله بعل في عصر القضاة.

٥- عبادة اليهود للإله بعل في عصر الانقسام.

٦- عبادة اليهود للإله بعل في المملكة الجنوبية.

٧- عبادة اليهود لآلهة الأشوريين والبابليين واليونانيين والرومان[١].

❁❁❁

(١) يراجع تفسير كل تلك الصور الوثنية التي تخبط فيها اليهود عبر مراحل تاريخهم المتعاقبة في (تأثر اليهودية بالأديان الوثنية) د/ فتحي محمد الزغبي صـ٦٩٢ وما بعدها ط/ دار البشير ط/ الأولى سنة ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، واليهودية د/ أحمد شلبي صـ١٩٤-١٩٥ ط/ مكتبة النهضة المصرية ط/ الخامسة سنة١٩٧٨م. وانظر هداية الحيارى في أجوبة اليهود و النصارى لابن قيم الجوزية صـ٢٠٦-٢٠٨ تحقيق ودراسة د/ محمد أحمد الحاج ط/ دار القلم دمشق ط/ الأولى سنة١٤١٦هـ-١٩٩٦م وانظر هذه الفقرات من أسفار العهد القديم سفر الملوك الأول ١٢ (٢٨-٣١). سفر هوشع ٨ (٤-٦). سفر الخروج ٣٢ (١-٦). سفر الخروج ٣٢ (١٧-٢٠). سفر حزقيال ٢٠(٥-٨). سفر الملوك الأول ١٢(٢٦-٣٠). سفر الملوك الأول ١٢(٣١-٣٣). سفر الملوك الأول ١٤(٧-١١). سفر العدد ٢٥(١-٥). سفر القضاة ٦(٢٧-٣٢). سفر الملوك الأول ١٨(١٧-١٩). سفر الملوك الأول ١٨(١-١٨). سفر الملوك الثاني ١(٢-٤). انظر سفر الملوك الثاني ٣(٢-٣). سفر الملوك الثاني ٨ (١٨). سفر أخبار الأيام الثاني ٢١(١٢-١٥). سفر أخبار الأيام الثاني ٢٢(٣-٥). سفر الملوك الثاني ٨(٢٧ -٢٨).

المطلب الثاني: العهد القديم بين التنزيه والتجسيم

إن من يقرأ أسفار العهد القديم يجد أن الذات الإلهية عند اليهود (لا ترتفع كثيرا عن مستوى البشر، في شكلها وصفاتها. فالذات الإلهية تتشكل بأشكال الآدميين، وتنزل إلى هذا العالم الذي نعيش فيه، والإله يجلس مع الناس، ويؤاكلهم ويشاربهم، ويمشى على رجله حتى يتعب من المشى، وقد يجلس ويستريح في ظل الشجرة)[١].

١-فيحكى سفر التكوين أن إبراهيم عليه السلام رأى الرب ومعه ملكان فاستضافهم وأطعمهم وسقاهم وغسل أرجلهم ثم رحلوا من عنده، جاء في سفر التكوين: (وَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا وَهُوَ جَالِسٌ فِي بَابِ الْخَيْمَةِ وَقْتَ حَرِّ النَّهَارِ، فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا ثَلاَثَةُ رِجَال وَاقِفُونَ لَدَيْهِ. فَلَمَّا نَظَرَ رَكَضَ لاسْتِقْبَالِهِمْ مِنْ بَابِ الْخَيْمَةِ وَسَجَدَ إِلَى الأَرْضِ، وَقَالَ: «يَا سَيِّدُ، إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَلاَ تَتَجَاوَزْ عَبْدَكَ. لِيُؤْخَذْ قَلِيلُ مَاءٍ وَاغْسِلُوا أَرْجُلَكُمْ وَاتَّكِئُوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَآخُذَ كِسْرَةَ خُبْزٍ، فَتُسْنِدُونَ قُلُوبَكُمْ... فَقَالُوا: «هكَذَا تَفْعَلُ كَمَا تَكَلَّمْتَ»... وَإِذْ كَانَ هُوَ وَاقِفًا لَدَيْهِمْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ أَكَلُوا)[٢].

يقول الشيخ محمد الغزالي متهكما بما جاء في هذه القصة السابقة: (لقد قدم الله في شكل رجل مع اثنين من ملائكته، وأقام لهم إبراهيم وليمة دسمة، فأكلوا منها جميعا!! وكان إبراهيم حريصا على إحراز هذا الشرف، شرف أن يأكل الله في بيته، فلما لبى الله الدعوة أسرع الرجل الكريم في إعداد مائدة مناسبة!)[٣].

ومن الواضح في هذا النص أنه ينسب للإله صفات لا تليق به منها:

---

(١) انظر دراسات في اليهودية د/ محمود مزروعة صـ١٦٥ بتصرف يسير.

(٢) سفر التكوين ١٨ (١-٨).

(٣) قذائف الحق الشيخ محمد الغزالي صـ٢٢.

(أ) التجسيد والتحديد حيث نزل في صورة رجل.

(ب) الاستراحة بعد التعب.

(ج) المأكل والمشرب.

٢- (وقد يتصارع الإله مع الإنسان فيغلبه الإنسان، وعندما يريد الإله أن يفك نفسه من الإنسان لا يستطيع حتى يتوسل إليه ليطلقه، وهذا ما حكاه سفر التكوين عن مصارعة الإله ليعقوب حتى الفجر)[١] فالإله ظهر ليعقوب وصارعه فصرعه يعقوب، فتوسل إليه الإله أن يتركه فرفض يعقوب هذا التوسل إلا بعد أن يباركه، فباركه وسماه إسرائيل، إشارة إلى قوته، حيث أنه كان قويا عند الله. جاء في سفر التكوين: (ثُمَّ قَامَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَأَخَذَ امْرَأَتَيْهِ وَجَارِيَتَيْهِ وَأَوْلاَدَهُ الأَحَدَ عَشَرَ وَعَبَرَ مَخَاضَةَ يَبُّوقَ. أَخَذَهُمْ وَأَجَازَهُمُ الْوَادِيَ، وَأَجَازَ مَا كَانَ لَهُ. فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ، وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ. وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ، فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ. وَقَالَ: «أَطْلِقْنِي، لأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ». فَقَالَ: «لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي». فَقَالَ لَهُ: «مَا اسْمُكَ؟» فَقَالَ: «يَعْقُوبُ». فَقَالَ: «لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ». وَسَأَلَ يَعْقُوبُ وَقَالَ: «أَخْبِرْنِي بِاسْمِكَ». فَقَالَ: «لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنِ اسْمِي؟» وَبَارَكَهُ هُنَاكَ. فَدَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ «فَنِيئِيلَ» قَائِلا: «لأَنِّي نَظَرْتُ اللهَ وَجْهًا لِوَجْهٍ، وَنُجِّيَتْ نَفْسِي»)[٢].

يقول الشيخ الغزالي: (لنقف بإزاء قصة أخرى من أغرب وأفجر ما اختلق الروائيون، القصة الجديدة تحكى مصارعة بين (الله) وعبده (يعقوب) وهذه المصارعة دامت ليلا

(١) انظر دراسات في اليهودية د/ محمود مزروعة ص١٦٦ بتصرف يسير.

(٢) سفر التكوين ٣٢ (٢٢-٣٠).

طويلا، وكاد يعقوب يفوز فيها لولا أن الطرف الآخر في المصارعة-وهو الله!!- لجأ إلى حيلة غير رياضية هزم بعدها يعقوب! ومع ذلك فإن يعقوب تشبث بالله وأبى أن يطلقه حتى نال منه لقب (إسرائيل!) ومنحه الله هذا (اللقب الفخري) ثم تركه ليصعد إلى العرش ويدبر أمر السماء والأرض، بعد تلك المصارعة الرهيبة!! أي سخف هذا، وأي هزل؟؟ أي عقل مريض أوحى بهذا القصص السفيه؟؟ ولكن اليهود يريدون أن يرفعوا مكانة جدهم الأعلى ولا عليهم أن يختلقوا ما يستغربه الخيال)[١].

وهكذا تصور هذه الأسفار أن الله محدود القدرة، لا يستطيع أن يخلص نفسه من عبد مخلوق له؟ ويبلغ به الضعف والوهن أن يتوسل إليه أن يخلى سبيله، ولكن لم يقبل أن يطلقه إلا إذا باركه، وقبل الله تعالى شرطه وباركه.

٣- جاء في سفر الخروج أن الله اشتد غضبه على شعب بنى إسرائيل وأراد أن يهلكهم، فقال لموسى: (اتْرُكْنِي لِيَحْمَى غَضَبِي عَلَيْهِمْ وَأُفْنِيَهُمْ)[٢].

ثم يقول موسى للرب: (اِرْجِعْ عَنْ حُمُوِّ غَضَبِكَ، وَانْدَمْ عَلَى الشَّرِّ بِشَعْبِكَ.)[٣].

ثم يقوم موسى بتذكيره لربه بما وعده به من قبل فيقول له: (اُذْكُرْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَإِسْرَائِيلَ عَبِيدَكَ الَّذِينَ حَلَفْتَ لَهُمْ بِنَفْسِكَ)

ثم يتذكر الإله هذه الوعود السابقة فيندم على ما قاله وما عزم على فعله جاء في سفر الخروج: (فَنَدِمَ الرَّبُّ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي قَالَ إِنَّهُ يَفْعَلُهُ بِشَعْبِهِ)[٤].

---

(١) قذائف الحق، الشيخ محمد الغزالي صـ٢٣.

(٢) سفر التكوين ٣٢ (١٠).

(٣) سفر التكوين ٣٢ (١٢).

(٤) سفر الخروج ٣٢ (١٤).

وهكذا يبدو الإله في تصورهم متسرعا في قراراته يتخذ قرارا بتعذيب بنى إسرائيل، ثم يراجعه موسى ويذكره بوعوده السابقة، وكان الإله قد نسى، فيغير قراره بل ويندم عليه.

ومن يطالع باقي الأسفار يجد أنه ليست هذه هي المرة الوحيدة التي ندم فيها الرب، فالعهد القديم مليء بذلك فجاء في سفر صموئيل الأول: (وَكَانَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَى صَمُوئِيلَ قَائِلا: «نَدِمْتُ عَلَى أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ شَاوُلَ مَلِكًا، لأَنَّهُ رَجَعَ مِنْ وَرَائِي وَلَمْ يُقِمْ كَلاَمِي»)[1] فالرب يندم على أنه ملك شاول على إسرائيل.

٤- وإذا كانت قدرة الإله في عقيدة بنى إسرائيل محدودة لهذه الدرجة، فليس بمستغرب عندهم أن يتعب الله ويستريح من أعمال يعملها، جاء في سفر التكوين: (وَفَرَغَ اللهُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ. فَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ. وَبَارَكَ اللهُ الْيَوْمَ السَّابِعَ وَقَدَّسَهُ، لأَنَّهُ فِيهِ اسْتَرَاحَ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ اللهُ خَالِقًا)[2].

٥- وتصف أسفار العهد القديم الذات الإلهية بصفات بشرية محضة، فتصرح بأن للإله أولادا من الذكور فيقول سفر التكوين: (وَحَدَثَ لَمَّا ابْتَدَأَ النَّاسُ يَكْثُرُونَ عَلَى الأَرْضِ، وَوُلِدَ لَهُمْ بَنَاتٌ، ٢أَنَّ أَبْنَاءَ اللهِ رَأَوْا بَنَاتِ النَّاسِ أَنَّهُنَّ حَسَنَاتٌ. فَاتَّخَذُوا لأَنْفُسِهِمْ نِسَاءً مِنْ كُلِّ مَا اخْتَارُوا. ٣فَقَالَ الرَّبُّ: «لاَ يَدِينُ رُوحِي فِي الإِنْسَانِ إِلَى الأَبَدِ، لِزَيَغَانِهِ، هُوَ بَشَرٌ. وَتَكُونُ أَيَّامُهُ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً». ٤كَانَ فِي الأَرْضِ طُغَاةٌ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ. وَبَعْدَ ذلِكَ

(١) سفر صموئيل الأول ١٥ (١٠- ٣٥).

(٢) سفر التكوين ٢ (٢-٣).

أَيْضًا إِذْ دَخَلَ بَنُو اللهِ عَلَى بَنَاتِ النَّاسِ وَوَلَدْنَ لَهُمْ أَوْلاَدًا، هؤُلاَءِ هُمُ الْجَبَابِرَةُ الَّذِينَ مُنْذُ الدَّهْرِ ذَوُو اسْمٍ.)[1].

٦- ومن صفات الإله أيضا عند اليهود أنه مضلل، فقد ضلل آدم وحواء بعدم الأكل من الشجرة لأنه يفضى إلى الموت بينما أخبرتهما الحية أنهما لو أكلا من الشجرة فسوف يكونان كالله عارفين للخير والشر، فلما أكلا من الشجرة اختبئا حينما سمعا صوت الإله ماشيا في الجنة يبحث عنهما جاء في سفر التكوين: (وَكَانَتِ الْحَيَّةُ أَحْيَلَ جَمِيعِ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ الَّتِي عَمِلَهَا الرَّبُّ الإِلهُ، فَقَالَتْ لِلْمَرْأَةِ: «أَحَقًّا قَالَ اللهُ لاَ تَأْكُلاَ مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟» فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لِلْحَيَّةِ: «مِنْ ثَمَرِ شَجَرِ الْجَنَّةِ نَأْكُلُ، وَأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ اللهُ: لاَ تَأْكُلاَ مِنْهُ وَلاَ تَمَسَّاهُ لِئَلاَّ تَمُوتَا». فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ: «لَنْ تَمُوتَا! بَلِ اللهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ». فَرَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلأَكْلِ، وَأَنَّهَا بَهِجَةٌ لِلْعُيُونِ، وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ. فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ، وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضًا مَعَهَا فَأَكَلَ. فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَلِمَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ. فَخَاطَا أَوْرَاقَ تِينٍ وَصَنَعَا لأَنْفُسِهِمَا مَآزِرَ.

وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الإِلهِ مَاشِيًا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ، فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإِلهِ فِي وَسَطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ. فَنَادَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيْنَ أَنْتَ؟». فَقَالَ: «سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ». فَقَالَ: «مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لاَ تَأْكُلَ مِنْهَا؟» فَقَالَ آدَمُ: «الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ».)[2].

---

(١) سفر التكوين ٦ (١-٤).

(٢) سفر التكوين ٣ (١-١٢).

يقول الشيخ محمد الغزالي: (ما هذا؟ كان الإله يتمشى في الجنة خاليا البال مما حدث، ثم تكشفت له الأمور شيئا فشيئا فعرف أن آدم خالف عهده، وأكل من الشجرة المحرمة! تصوير ساذج يبدو فيه رب العالمين وكأنه فلاح وقع في حقله ما لم ينتظر... وقد أعقب هذا (الجهل الإلهي) قلق غريب، فإن الله يبدو وكأن ملكه مهدد بهذا التمرد الآدمي، لقد أكل آدم من الشجرة – شجرة المعرفة– وارتفع بهذا العصيان إلى مصاف الآلهة فقد أدرك الخير والشر، وكان الرب عندما خلقه حريصا على بقائه جاهلا بهما، ومن يدرى ربما ازداد تمرده وأكل من شجرة الخلد وظفر بالخلود، أنه عندئذ سوف ينازع الله حقه، إذن فليطرد قبل استفحال أمره... الحق أنني أدهش كل الدهشة للطفولة الغريبة التي تنضح من هذا الحديث الخرافي عن الله –جل جلاله– إن الإله في هذه السياقات الصبيانية كائن قاصر.. متقلب.. ضعيف وما أشك في أن مؤلف هذه السطور كان سجين تصورات وثنية عن حقيقة الألوهية وما ينبغي لها.. وأول ما نستبعده حين نقرأ هذه العبارات أن تكون وحيا، أو شبه وحى... والمرء لا يسعه إلا أن يستغرق في الضحك وهو يسمع هذا الكلام إنه إله أبله هذا الذي ينزل وحيا يصف فيه نفسه بالجهل والضعف والطيش والندم)[1].

٧– وهناك عدة نصوص جاءت في أسفار العهد القديم شبهت الله بالبشر، في خلقته وصورته، وفي أوصافه من الشعر والعينين، منها ما جاء في سفر التكوين: (وقال الله: نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا...فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ)[2] وفي سفر الخروج: (ثُمَّ صَعِدَ مُوسَى وَهَارُونُ وَنَادَابُ وَأَبِيهُو وَسَبْعُونَ مِنْ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ، وَرَأَوْا إِلهَ إِسْرَائِيلَ، وَتَحْتَ رِجْلَيْهِ شِبْهُ صَنْعَةٍ مِنَ الْعَقِيقِ الأَزْرَقِ الشَّفَّافِ، وَكَذَاتِ السَّمَاءِ فِي النَّقَاوَةِ. وَلكِنَّهُ لَمْ

(١) قذائف الحق، الشيخ محمد الغزالي صـ٢٠–٢١.

(٢) سفر التكوين١ (٢٦–٢٧)

يَمُدَّ يَدَهُ إِلَى أَشْرَافِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَرَأَوْا اللهَ وَأَكَلُوا وَشَرِبُوا.)[١] وفي سفر الخروج أيضا: (لأَنَّهُ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ، وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ اسْتَرَاحَ وَتَنَفَّسَ». ثُمَّ أَعْطَى مُوسَى عِنْدَ فَرَاغِهِ مِنَ الْكَلاَمِ مَعَهُ فِي جَبَلِ سِينَاءَ لَوْحَيِ الشَّهَادَةِ: لَوْحَيْ حَجَرٍ مَكْتُوبَيْنِ بِإِصْبعِ الله.)[٢].

وفي سفر أشعياء: (فَلَبِسَ الْبِرَّ كَدِرْعٍ، وَخُوذَةَ الْخَلاَصِ عَلَى رَأْسِهِ. وَلَبِسَ ثِيَابَ الانْتِقَامِ كَلِبَاسٍ، وَاكْتَسَى بِالْغَيْرَةِ كَرِدَاءٍ)[٣] وفي سفر المزامير يقول: (عَيْنَاهُ تَنْظُرَانِ. أَجْفَانُهُ تَمْتَحِنُ بَنِي آدَمَ)[٤] وفي سفر المزامير أيضا يقول: (صَعِدَ دُخَانٌ مِنْ أَنْفِهِ، وَنَارٌ مِنْ فَمِهِ أَكَلَتْ. جَمْرٌ اشْتَعَلَتْ مِنْهُ. طَأْطَأَ السَّمَاوَاتِ وَنَزَلَ، وَضَبَابٌ تَحْتَ رِجْلَيْهِ)[٥] وفي سفر أشعياء جاء فيه: (شَفَتَاهُ مُمْتَلِئَتَانِ سَخَطًا، وَلِسَانُهُ كَنَارٍ آكِلَةٍ، وَنَفْخَتُهُ كَنَهْرٍ غَامِرٍ يَبْلُغُ إِلَى الرَّقَبَةِ)[٦] وفي سفر أرميا: (أَحْشَائِي، أَحْشَائِي! تُوجِعُنِي جُدْرَانُ قَلْبِي. يَئِنُّ فِيَّ قَلْبِي. لاَ أَسْتَطِيعُ السُّكُوتَ)[٧].

فهذه النصوص السابقة تدل دلالة واضحة على وصف الله بصفات التجسد، فله رأس وشعر، ويلبس خوذة على رأسه، وله أذنان وعينان وأجفان كالبشر تماما، وله أنف يصعد منه الدخان، وفم يخرج منه النار، وله رجلان وشفتان، ولسان وزفير، وله أصابع

(١) سفر الخروج ٢٤ (٩-١١).
(٢) سفر الخروج ٣١ (١٧-١٨).
(٣) سفر أشعياء ٥٩ (١٧).
(٤) مزمور ١١ (٤).
(٥) مزمور ١٨ (٨-٩).
(٦) سفر أشعياء ٣٠ (٢٧-٢٨).
(٧) سفر أرميا ٤ (١٩).

تكتب، وأحشاء تمرض وتؤلمه، وهو يتمثل في صورة مرئية مشاهدة خاصة وهو يتحدث مع موسى -عليه السلام- وجها لوجه.

٨- والذات الإلهية عند اليهود ترى وتشاهد بالعين وجها لوجه، كما يرى الرجل صاحبه، جاء في سفر الخروج: (وَنَزَلَ الرَّبُّ عَلَى جَبَلِ سِينَاءَ، إِلَى رَأْسِ الْجَبَلِ، وَدَعَا اللهُ مُوسَى إِلَى رَأْسِ الْجَبَلِ. فَصَعِدَ مُوسَى. فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «انْحَدِرْ حَذِّرِ الشَّعْبَ لِئَلاَّ يَقْتَحِمُوا إِلَى الرَّبِّ لِيَنْظُرُوا، فَيَسْقُطَ مِنْهُمْ كَثِيرُونَ. وَلْيَتَقَدَّسْ أَيْضًا الْكَهَنَةُ الَّذِينَ يَقْتَرِبُونَ إِلَى الرَّبِّ لِئَلاَّ يَبْطِشَ بِهِمِ الرَّبُّ». فَقَالَ مُوسَى لِلرَّبِّ: «لاَ يَقْدِرُ الشَّعْبُ أَنْ يَصْعَدَ إِلَى جَبَلِ سِينَاءَ، لأَنَّكَ أَنْتَ حَذَّرْتَنَا قَائِلا: أَقِمْ حُدُودًا لِلْجَبَلِ وَقَدِّسْهُ». فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «اذْهَبِ انْحَدِرْ ثُمَّ اصْعَدْ أَنْتَ وَهَارُونُ مَعَكَ. وَأَمَّا الْكَهَنَةُ وَالشَّعْبُ فَلاَ يَقْتَحِمُوا لِيَصْعَدُوا إِلَى الرَّبِّ لِئَلاَّ يَبْطِشَ بِهِمْ». فَانْحَدَرَ مُوسَى إِلَى الشَّعْبِ وَقَالَ لَهُمْ.)[1] وجاء في سفر الخروج: (وَيُكَلِّمُ الرَّبُّ مُوسَى وَجْهًا لِوَجْهٍ، كَمَا يُكَلِّمُ الرَّجُلُ صَاحِبَهُ)[2].

٩- والإله في عقيدة بنى إسرائيل لا يعلم كل شيء، فصورته في أذهان بنى إسرائيل قريبة من صورة الإنسان بكل ما تحويه الصورة من نقائص وأخطاء، فهو ناقص العلم محدود المعرفة، محتاج إلى من يرشده، ويميز له الأمور بعضها عن بعض، فيصور سفر الخروج أن الإله عندما عزم على أن يضرب في مصر كل بكر من الناس والحيوان خشية أن تنزل ضرباته ببني إسرائيل، فطلب منهم أن يميزوا بيوتهم بدماء الكباشى التي يلطخون بها أبواب دورهم وأعتابها.

(١) سفر الخروج ١٩ (٢٠-٢٥).

(٢) سفر الخروج ٣٣ (١١).

جاء في سفر الخروج: (وَيَأْخُذُونَ مِنَ الدَّمِ وَيَجْعَلُونَهُ عَلَى الْقَائِمَتَيْنِ وَالْعَتَبَةِ الْعُلْيَا فِي الْبُيُوتِ الَّتِي يَأْكُلُونَهُ فِيهَا... فَإِنِّي أَجْتَازُ فِي أَرْضِ مِصْرَ هذِهِ اللَّيْلَةَ، وَأَضْرِبُ كُلَّ بِكْرٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ. وَأَصْنَعُ أَحْكَامًا بِكُلِّ آلِهَةِ الْمِصْرِيِّينَ. أَنَا الرَّبُّ. وَيَكُونُ لَكُمُ الدَّمُ عَلاَمَةً عَلَى الْبُيُوتِ الَّتِي أَنْتُمْ فِيهَا، فَأَرَى الدَّمَ وَأَعْبُرُ عَنْكُمْ، فَلاَ يَكُونُ عَلَيْكُمْ ضَرْبَةٌ لِلْهَلاَكِ حِينَ أَضْرِبُ أَرْضَ مِصْرَ. وَيَكُونُ لَكُمْ هذَا الْيَوْمُ تَذْكَارًا فَتُعَيِّدُونَهُ عِيدًا لِلرَّبِّ. فِي أَجْيَالِكُمْ تُعَيِّدُونَهُ فَرِيضَةً أَبَدِيَّةً.)[1].

يقول ول ديورانت: (ذلك أن هذا الإله لا يطالب الناس بأن يعتقدوا أنه عالم بكل شيء، وشاهد ذلك أنه يطلب إلى اليهود أن يميزوا بيوتهم بأن يرشوها بدماء الكباش المضحاة لئلا يهلك أبناؤهم على غير علم منه مع من يهلكهم من أبناء المصريين، كذلك لا يرى أنه معصوم من الخطأ، ويرى -أي الإله- أن أشنع ما وقع فيه من الأخطاء، هو خلق الإنسان، ولذلك تراه يندم بعد فوات الفرصة على خلق آدم، وعلى ارتضائه أن يكون شاول ملكا، وتراه من حين إلى حين شرها غضوبا متعطشا للدماء متقلب الأطوار نزفا نكدا... وضميره -أي الإله- لا يقل موته عن ضمير الأسقف الذي يندفع في تيار السياسة، وهو كثير الكلام.. وقصارى القول: إنه لم يكن للأمم القديمة إله آدمي في كل شيء كإله اليهودية هذا)[2].

١٠- ومن الأوصاف الحسية للإله (يهوه) أنه كان يسير أمام جماعة من بنى إسرائيل في عمود سحاب وفي عمود نار، يهديهم الطريق ليلا أثناء خروجهم من مصر إلى أرض سيناء، يضيء لهم لكي يمشوا بالنهار والليل، جاء في سفر الخروج: (وَارْتَحَلُوا مِنْ سُكُّوتَ

(١) سفر الخروج ١٢ (٧ -١٤).

(٢) قصة الحضارة وول ديورانت ١/٣٤٠.

وَنَزَلُوا فِي إِيثَامَ فِي طَرَفِ الْبَرِّيَّةِ. وَكَانَ الرَّبُّ يَسِيرُ أَمَامَهُمْ نَهَارًا فِي عَمُودِ سَحَابٍ لِيَهْدِيَهُمْ فِي الطَّرِيقِ، وَلَيْلا فِي عَمُودِ نَارٍ لِيُضِيءَ لَهُمْ. لِكَيْ يَمْشُوا نَهَارًا وَلَيْلا. لَمْ يَبْرَحْ عَمُودُ السَّحَابِ نَهَارًا وَعَمُودُ النَّارِ لَيْلا مِنْ أَمَامِ الشَّعْبِ)[1].

١١- ومن صفات الإله كما جاء في أسفار العهد القديم أنه يحب رائحة الشواء، ويستفيد من رائحة الدخان المتصاعد من حرق الذبائح، جاء في سفر اللاويين: (وَإِنْ كَانَ قُرْبَانُهُ ذَبِيحَةَ سَلاَمَةٍ، فَإِنْ قَرَّبَ مِنَ الْبَقَرِ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى، فَصَحِيحًا يُقَرِّبُهُ أَمَامَ الرَّبِّ. يَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ قُرْبَانِهِ وَيَذْبَحُهُ لَدَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ، وَيَرُشُّ بَنُو هَارُونَ الْكَهَنَةُ الدَّمَ عَلَى الْمَذْبَحِ مُسْتَدِيرًا. وَيُقَرِّبُ مِنْ ذَبِيحَةِ السَّلاَمَةِ وَقُودًا لِلرَّبِّ: الشَّحْمَ الَّذِي يُغَشِّي الأَحْشَاءَ، وَسَائِرَ الشَّحْمِ الَّذِي عَلَى الأَحْشَاءِ، وَالْكُلْيَتَيْنِ، وَالشَّحْمَ الَّذِي عَلَيْهِمَا الَّذِي عَلَى الْخَاصِرَتَيْنِ، وَزِيَادَةَ الْكَبِدِ مَعَ الْكُلْيَتَيْنِ يَنْزِعُهَا. وَيُوقِدُهَا بَنُو هَارُونَ عَلَى الْمَذْبَحِ عَلَى الْمُحْرَقَةِ الَّتِي فَوْقَ الْحَطَبِ الَّذِي عَلَى النَّارِ، وَقُودَ رَائِحَةِ سُرُورٍ لِلرَّبِّ. «وَإِنْ كَانَ قُرْبَانُهُ مِنَ الْغَنَمِ ذَبِيحَةَ سَلاَمَةٍ لِلرَّبِّ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى، فَصَحِيحًا يُقَرِّبُهُ. إِنْ قَرَّبَ قُرْبَانَهُ مِنَ الضَّأْنِ يُقَدِّمُهُ أَمَامَ الرَّبِّ. يَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ قُرْبَانِهِ وَيَذْبَحُهُ قُدَّامَ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ. وَيَرُشُّ بَنُو هَارُونَ دَمَهُ عَلَى الْمَذْبَحِ مُسْتَدِيرًا. وَيُقَرِّبُ مِنْ ذَبِيحَةِ السَّلاَمَةِ شَحْمَهَا وَقُودًا لِلرَّبِّ: الأَلْيَةَ صَحِيحَةً مِنْ عِنْدِ الْعُصْعُصِ يَنْزِعُهَا، وَالشَّحْمَ الَّذِي يُغَشِّي الأَحْشَاءَ، وَسَائِرَ الشَّحْمِ الَّذِي عَلَى الأَحْشَاءِ، وَالْكُلْيَتَيْنِ، وَالشَّحْمَ الَّذِي عَلَيْهِمَا الَّذِي عَلَى الْخَاصِرَتَيْنِ، وَزِيَادَةَ الْكَبِدِ مَعَ الْكُلْيَتَيْنِ يَنْزِعُهَا. وَيُوقِدُهَا الْكَاهِنُ عَلَى الْمَذْبَحِ طَعَامَ وَقُودٍ لِلرَّبِّ. «وَإِنْ كَانَ قُرْبَانُهُ مِنَ الْمَعْزِ يُقَدِّمُهُ أَمَامَ الرَّبِّ. يَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ وَيَذْبَحُهُ قُدَّامَ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ، وَيَرُشُّ بَنُو هَارُونَ دَمَهُ عَلَى الْمَذْبَحِ

(١) سفر الخروج ١٣ (٢٠-٢٢).

مُسْتَدِيرًا. وَيُقَرِّبُ مِنْهُ قُرْبَانَهُ وَقُودًا لِلرَّبِّ: الشَّحْمَ الَّذِي يُغَشِّي الأَحْشَاءَ، وَسَائِرَ الشَّحْمِ الَّذِي عَلَى الأَحْشَاءِ، وَالْكُلْيَتَيْنِ وَالشَّحْمَ الَّذِي عَلَيْهِمَا الَّذِي عَلَى الْخَاصِرَتَيْنِ، وَزِيَادَةَ الْكَبِدِ مَعَ الْكُلْيَتَيْنِ يَنْزِعُهَا. وَيُوقِدُهُنَّ الْكَاهِنُ عَلَى الْمَذْبَحِ طَعَامَ وَقُودٍ لِرَائِحَةِ سُرُورٍ. كُلُّ الشَّحْمِ لِلرَّبِّ. فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً فِي أَجْيَالِكُمْ فِي جَمِيعِ مَسَاكِنِكُمْ: لاَ تَأْكُلُوا شَيْئًا مِنَ الشَّحْمِ وَلاَ مِنَ الدَّمِ»)[1].

وجاء في سفر اللاويين أيضا: (وَإِنْ كَانَ قُرْبَانُهُ مِنَ الْغَنَمِ الضَّأْنِ أَوِ الْمَعْزِ مُحْرَقَةً، فَذَكَرًا صَحِيحًا يُقَرِّبُهُ. وَيَذْبَحُهُ عَلَى جَانِبِ الْمَذْبَحِ إِلَى الشِّمَالِ أَمَامَ الرَّبِّ، وَيَرُشُّ بَنُو هَارُونَ الْكَهَنَةُ دَمَهُ عَلَى الْمَذْبَحِ مُسْتَدِيرًا. وَيُقَطِّعُهُ إِلَى قِطَعِهِ، مَعَ رَأْسِهِ وَشَحْمِهِ. وَيُرَتِّبُهُنَّ الْكَاهِنُ فَوْقَ الْحَطَبِ الَّذِي عَلَى النَّارِ الَّتِي عَلَى الْمَذْبَحِ. وَأَمَّا الأَحْشَاءُ وَالأَكَارِعُ فَيَغْسِلُهَا بِمَاءٍ، وَيُقَرِّبُ الْكَاهِنُ الْجَمِيعَ، وَيُوقِدُ عَلَى الْمَذْبَحِ. إِنَّهُ مُحْرَقَةٌ، وَقُودُ رَائِحَةِ سُرُورٍ لِلرَّبِّ)[2].

١٢- ويزعم اليهود أن الله حال في مكان معين في وسط بنى إسرائيل، فجاء في سفر الخروج: (وَأَسْكُنُ فِي وَسَطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَكُونُ لَهُمْ إِلهًا، فَيَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُهُمُ الَّذِي أَخْرَجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ لأَسْكُنَ فِي وَسْطِهِمْ)[3] وجاء في سفر العدد: (وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلا: «أَوْصِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَنْفُوا مِنَ الْمَحَلَّةِ كُلَّ أَبْرَصَ، وَكُلَّ ذِي سَيْلٍ، وَكُلَّ مُتَنَجِّسٍ لِمَيْتٍ. الذَّكَرَ وَالأُنْثَى تَنْفُونَ. إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ تَنْفُونَهُمْ لِكَيْلاَ يُنَجِّسُوا مَحَلاَّتِهِمْ حَيْثُ أَنَا سَاكِنٌ فِي وَسَطِهِمْ»)[4] وجاء في سفر المزامير: (رَنِّمُوا لِلرَّبِّ السَّاكِنِ فِي صِهْيَوْنَ)[5].

(١) سفر اللاويين ٣ (١-١٧).
(٢) سفر اللاويين ١ (١٠-١٣).
(٣) سفر الخروج ٢٩ (٤٥-٤٦).
(٤) سفر العدد ٥ (١-٣).
(٥) سفر المزامير ٩ (١١).

وهكذا تتحدث التوراة عن صفات الله، وكأنها تتحدث عن إنسان من البشر، محدود القدرة والعمل، يتعب ويستريح، فنزعة التجسيد كامنة في أعماق قلوبهم لم يستطيعوا أن يتخلوا عنها لحظة من الزمن، حتى تأصلت هذه العقيدة في نفوسهم، فالله -في زعمهم- ذو صفات بشرية، يحب ويكره، ويرضى ويغضب، ويضحك ويبكى، ويخطئ ويندم، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

من خلال الصفحات السابقة يمكن القول بأن اليهود مجسمون مشبهون، وأن التنزيه لا علاقة لهم به، فقد وصفوا المولى ﷻ بصفات البشر، ونعتوه بنعوت الإنسان، وجعلوا الإله محدود القدرة والإرادة، بل جعلوه أضعف من الإنسان في مواطن كثيرة سبق بيانها.

فليس بعد هذا التجسيد تجسيد، ولا بعد هذا التشبيه تشبيه، فكيف يتصف اليهود بالتنزيه في الذات الإلهية وهذه الخرافات مسجلة عندهم في كتابهم المقدس؟.

❁❁❁

المطلب الثالث: موقف القرآن الكريم من عقيدة اليهود في الذات الإلهية

يبين القرآن الكريم أن اليهود لم يطيقوا فكرة التنزيه في الذات الإلهية، ولم يستقروا على عبادة الإله الواحد، فكانوا من أشد الناس إلحاحا على الأنبياء في طلب الإله المجسد المشاهد، ولقد سجل القرآن الكريم مواقف كثيرة تصور انحراف اليهود عن التوحيد الخالص في الذات الإلهية أكثر من مرة، بل وتصور تجسيدهم وتشبيههم للذات الإلهية بصفات البشر، ووصفهم له بما لا يليق به، ومن هذه الصور ما يلي:

١- عبادة الأصنام والعجل: فحين خرجوا من مصر إلى أرض سيناء مع موسى عليه السلام أملا في أن يكون لهم أمة، بعدما نجاهم الله من العذاب المهين، فما كادوا يتنسمون نسيم الحرية، بعد عبورهم البحر، حتى سولت لهم أنفسهم أن يرتدوا عن الله ﷻ بعد ما أنقذهم

من البلاء المبين، الذي عاشوا فيه سنين طويلة، يسومهم فرعون سوء العذاب.. فقد رأوا قوما عاكفين على أصنام لهم، فطلبوا من موسى أن يجعل لهم أصناما كهذه الأصنام، ليتخذوها آلهة يعبدونها من دون الله ﷻ قال تعالى: ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ (١).

فلم يتصور قوم موسى الإله في صورة التجريد والتنزيه، بعيدا عن التجسيم والتشبيه، كما أخبرهم موسى عليه السلام وقبل اتخاذهم العجل كانوا قلقين تجاه عقيدة التوحيد التي لم تستقر في قلوبهم، فبمجرد أن رأوا غيرهم يعبدون الأصنام تطلعت نفوسهم إلى اتخاذ أصنام مثلها لهم، يعبدونها من دون الله ﷻ.

قال تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴿١٥٣﴾ ﴾(٢) وقال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (٣).

فلو أنهم عقلوا معنى الألوهية لما كان هناك محل لهذا السؤال، لأن الذي يرى هو المادي فقط، وهذا القلق الذي كان عند اليهود تحول إلى رؤية صريحة بعد غياب موسى أربعين ليلة لمناجاة ربه، وحينما عاد ووجد قومه قد اتخذوا العجل معبودا لهم.

---

(١) سورة الأعراف الآيات (١٣٨-١٤٠).

(٢) سورة النساء الآية (١٥٣).

(٣) سورة البقرة الآية (٥٥).

وقد تعرض القرآن الكريم لقصة العجل في سورتي (الأعراف، وطه) فذكر أنهم اتخذوا العجل إلها لهم في فترة غياب موسى عنهم وذهابه لميقات ربه، وأن هارون عاتبهم على هذا العمل عتابا شديدا، وأن الذي كان وراء هذا الصنيع هو السامري، وليس هارون كما افتروا عليه، إذ أنه قد برر موقفه في عدم أخذه على أيديهم خشية الفتنة، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [1] وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [2].

والقرآن الكريم بعدما سجل عليهم هذه الصورة الوثنية برَّأ هارون عليه السلام مما نسبه إليه اليهود من أنه هو الذي صنع لهم العجل وأمرهم بعبادته، فيأتي القرآن الكريم ويقص اعتراف السامري بما اقترفت يداه، وأن هارون حذرهم من مغبة هذا الصنيع الوثني الخاطئ، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ

(١) سورة الأعراف الآية (١٤٨).

(٢) سورة طه الآيات (٨٣-٨٨).

فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ ﴾ (١).

وهكذا ذكر القرآن الكريم القصة على وجهها الصحيح، فبين أن الطلب من بنى إسرائيل لجعل إلها محسوسا لهم يعبدونه كان لموسى السامري وليس لهارون.

وقصة عبادة اليهود للعجل تدل على أن الإحساس المادي عندهم كان أقوى من الإحساس الروحي، ولقد سجل القرآن الكريم غضب الله عليهم، وأنه كتب عليهم الذلة في الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ (٢).

٢- ومن حديث القرآن الكريم عن وثنية اليهود قولهم: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (٣). يرى الإمام أبو محمد بن حزم في الفصل: (إن هذا القول ينسب إلى إحدى فرقهم وهي فرقة الصدوقية أو الصدوقيين، وذكر أنهم يقولون من بين سائر اليهود أن العزير هو ابن الله -تعالى الله عن ذلك علوا كبير- وأنهم كانوا بجهة اليمن)(٤).

---

(١) سورة طه الآيات (٩٠-٩٨).

(٢) سورة الأعراف الآية (١٥٢).

(٣) سورة التوبة الآية (٣٠).

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل ١٧٨/١ ط/ دار الجيل بيروت لبنان.

والقرآن الكريم نسب هذا القول إلى اليهود مع أن القائل به بعضهم؛ لرضاهم به وعدم إنكارهم له، واليهود في قولهم: (عزير ابن الله) كانوا يضاهئون قول الذين كفروا، وأنهم بذلك خرجوا عن العقيدة الصحيحة، وصاروا مثل الكفار في تصورهم للإله بأن له بنين وبنات -تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا-.

٣- ومن أمثلة الشرك والوثنية التي وقع فيها اليهود اتخاذهم الأحبار والرهبان أربابا من دون الله. قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١ ﴾[1].

يقول الإمام القرطبي: (قال أهل المعاني: جعلوا أحبارهم ورهبانهم كالأرباب حيث أطاعوهم في كل شيء؛ ومنة قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا ﴾ أي كالنار. قال عبد الله بن المبارك:

وهل أفسد الدين إلا الملوك ∴ وأحبار سوء ورهبانها.

روى الأعمش وسفيان عن حبيب بن أبى ثابت عن أبى البختري قال: سئل حذيفة عن قول الله عز وجل: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ هل عبدوهم؟ فقال: لا ولكن أحلوا لهم الحرام فاستحلوه، وحرموا عليهم الحلال فحرموه)[2].

(١) سورة التوبة الآية (٣١).

(٢) تفسير القرطبي ٨ /١٢٠.

فهذه الآية وصف لليهود والنصارى بضرب آخر من الشرك، حيث أنهم لم يؤمروا إلا بعبادة إله واحد لا إله إلا هو وقد عصوا هذا الأمر واتخذوا الأحبار أربابا من دون الله، وقد صرح الله ﷻ بشركهم فقال في نهاية الآية: ﴿ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.

ويذكر الإمام الفخر الرازي أن الأكثرين من المفسرين قالوا: (ليس المراد من الأرباب أنهم اعتقدوا فيهم أنهم آلهة العالم بل المراد: أطاعوهم في أوامرهم ونواهيهم)(١).

وروى الترمذي عن عدى بن حاتم ﷺ لما بلغته دعوة رسول الله فرّ إلى الشام وكان قد تنصر في الجاهلية ثم حدث أن قدم على رسول الله فدخل وهو يقرأ هذه الآية ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ قال: فقلت إنهم لم يعبدوهم، فقال رسول الله ﷺ: **"بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا الحرام فاتبعوهم، فتلك عبادتهم إياهم"**(٢).

ومما سبق يتضح أن اليهود أطاعوا أحبارهم في الحرام وفيما كانوا فيه مخالفين حكم الله وقبلوا هذه الطاعة عن رضا وتسليم، فأنزلوهم منزلة الإله في الحكم والتشريع فصاروا بذلك يتخذونهم أربابا من دون الله ﷻ ونازعوه في أخص صفاته وهو الحكم والتشريع والحلال والحرام.

٤- ومن الأمثلة التي حكاها القرآن الكريم عن اليهود من أنهم أساءوا الأدب مع الله ﷻ وتقولوا عليه ما ليس فيه، فكشفوا عن سوء طويتهم وفساد عقيدتهم. قوله تعالى:

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ٣٨/١٦ ط/ دار الفكر.

(٢) الحديث رواه الإمام الترمذي في كتاب التفسير بمعناه ٢٥٩/٥-٢٦٠ (٣٠٩٥).

﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾ (١).

يقول الأستاذ سيد قطب -رحمه الله -: (وسوء تصور اليهود للحقيقة الإلهية شائع في كتبهم المحرفة. ولكن هذه تبلغ مبلغا عظيما من سوء التصور ومن سوء الأدب معا.. ومن ثم يستحقون هذا التهديد المتلاحق ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ﴾. لنحاسبهم عليه، فما هو بمتروك ولا منسي ولا مهمل.. وإلى جانبه تسجيل آثامهم السابقة -وهي آثام جنسهم وأجيالهم السابقة- فكلهم جبلة واحدة في المعصية والإثم: ﴿وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾. وقد حفظ تاريخ بنى إسرائيل سلسلة أثيمة في قتل الأنبياء،... ﴿وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ والنص على "الحريق" هنا مقصود لتبشيع ذلك العذاب وتفظيعه، ولتجسيم مشهد العذاب بهوله وتأججه وضرامه.. جزاء على الفعلة الشنيعة: قتل الأنبياء بغير حق، وجزاء على القولة الشنيعة: إن الله فقير ونحن أغنياء ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ جزاء وفاقا، لا ظلم فيه، ولا قسوة: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ والتعبير بالعبيد هنا إبراز لحقيقة وضعهم -وهم عبيد من العبيد- بالقياس إلى الله -تعالى- وهو يزيد في شناعة الجرم، وفظاعة سوء الأدب الذي يتجلى في قول العبيد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ والذي يتجلى كذلك في قتل الأنبياء)(٢).

فالقرآن الكريم سجل على اليهود أنهم لم ينزهوا الله ﷻ تنزيها يليق بالذات الإلهية، وإنما خلعوا عليه صفات البشر من الفقر والبخل وغير ذلك مما لا يليق به. وجملت اليهود

(١) سورة آل عمران الآية (١٨١).

(٢) في ظلال القرآن أ/ سيد قطب ٥٣٧/١.

أجازوا وصف الله بالفقر ونزهوا أنفسهم عنه، كما وصفوا الله ﷻ بالبخل، ولقد نقل القرآن الكريم عنهم هذه السفاهة، فقال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ ﴾ (١).

يقول الشيخ/ رشيد رضا: (قد عزى إليهم وهو قول بعضهم لأنه أثر ما فشي فيهم من الجرأة على الله وترك المنكر والمقر للمنكر شريك للفاعل له)(٢).

وهذه الأوصاف منهم لله ﷻ تدل على إغراقهم في المادية الطاغية، وأنهم لم يعرفوا التنزيه لله ﷻ.

يقول الإمام ابن كثير-رحمه الله-: (يخبر -تعالى- عن اليهود عليهم لعائن الله -المتتابعة إلي يوم القيامة بأنهم وصفوه -تعالى عن قولهم علوا كبيرا- بأنه بخيل كما وصفوه بأنه فقير وهم أغنياء، وعبروا عن البخل بأن قالوا: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ ﴾... وقد رد الله ﷻ عليهم ما قالوه وقابلهم فيما اختلقوه وافتروه وائتفكوه، فقال: ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ ﴾ وهكذا وقع لهم فإن عندهم من البخل والحسد والجبن والذلة أمر عظيم كما قال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ ﴾(٣) وقال تعالى: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ ﴾(٤) ثم قال تعالى: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ ﴾ أي: بل هو الوسع الفضل الجزيل العطاء الذي ما من شيء ألا عنده خزائنه وهو

(١) سورة المائدة الآية (٦٤).
(٢) تفسير المنار ٦/ ٣٧٤.
(٣) سورة النساء الآيتان (٥٣-٥٤).
(٤) سورة آل عمران الآية (١١٢).

الذي ما بخلقه من نعمة فمنه وحده لا شريك له الذي خلق لنا كل شيء مما نحتاج إليه في ليلنا ونهارنا، وحضرنا وسفرنا وفي جميع أحوالنا)[١].

ولاشك أن هذا القول يعبر عن سوء تصورهم لله ﷻ وفساد معتقدهم فيه، وقد رد الله عليهم بإلحاق هذه الصفة بهم ولعنهم وطردهم من رحمته، جزاء هذا القول الكاذب فقال تعالى: ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾ ثم صحح الله ﷻ هذا التصور الفاسد منهم حيث وصف نفسه بالفضل والكرم فقال سبحانه: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾.

وهكذا اضطرب اليهود اضطرابا فاحشا في تصورهم للذات العلية، حيث شبهوا الله بخلقه، بل أنزلوه إلى درجة أقل من بعض خلقه، ومالوا إلى التجسيم المادي، ولا ريب في ذلك نظرا لتأثرهم بالأديان السابقة عليهم، واحتكاكهم بالأجناس الأخرى؛ مما دفعهم إلى الضلال والانحلال، وقد دحض القرآن الكريم تخرصاتهم وبين أن الله ﷻ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[٢] ونهى عن ضرب الأمثال على نفسه فقال: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾[٣].

وهذا قليل من كثير مما ورد في آي الذكر الحكيم، وقد جاءت الآيات مفصلة في حديث القرآن الكريم عن الإله ﷻعلى خلاف ما يعتقد اليهود في الصور السابقة.

❁❁❁

(١) تفسير ابن كثير ٢/٧٦.

(٢) سورة الشورى الآية (١١).

(٣) سورة النحل الآية (٧٤).

المطلب الرابع: خطورة الشرك وأضراره

١- الشرك امتهان للكرامة الإنسانية:

إن الشرك مهانة للإنسان وانحطاط لقدره، فحينما يخضع لبعض عناصر هذا الكون الذي سخره الله له، وهو سيد هذا الكون، فأية إهانة أكبر من ذلك، كأن يخضع الإنسان لصنم لا يضر ولا ينفع، ولا يسمع ولا يبصر، وأي إهانة أعظم من أن يعبد الإنسان بقرة يأكل من لحومها، ويشرب من ألبانها، وينتفع بجلودها، وأظلافها وقرونها، أليس في ذلك انحطاط بالعقل الإنساني وهبوط به إلى أسفل درك، حينما يعبد من سخره الله له.

بل كيف يرضى الإنسان لنفسه أن يسجد للشمس أو للقمر وهما آيتان من آيات الله ﷻ خلقهما الله لخدمة الإنسان ونفعه في شئون حياته ودنياه، ويغيب عنه معرفة خالق الشمس والقمر، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[1].

٢- الشرك ظلم عظيم ومصدر للخرافات والمخاوف:

(إن الشرك ظلم للنفس، وظلم للغير، وظلم للحقيقة؛ لأن أعظم الحقائق كلمة التوحيد،

والمشرك يظلم هذه الحقيقة في كونه يتخذ غير الله ربا وإلها، ويبتغى غيره حكما، ويجعل نفسه عبدا لمخلوق مثله، ويعطى غيره من الحق الذي ليس له.

---

(١) سورة فصلت الآية (٣٧).

إن الذي يعتقد بوجود مؤثر غير الله في هذا الكون، يصبح عقله مستعداً لقبول كل خرافة، وتصديق كل دجل، وحينئذ تهمل السنة الإلهية، ويعتمد الناس على الكهنة والعرافين، والسحرة والمنجمين، والتمائم وغيرها من ألوان الدجل والشعوذة.

إن الذي يتقبل عقله هذه الخرافات، ويصدّق هذه الأباطيل، يصبح خائفا من كل شيء، ويعيش في جو من الخوف والرعب؛ بسبب شركه وظلمه لنفسه، قال تعالى: ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴾(١).

يقول د/ محمد خليل هراس: (إن الشرك يقلب الأوضاع، فيجعل الحق باطلا، والباطل حقا، والخالق مخلوقا، والمخلوق خالقا، وعلى هذا الأساس لا يمكن أن تبنى قواعد الجماعات على أسس سليمة، ذلك أن العلاقات الإنسانية تكون مبنية على مستلزمات الشرك، وهي الجشع والتربص والحقد والكذب وسفك الدماء والعدوان والاستعباد والإذلال.. كل ذلك يؤدى إلى انفراط نظام العقد الإنساني، الذي يتحول إلى فوضى لا ضابط لها ولا رابط، يسودها الخوف ويخيم عليها القلق، ويتخللها الحروب التي لا تنتهي، والتي تسببها الأطماع التي لا تنتهي، وحينئذٍ تصبح الحياة شقاء لا سعادة فيها، وجحيما لا يطاق، يعذب فيه البشر بعضهم بعضا)(٢).

٣-الشرك يعطل إيجابية الإنسان ويورده النار:

لأنه يجعل صاحبه يقع في الموبقات، ويتكل على الوسطاء، معتقدا أن آلهته ستشفع له عند

(١) سورة آل عمران الآية (١٥١). وانظر حقيقة التوحيد، د/يوسف القرضاوي صـ٩٠ وما بعدها.
(٢) دعوة التوحيد محمد خليل هراس، صـ٧٣.

الله، مثلما يعتقد النصارى الآن، فهم يعملون ما يشتهون من المنكرات، ويدَّعون أن ربهم – يسوع– قد كفر عنهم خطاياهم حين صلب بزعمهم؛ ليفدي البشر ويخلصهم من ذنوبهم، وما يعتقده النصارى قريب مما كان يعتقده مشركو قريش في آلهتهم وأصنامهم، وقد حكى الله تعالى عنهم ذلك، قال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[1].

إن هؤلاء الشفعاء لا ينفعون أصحابهم لا في الدنيا ولا في الآخرة، بل إن مصيرهم ومن عبدوهم من المشركين إلى النار يوم القيامة، وليس لهم من نصير، قال تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾[3].

❁❁❁

(١) سورة يونس الآية (١٨).

(٢) سورة الأنبياء الآيتان (٩٨–٩٩).

(٣) سورة المائدة الآية (٧٢).

والخلاصة من خلال دراسة مدى تحقق خصيصة التوحيد في العهد القديم تبين عدة حقائق يمكن إجمالها فيما يلى:

١- أن العهد القديم يحتوى على نصوص تشير إلى التوحيد في الذات الإلهية إشارة واضحة، وأخرى تحذر من الشرك وعبادة الأصنام والأوثان، بيد أنه يحتوى إلى جوار ذلك على نصوص متكاثرة تخرج من التوحيد إلى التعدد، وتشير إلى آلهة شتى، لدرجة أنهم مختلفون حول اسم الإله عندهم، فهو يسمى باسم، إيلى، وألوهيم، ويهوه، وأدوناى، وأهية، وذلك عبر مراحل حياتهم المختلفة لما نزل بهم من اضطهادات، وما تعرضوا له من أسر وشتات، وهم في ذلك يعبدون آلهة البلاد التي يعيشون فيها، مثل عبادتهم لآلهة المصريين وبابل وغيرها.

٢- وبالإضافة إلى ما سبق فإنهم يشبهون الله بخلقه، ويجعلونه في صورة البشر يأكل ويشرب، ويتعب ويستريح، ويحزن ويندم، ويثور ويتهور، ويعلم ويجهل، بل من الممكن أن يصارع ويغلب، إلى آخر ما وصفوا به الإله من قصور وتقصير، وهذا الإله الذى شبهوه بالخلق إله قومي، خاص بهم لا يتعداهم إلى غيرهم، وهذا من صور استعلائهم وعنصريتهم حتى في الذات الإلهية.

❁❁❁

المبحث الثالث

دراسة مدي تحقق خصيصة العالمية في العهد القديم

تمهيد

من القواعد الدينية الأساسية أن الإسلام هو رسالة الله إلى الناس جميعاً، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾(١) وقد أوصله الله إلى الناس عن طريق الرسل المكلفين بتبليغه إليهم، قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾(٢).

والإسلام الحنيف يجعل الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين جزءاً مكملا للإيمان بالله وبرسوله محمد ﷺ قال تعالى: ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾(٣) وقال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾(٤).

ولاشك أن لكل رسالة تشريعاتها الخاصة بها، التي اقتضتها ظروف عصرها، والبيئة التي جاءت إليها، فكل رسول بعث قبل محمد ﷺ أُرسل إلى قوم مخصوصين، وإلى بقعة محددة من الأرض لم يتجاوزها، وآيات القرآن الكريم تصرح بذلك.

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٩).
(٢) سورة الشورى الآية (١٣).
(٣) سورة البقرة الآية (١٣٦).
(٤) سورة البقرة الآية (٢٨٥).

فمثلا نبي الله نوح عليه السلام قال الله تعالى عنه في القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ (١) وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ (٢).

ونبي الله هود عليه السلام قال الله تعالى عن دعوته في القرآن الكريم: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ (٣).

ونبي الله صالح عليه السلام قال الله تعالى عن دعوته: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ﴾ (٤) وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾﴾ (٥).

وخليل الله إبراهيم عليه السلام قال الله تعالى عن دعوته: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾ (٦) وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾﴾ (٧).

---

(١) سورة الأعراف الآية (٥٩). وانظر سورة الشعراء الآيات (١٠٥-١٠٧).

(٢) سورة نوح الآية (١).

(٣) سورة الأعراف الآية (٦٥)، وانظر سورة هود الآية (٥٠). وسورة الشعراء الآيات (١٢٣-١٢٦).

(٤) سورة الأعراف الآية (٧٣).

(٥) سورة الشعراء الآيات (١٤١-١٤٤).

(٦) سورة الأنبياء الآيتان (٥١-٥٢).

(٧) سورة الصافات الآيات (٨٣-٨٥).

ونبي الله لوط عليه السلام قال الله تعالى عن دعوته: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ (١).

ونبي الله شعيب عليه السلام قال الله تعالى عن دعوته: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ (٢).

ونبي الله يونس عليه السلام قال الله تعالى عن دعوته: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ ﴾ (٣).

وأما رسالة نبي الله موسى وعيسى -عليهما السلام- فهي لا تزيد عما سبقها من الرسالات السالفة إجمالا وتفصيلا، فموسى عليه السلام أرسله الله إلى بنى إسرائيل، ورسالة عيسى عليه السلام تابعة لرسالة موسى عليه السلام وفي المبحث الأول والثاني من هذا الفصل أورد عدة نصوص من العهدين القديم والجديد لتبين مدى تحقق العالمية أو الإقليمية في دعوتهما، ثم أعقب على ذلك ببيان موقف القرآن الكريم من إقليمية دعوة موسى وعيسى -عليهما السلام-.

وأما رسالة خاتم النبيين محمد ﷺ فقد قال الله تعالى عنه وعن دعوته: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (٤) وقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ (٥)

---

(١) سورة الأعراف الآية (٨٠). وانظر سورة الشعراء الآيتان (١٦٠-١٦١).

(٢) سورة الأعراف الآية (٨٥). وانظر سورة هود الآية (٨٤).

(٣) سورة يونس الآية (٩٨). وانظر سورة الصافات الآيات (١٣٩-١٤٨).

(٤) سورة الأنبياء الآية (١٠٧).

(٥) سورة الفرقان الآية (١).

وقبل بيان مدى تحقق خصيصة العالمية في العهدين القديم والجديد والعالمية في القرآن الكريم، تجدر الإشارة إلى تعريف كلمة العالمية والمقصود منها:

معنى كلمة العالمية:

معنى كلمة العالمية: (العالمية بفتح اللام مصدر صناعي ترجع إلى كلمة عالم، وعالم بفتح اللام في الأصل: اسم لما يعلم به الشيء، والعالمون: أصناف الخلق، والعالم: الخلق كله، وقيل ما احتواه بطن الفلك، والعالم لا واحد له من لفظه؛ لأنه جمع أشياء مختلفة، وقيل جمع العالم: العوالم وفي التنزيل: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾[1] قال ابن عباس: رب العالمين: رب الجن والإنس، وقال قتادة: رب الخلق كلهم، وقال الزجاج: العالمين: كل ما خلق الله، وقال الأزهري: الدليل على صحة قول ابن عباس قوله عز وجل: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾[2] وليس النبي ﷺ نذيرا للبهائم و لا الملائكة، وهم كلهم خلق الله، و إنما بعث محمد ﷺ نذيرا للجن والإنس)[3].

قال الفخر الرازي (إن العالم: كل ما سوى الله تعالى، ويتناول جميع المكلفين من الجن والإنس والملائكة، لكنه -عليه الصلاة والسلام- لم يكن رسولا للملائكة)[4].

ومما سبق يتضح أن كلمة "العالمين" هي مضمون كلمة العالم، و"العالمين" لفظ شامل لكل موجود سوى الله تعالى، والمكلفون بالدعوة من العالمين: هم الجن والإنس، فالدعوة عامة لهم جميعا في جميع أنحاء العالم.

---

(١) سورة الفاتحة الآية (٢).

(٢) سورة الفرقان الآية (١).

(٣) انظر لسان العرب لابن منظور، ٢/ ٨٧٢، ومختار الصحاح للرازي، صـ٤٥٢.

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازي ٦/٣١٤.

والمقصود بعالمية الدعوة هنا: (عدم اختصاصها بجنس من الأجناس البشرية، وعدم انحصار تطبيقها في إقليم خاص أو بيئة معينة، وامتداد هدايتها أزماناً طويلة تتجاوز العصر الذي بدأت فيه، بمعنى أن يكون الدين صالحا لكل جنس، وكل جيل، أو لكل زمان ومكان.

فهو لا يكون دين جنس تميزه فصيلة الدم، أو سمة اللون، أو ظاهرة اللغة، بل ديناً لا يفرق بين العربي والعجمي، والحبشي والرومي، ولا بين الأبيض والأسود، والأحمر والأصفر، ولا يمنع من أن يستظل بلوائه متكلم بأي لغة من اللغات، وهو لا يكون ديناً محليا تحده حدود جغرافية واعتبارات إقليمية، بل يصلح لكل البيئات وكل الأجواء، ويتناسب مع كل بقعة على اختلاف المستويات المادية والاعتبارات الأخرى، وهو يصاحب الإنسان في جميع أزمانه المتطورة، وعصوره المتلاحقة، وهو دين لا يعتريه نسخ أو زوال، ولا عقم ولا جمود)[1].

ويقول د/ حلمي صابر عن معنى العالمية أنها تعنى: (وجود ربطة أو عدة روابط تجمع الجنس البشرى كله وتصهره في بوتقة واحدة رغم اختلاف الأجناس واللغات والبيئات وتباعد المسافات)(٢).

❁❁❁

(١) انظر الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه، الشيخ عطية صقر، صـ١٠-١١ بتصرف واختصار، مطابع الأزهر سنة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

(٢) قضايا معاصرة في ضوء الإسلام د/ حلمي صابر صـ٩٣ ط/ دار عالم الكتب ط/ الأولى سنة ١٩٩٦م.

يعتقد اليهود في ضوء قراءتهم لأسفار العهد القديم أنهم شعب الله المختار، وأن الله اصطفاهم وفضلهم على العالمين، فالله قد اختارهم من بين خلقه من الشعوب والأمم ليكونوا عباده، وليكون هو إلها خاصا بهم، ولا يشاركهم في إلههم أحد من الناس؛ لأنهم من جنس مميز عن سائر الأجناس، ومن ثم كانت الديانة اليهودية دينا مغلقا يخص اليهود وحدهم، بل يؤخذ من تسميتها بهذا الاسم أنها مرتبطة بشعب معين، وليست دينا مفتوحا لكل الناس، فهم ليسوا مأمورين بدعوة غيرهم من الأمم إلى دينهم، وهم يصرحون بذلك، وبالتالي فدعوتهم غير عالمية، وإنما هي ديانة إقليمية وعنصرية.

المطلب الأول: من نصوص الإقليمية والعنصرية في العهد القديم

ونصوص الإقليمية والعنصرية في أسفار العهد القديم كثيرة جدا، ومن هذه النصوص ما يلي:-

١- جاء في سفر الخروج: (وَالآنَ هُوَ ذَا صُرَاخُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَتَى إِلَيَّ، وَرَأَيْتُ أَيْضًا الضِّيقَةَ الَّتِي يُضَايِقُهُمْ بِهَا الْمِصْرِيُّونَ، فَالآنَ هَلُمَّ فَأُرْسِلُكَ إِلَى فِرْعَوْنَ، وَتُخْرِجُ شَعْبِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ)[1].

٢- وجاء في سفر الخروج أيضا: (فقال موسى لله من أنا حتى أذهب إلى فرعون وحتى أخرج بنى إسرائيل من مصر. فقال إني أكون معك وهذه تكون لك العلامة أنى أرسلتك. حينما تخرج الشعب من مصر تعبدون الله على هذا الجبل. فقال موسى لله ها أنا آتى إلى بنى إسرائيل وأقول لهم إله آبائكم أرسلني إليكم. فإذا قالوا لي ما اسمه فماذا أقول لهم. فقال الله لموسى أهيه الذي أهيه. وقال هكذا تقول لبنى إسرائيل أهيه أرسلني إليكم. وقال الله

(١) سفر الخروج ٣ (٩-١٠).

أيضا لموسى هكذا تقول لبنى إسرائيل يهوه إله آبائكم إله إبراهيم و إله إسحاق و إله يعقوب أرسلني إليكم)(١).

٤- وجاء في سفر الخروج أيضا: (فَقَالَ مُوسَى وَهَارُونُ لِجَمِيعِ بَنِي إِسْرَائِيلَ: «فِي الْمَسَاءِ تَعْلَمُونَ أَنَّ الرَّبَّ أَخْرَجَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. وَفِي الصَّبَاحِ تَرَوْنَ مَجْدَ الرَّبِّ لاسْتِمَاعِهِ تَذَمُّرَكُمْ عَلَى الرَّبِّ. وَأَمَّا نَحْنُ فَمَاذَا حَتَّى تَتَذَمَّرُوا عَلَيْنَا؟». وَقَالَ مُوسَى: «ذلِكَ بِأَنَّ الرَّبَّ يُعْطِيكُمْ فِي الْمَسَاءِ لَحْمًا لِتَأْكُلُوا، وَفِي الصَّبَاحِ خُبْزًا لِتَشْبَعُوا، لاسْتِمَاعِ الرَّبِّ تَذَمُّرَكُمُ الَّذِي تَتَذَمَّرُونَ عَلَيْهِ. وَأَمَّا نَحْنُ فَمَاذَا؟ لَيْسَ عَلَيْنَا تَذَمُّرُكُمْ بَلْ عَلَى الرَّبِّ». وَقَالَ مُوسَى لِهَارُونَ: «قُلْ لِكُلِّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ: اقْتَرِبُوا إِلَى أَمَامِ الرَّبِّ لأَنَّهُ قَدْ سَمِعَ تَذَمُّرَكُمْ». فَحَدَثَ إِذْ كَانَ هَارُونُ يُكَلِّمُ كُلَّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُمُ الْتَفَتُوا نَحْوَ الْبَرِّيَّةِ، وَإِذَا مَجْدُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ فِي السَّحَابِ. فَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلا: «سَمِعْتُ تَذَمُّرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ. كَلِّمْهُمْ قَائِلا: فِي الْعَشِيَّةِ تَأْكُلُونَ لَحْمًا، وَفِي الصَّبَاحِ تَشْبَعُونَ خُبْزًا، وَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ)(٢).

وجاء في سفر التثنية: (لاَ يَدْخُلْ مَخْصِيٌّ بِالرَّضِّ أَوْ مَجْبُوبٌ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ. لاَ يَدْخُلِ ابْنُ زِنًى فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ. حَتَّى الْجِيلِ الْعَاشِرِ لاَ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ. لاَ يَدْخُلْ عَمُّونِيٌّ وَلاَ مُوآبِيٌّ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ. حَتَّى الْجِيلِ الْعَاشِرِ لاَ يَدْخُلْ مِنْهُمْ أَحَدٌ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ إِلَى الأَبَدِ)(٣).

فهذه النصوص وأمثالها كثيرة، وهي تدل دلالة واضحة وصريحة على إقليمية الديانة اليهودية، وأنها خاصة ببني إسرائيل وحدهم دون غيرهم من الأمم والشعوب، ولا يوجد

(١) سفر الخروج ٣ (١١-١٦).
(٢) سفر الخروج ١٦ (٦-١٢).
(٣) سفر التثنية ٢٣ (١-٣).

نص في أسفار العهد القديم على طوله يصرح بأن الديانة اليهودية جاءت إلى غير بنى إسرائيل.

دوافع العنصرية عند اليهود:

إن عقيدة اليهود نشأت كرد فعل لما عانوه من خلال فترات الأسر والتشريد، التي تعرضوا لها عبر التاريخ القديم، ولقد خاف رجال الدين عندهم من ذوبان هذا الشعب في المجتمعات الجديدة، فيضعف تأثيرهم في السيطرة على الشعب اليهودي حين يختلطوا بالآخرين ويذوبوا فيهم، كما أن الشعوب التي نزلوا عليها لم تطق أخلاق اليهود الذميمة، فنظروا إليهم على أنهم أجناس أقل، وكرد فعل لهذه النظرة، نشأت عند اليهود عقيدة سولت لهم أنهم أرقى من مستوى البشر، وأنهم أبناء الله وأحباؤه، وهكذا تحولت عقدة النقص والضعف عند اليهود إلى لون من ألوان جنون العظمة.

وإلى هذا المعنى السابق يشير ابن خلدون في مقدمته فيقول: (قد يكون للبيت شرف أول بالعصبية والخلال، ثم ينسلخون منه لذهابها بالحضارة... ويختلطون بالغمار، ويبقى في نفوسهم وسواس ذلك الحسب يعدون به أنفسهم من أشرف البيوتات أهل العصائب، وليسوا منها في شيء؛ لذهاب العصبية جملة... وأكثر ما رسخ الوسواس في ذلك لبنى إسرائيل، فإنه كان لهم بيت من أعظم بيوت العالم بالمنبت.

أولا: لما تعدد في سلفهم من الأنبياء والرسل من لدن إبراهيم عليه السلام إلى موسى عليه السلام صاحب ملتهم و شريعتهم.

ثم بالعصبية ثانيا: وما آتاهم الله بها من الملك الذي وعدهم به ثم انسلخوا من ذلك أجمع، وضربت عليهم الذلة والمسكنة، وكتب عليهم الجلاء في الأرض، وانفردوا

بالاستعباد للكفر آلافا من السنين، وما زال هذا الوسواس مصاحبا لهم، فنجدهم يقولون: هذا هارونى، هذا من نسل يوشع، هذا من عقب كالب، هذا من سبط يهوذا، مع ذهاب العصبية ورسوخ الذلة فيهم منذ أحقاب متطاولة)[١].

ولقد أشربت عقول اليهود وقلوبهم هذه العنصرية الذميمة؛ معتمدين في ذلك على النصوص التي كتبوها بأيديهم في العهد القديم، وادعوا نسبتها إلى الله ﷻ ومن هذه النصوص ما يلي:

١- (وَأَمَّا مُوسَى فَصَعِدَ إِلَى الله. فَنَادَاهُ الرَّبُّ مِنَ الْجَبَلِ قَائِلاً: «هكَذَا تَقُولُ لِبَيْتِ يَعْقُوبَ، وَتُخْبِرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَنْتُمْ رَأَيْتُمْ مَا صَنَعْتُ بِالْمِصْرِيِّينَ. وَأَنَا حَمَلْتُكُمْ عَلَى أَجْنِحَةِ النُّسُورِ وَجِئْتُ بِكُمْ إِلَيَّ. فَالآنَ إِنْ سَمِعْتُمْ لِصَوْتِي، وَحَفِظْتُمْ عَهْدِي تَكُونُونَ لِي خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. فَإِنَّ لِي كُلَّ الأَرْضِ. وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةَ كَهَنَةٍ وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً. هذِهِ هِيَ الْكَلِمَاتُ الَّتِي تُكَلِّمُ بِهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ»)[٢].

٢- وفي سفر التثنية: (وَأَنْتُمْ قَدْ أَخَذَكُمُ الرَّبُّ وَأَخْرَجَكُمْ مِنْ كُورِ الْحَدِيدِ مِنْ مِصْرَ، لِكَيْ تَكُونُوا لَهُ شَعْبَ مِيرَاثٍ كَمَا فِي هذَا الْيَوْمِ. وَغَضِبَ الرَّبُّ عَلَيَّ بِسَبَبِكُمْ، وَأَقْسَمَ إِنِّي لاَ أَعْبُرُ الأُرْدُنَّ وَلاَ أَدْخُلُ الأَرْضَ الْجَيِّدَةَ الَّتِي الرَّبُّ إِلهُكَ يُعْطِيكَ نَصِيبًا. فَأَمُوتُ أَنَا فِي هذِهِ الأَرْضِ، لاَ أَعْبُرُ الأُرْدُنَّ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْبُرُونَ وَتَمْتَلِكُونَ تِلْكَ الأَرْضَ الْجَيِّدَةَ. اِحْتَرِزُوا مِنْ

(١) مقدمة ابن خلدون، صـ١٣٤-١٣٥ ط/ دار القلم بيروت / بدون تاريخ. وانظر اليهودية د/ أحمد شلبي صـ١٩٤.

(٢) سفر الخروج ١٩ (٣-٦).

أَنْ تَنْسَوْا عَهْدَ الرَّبِّ إِلهِكُمُ الَّذِي قَطَعَهُ مَعَكُمْ، وَتَصْنَعُوا لأَنْفُسِكُمْ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا، صُورَةَ كُلِّ مَا نَهَاكَ عَنْهُ الرَّبُّ إِلهُكَ. لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ هُوَ نَارٌ آكِلَةٌ، إِلهٌ غَيُورٌ.)(١).

٣- وفي سفر التثنية أيضا: (لأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، لَيْسَ مِنْ كَوْنِكُمْ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ، الْتَصَقَ الرَّبُّ بِكُمْ وَاخْتَارَكُمْ، لأَنَّكُمْ أَقَلُّ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ. بَلْ مِنْ مَحَبَّةِ الرَّبِّ إِيَّاكُمْ، وَحِفْظِهِ الْقَسَمَ الَّذِي أَقْسَمَ لآبَائِكُمْ، أَخْرَجَكُمُ الرَّبُّ بِيَدٍ شَدِيدَةٍ وَفَدَاكُمْ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ مِنْ يَدِ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ)(٢).

٤- وجاء في سفر صموائيل الثاني: (لِذلِكَ قَدْ عَظُمْتَ أَيُّهَا الرَّبُّ الإِلهُ، لأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُكَ وَلَيْسَ إِلهٌ غَيْرَكَ حَسَبَ كُلِّ مَا سَمِعْنَاهُ بِآذَانِنَا. وَأَيَّةُ أُمَّةٍ عَلَى الأَرْضِ مِثْلُ شَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ الَّذِي سَارَ اللهُ لِيَفْتَدِيَهُ لِنَفْسِهِ شَعْبًا، وَيَجْعَلَ لَهُ اسْمًا، وَيَعْمَلَ لَكُمُ الْعَظَائِمَ وَالتَّخَاوِيفَ لأَرْضِكَ أَمَامَ شَعْبِكَ الَّذِي افْتَدَيْتَهُ لِنَفْسِكَ مِنْ مِصْرَ، مِنَ الشُّعُوبِ وَآلِهَتِهِمْ. وَثَبَّتَّ لِنَفْسِكَ شَعْبَكَ إِسْرَائِيلَ، شَعْبًا لِنَفْسِكَ إِلَى الأَبَدِ، وَأَنْتَ يَا رَبُّ صِرْتَ لَهُمْ إِلهًا)(٣).

فمن هذه النصوص السابقة وغيرها وقر في نفس اليهود الاعتقاد بأنهم شعب الله المختار دون سائر الشعوب التي على وجه الأرض، وأنهم من جنس مميز على سائر الأجناس، ويختلف تماما على سائر البشر، وأن هذا الاختيار الإلهي لشعب إسرائيل إنما يرجع إلى محبة الله الخالصة لسلالة شعب بنى إسرائيل.

(١) سفر التثنية ٤ (٢٠-٢٤).

(٢) سفر التثنية ٧ (٦-٨).

(٣) سفر صموائيل الثاني ٧ (٢٢-٢٤).

وفي الحقيقة إن هذا التفضيل ليس كما فهم اليهود على إطلاقه، وإنما هو تفضيل مشروط إذا حفظوا عهد الله وسمعوا كلامه، فإذا ما خالفوا شرط التفضيل فقد مضى عنهم ذلك الشرط المزعوم.

وليست أسفار العهد القديم هي مصدر هذه العنصرية فقط، بل يذكر التلمود سبب هذه العنصرية عند اليهود في كونهم يعتقدون أن أرواحهم جزء من روح الله ﷻ أما أرواح باقي الناس من غير اليهود فهي من أرواح الشياطين.

جاء في التلمود: (خلقت كل الأرواح في ستة أيام الأولى للخليقة ثم وضعها الله في المخزن العمومي بالسماء ويخرج منها كلما حملت امرأة ولدا وخلق الله ستمائة ألف روح يهودية... لأن كل فقرة من التوراة لها ستمائة تأويل وكل تأويل يختص بروح من هذه الأرواح وفي كل يوم سبت تتجدد عند كل يهودي روح جديدة على روحه الأصيلة، وهي التي تعطيه الشهية للأكل والشرب، وتتميز أرواح اليهود بأنها جزء من الله، كما أن الابن جزء من والده، ومن ثم كانت أرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقي الأرواح، لأن الأرواح الغير يهودية هي أرواح شيطانية، وشبيهة بأرواح الحيوانات، وذكر في التلمود: أن نطفة غير اليهودي هي كنطفة الحيوانات)[1].

ولا يعتقد اليهود أنهم جزء من روح الله فقط، بل إنهم يرون أنفسهم أنهم مصدر الخير والبركة في هذا العالم، فلولاهم ما كان هذا الوجود، ولا كانت الشمس ولا المطر، ولما أمكنت باقي المخلوقات أن تعيش، وما سوى اليهود هم خدم وعبيد لليهود، بل في درجة أقل من الكلاب والحمير.

---

(١) الكنز المرصود في فضائح التلمود، صـ ١٩٠-١٩١ تحقيق / د محمد عبد الله الشرقاوي /ط/ مكتبة الوعي الإسلامي سنة١٩٩٠م.

وقد جاء في التلمود: (أنه إذا لم يخلق اليهود لانعدمت البركة من الأرض، ولما خلقت الأمطار ولا الشمس، ولما أمكن لباقي المخلوقات أن تعيش، و الفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو بقدر الفرق الموجود بين اليهود وباقي الشعوب)[١].

وجاء في التلمود أيضا: (أن الكلب أفضل من الأجانب، لأنه مصرح لليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب، وليس له أن يطعم الأجانب، وغير مصرح له أيضا أن يعطيهم لحما، بل يعطيه الكلب لأنه أفضل منهم)[٢].

وهذه بعض النصوص من التلمود والتي تدل على العنصرية البغيضة عند اليهود.

١- إذا ضرب أممي إسرائيليا فكأنه ضرب العزة الإلهية.

٢- الفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو بقدر الفرق بين اليهود وغير اليهود.

٣- لليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب، وليس له أن يطعم غير اليهود.

٤- يلزم أن تكون طاهرا مع الطاهرين ودنسا مع الدنسيين.

٥- لليهودي أن يسرق مال غير اليهود، لأنه يسترد أموال اليهود من سالبيها.

٦- على الأميين أن يعملوا، ولليهود أن يأخذوا نتائج هذا العمل.

٧- مصرح لليهودي أن يغش غير اليهودي، ويحلف له أيمانا كاذبة.

٨- لا يغفر الله ذنبا ليهودي يرد للأممي ماله المفقود.

٩- إذا رأى اليهودي أحد الأمميين يقع في حفرة؛ فليسدها بحجر.

١٠- من العدل أن يقتل اليهودي كل أممي؛ لأنه بذلك يقرب قربانا إلى الله.

١١- إتيان زوجات الأجانب جائز.

---

(١) الكنز المرصود في فضائح التلمود، صـ٢٠٠.

(٢) الكنز المرصود في فضائح التلمود، صـ٢٠٤.

١٢- الهدف من خلق غير اليهود خدمة اليهود، وقد منحوا الصورة البشرية ليسهل التعامل معهم)[١].

ويؤكد هذه المعاني السابقة ما ذكره د/ عبد الستار فتح الله سعيد فيقول: (أما غير اليهود (الجوييم) -أي الأمميين- فهم جميعا -في عقيدة اليهود- بلا استثناء كفرة وثنيون، بل لا يقبل الله منهم عبادة ولا عملا، وهم أيضا أنجاس بأصل الخلقة؛ لأنهم ليسوا من جوهر الله (سبحانه عما يقولون) بل خلقوا من طينة شيطانية، ثم هم أيضا حيوانات في صورة إنسان، ولم يعطوا هذه الصورة إلا إكراما لليهود؛ حتى يحصل الإنس للإسرائيلي السيد بصورة خادمه الذي لم يخلق أصلا إلا لهذه المهمة)[٢].

ورغم ما نزل باليهود من ألوان الاضطهاد وصنوف العذاب على مر العصور والأزمان لم تتغير نظرتهم العنصرية إلى أنفسهم.

فقد جاء في بروتوكولاتهم ما يقرر ذلك، منها: (وعقل الأمم لكونه ذا طبيعة بهيمية محضة غير قادر على تحليل أي شيء وملاحظته، فضلا عن التكهن بما قد يؤدى إليه امتداد حال من الأحوال إذا وضع في ضوء معين، وهذا الاختلاف التام في العقلية بيننا وبين الأمميين هو الذي يمكن أن يرينا بسهولة أن اختيارنا من عند الله، وأننا ذوو طبيعة ممتازة فوق الطبيعة البشرية، حين تقارن بالفعل الفطري البهيمي عند الأمميين، إنهم يعانون

(١) انظر اليهودية واليهودية والمسيحية د/ فؤاد حسنين على، صـ٢٧٢ وما بعدها، وانظر دراسة في التوراة والإنجيل كامل سعفان، صـ١١٩ دار الفضيلة سنة ١٩٨٢م.

(٢) معركة الوجود بين القرآن والتلمود د/ عبد الستار فتح الله سعيد صـ١٥٨ دار التوزيع والنشر الإسلامية ط/ الرابعة سنة ١٤١٤هـ.

فحسب ولكن لا يتنبؤون بها، ومن كل هذا يتضح أن الطبيعة قد قدرتنا تقديرا لقيادة العالم وحكمة)[١].

من مظاهر العنصرية عند اليهود:

يتبين مما سبق أن الديانة اليهودية ديانة إقليمية وعنصرية، وتميز اليهود عن غيرهم من الناس، وهذه العنصرية واضحة في تعاليم دينهم وفي نصوص أسفارهم، ومن بين مظاهر العنصرية التي وردت في أسفار العهد القديم ما يلي:

١- قد يكون الشيء الواحد حلالا لليهودي حراما على غيره، فاليهود محرم عليهم أن يقتل بعضهم بعضا، وأن يخرج بعضهم بعضا من ديارهم، في حين أنهم مباح لهم بل واجب عليهم غزو الشعوب الأخرى، وواجب عليهم بعد انتصارهم على بلد ما أن يضربوا رقاب جميع رجالها البالغين فلا يبقوا على أحد منهم، و يسترقوا جميع نسائها وأطفالها ويستولوا على جميع ما فيها من مال وعقار ومتاع، يقول سفر التثنية (حِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِينَةٍ لِكَيْ تُحَارِبَهَا اسْتَدْعِهَا إِلَى الصُّلْحِ، فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلَى الصُّلْحِ وَفَتَحَتْ لَكَ، فَكُلُّ الشَّعْبِ الْمَوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لَكَ لِلتَّسْخِيرِ وَيُسْتَعْبَدُ لَكَ. وَإِنْ لَمْ تُسَالِمْكَ، بَلْ عَمِلَتْ مَعَكَ حَرْبًا، فَحَاصِرْهَا. وَإِذَا دَفَعَهَا الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى يَدِكَ فَاضْرِبْ جَمِيعَ ذُكُورِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالأَطْفَالُ وَالْبَهَائِمُ وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ، كُلُّ غَنِيمَتِهَا، فَتَغْتَنِمُهَا لِنَفْسِكَ، وَتَأْكُلُ غَنِيمَةَ أَعْدَائِكَ الَّتِي أَعْطَاكَ الرَّبُّ إِلهُكَ. هكَذَا تَفْعَلُ بِجَمِيعِ الْمُدُنِ الْبَعِيدَةِ مِنْكَ جِدًّا الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ مُدُنِ هؤُلاَءِ الأُمَمِ هُنَا)[٢].

---

(١) الخطر اليهودي (بروتوكولات حكماء صهيون) ترجمة محمد خليفة التونسي، صـ٢٤١، ط / مكتبة دار التراث.

(٢) سفر التثنية ٢٠ (١٠-١٥).

٢- إن الإسرائيلي إذا باع نفسه بيعا اختياريا لأخيه الإسرائيلي في حالة عوزه وحاجته إلى المال، فإن رقه يكون مؤقتا بأجل يرجع بعده إلى حريته، على حين أن الرق المضروب على غير الإسرائيلي يظل أبد الآبدين.

جاء في سفر اللاويين: (وَإِذَا افْتَقَرَ أَخُوكَ وَقَصُرَتْ يَدُهُ عِنْدَكَ، فَاعْضُدْهُ غَرِيبًا أَوْ مُسْتَوْطِنًا فَيَعِيشَ مَعَكَ. لاَ تَأْخُذْ مِنْهُ رِبًا وَلاَ مُرَابَحَةً، بَلِ اخْشَ إِلهَكَ، فَيَعِيشَ أَخُوكَ مَعَكَ. فِضَّتَكَ لاَ تُعْطِهِ بِالرِّبَا، وَطَعَامَكَ لاَ تُعْطِ بِالْمُرَابَحَةِ. أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمُ الَّذِي أَخْرَجَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ لِيُعْطِيَكُمْ أَرْضَ كَنْعَانَ، فَيَكُونَ لَكُمْ إِلهًا. وَإِذَا افْتَقَرَ أَخُوكَ عِنْدَكَ وَبِيعَ لَكَ، فَلاَ تَسْتَعْبِدْهُ اسْتِعْبَادَ عَبْدٍ. كَأَجِيرٍ، كَنَزِيلٍ يَكُونُ عِنْدَكَ. إِلَى سَنَةِ الْيُوبِيلِ يَخْدِمُ عِنْدَكَ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ عِنْدِكَ هُوَ وَبَنُوهُ مَعَهُ وَيَعُودُ إِلَى عَشِيرَتِهِ، وَإِلَى مُلْكِ آبَائِهِ يَرْجِعُ. لأَنَّهُمْ عَبِيدِي الَّذِينَ أَخْرَجْتُهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لاَ يُبَاعُونَ بَيْعَ الْعَبِيدِ. لاَ تَتَسَلَّطْ عَلَيْهِ بِعُنْفٍ، بَلِ اخْشَ إِلهَكَ. وَأَمَّا عَبِيدُكَ وَإِمَاؤُكَ الَّذِينَ يَكُونُونَ لَكَ، فَمِنَ الشُّعُوبِ الَّذِينَ حَوْلَكُمْ. مِنْهُمْ تَقْتَنُونَ عَبِيدًا وَإِمَاءً. وَأَيْضًا مِنْ أَبْنَاءِ الْمُسْتَوْطِنِينَ النَّازِلِينَ عِنْدَكُمْ، مِنْهُمْ تَقْتَنُونَ وَمِنْ عَشَائِرِهِمِ الَّذِينَ عِنْدَكُمُ الَّذِينَ يَلِدُونَهُمْ فِي أَرْضِكُمْ، فَيَكُونُونَ مُلْكًا لَكُمْ. وَتَسْتَمْلِكُونَهُمْ لأَبْنَائِكُمْ مِنْ بَعْدِكُمْ مِيرَاثَ مُلْكٍ. تَسْتَعْبِدُونَهُمْ إِلَى الدَّهْرِ. وَأَمَّا إِخْوَتُكُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فَلاَ يَتَسَلَّطْ إِنْسَانٌ عَلَى أَخِيهِ بِعُنْفٍ)[1].

٣- لا يجوز للإسرائيلي أن يتعامل بالربا مع أخيه الإسرائيلي، ولا أن يأخذ منه رهنا يدينه، وإذا أخذ منه في الصباح رهنا من المتاع الذي لا يستغنى عنه في حياته اليومية كالرحا وما إليها وجب أن يرده إليه في المساء، أما غير الإسرائيلي فمباح للإسرائيلي أن يمتصه،

(١) سفر اللاويين ٢٥ (٣٥-٤٦) والإصحاح ١٥ (١٢).

ويتعامل معه بأشنع أنواع الربا الفاحش جاء في سفر التثنية: (الأَجْنَبِيَّ تُطَالِبُ، وَأَمَّا مَا كَانَ لَكَ عِنْدَ أَخِيكَ فَتُبْرِئُهُ يَدُكَ مِنْهُ. إِلاَّ إِنْ لَمْ يَكُنْ فِيكَ فَقِيرٌ)[1] وهذا بخصوص الرهن، أما الربا فيقول سفر التثنية: («لاَ تُقْرِضْ أَخَاكَ بِرِبًا، رِبَا فِضَّةٍ، أَوْ رِبَا طَعَامٍ، أَوْ رِبَا شَيْءٍ مَّا مِمَّا يُقْرَضُ بِرِبًا، لِلأَجْنَبِيِّ تُقْرِضُ بِرِبًا، وَلكِنْ لأَخِيكَ لاَ تُقْرِضْ بِرِبًا، لِيُبَارِكَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ فِي كُلِّ مَا تَمْتَدُّ إِلَيْهِ يَدُكَ فِي الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكَهَا)[2].

فإذا كانت هذه الوصايا تمنع اليهود من هذه الأخلاق الذميمة مع أقاربهم ومع بعضهم البعض، فهي تجيزها مع غيرهم من الناس، وهم في حل من هذه الوصية حينئذٍ.

وهكذا يبدو عنصرية الديانة اليهودية، بدوا واضحا من خلال أسفار العهد القديم، وكذا التلمود، وهم بهذه المزاعم قد نقلوا ديانة موسى عليه السلام من وضعها الصحيح ومسارها القويم، إلى أوضاع زائفة من صنع اليهود وحاخاماتهم، يجيزون لأنفسهم ما يحرمونه على الآخرين دون مبرر معقول.

❁❁❁

(١) سفر التثنية ١٥ (٣).

(٢) سفر التثنية ٢٣ (١٩-٢٠).

المطلب الثاني: موقف القرآن الكريم من العنصرية والإقليمية عند اليهود

أولا: موقف القرآن الكريم من العنصرية:

يتضح موقف القرآن الكريم من العنصرية عند اليهود من خلال الآيات التالية وأقوال المفسرين فيها:

١- قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ (١).

يقول الحافظ ابن كثير في تفسيره للآية: (يبين تعالى اغترار اليهود والنصارى بما هم فيه حيث ادعت كل طائفة من اليهود والنصارى أنه لن يدخل الجنة إلا من كان على ملتها، هذه الدعوى التي ادعوها بلا دليل ولا حجة ولا بينة فقال ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾ وقال أبو العالية أماني تمنوها على الله بغير حق)(٢).

وفي الحقيقة إن هذه المقولة لا تستند إلى دليل، سوى الادعاء العريض، ومن ثم يلقن الله رسوله ﷺ أن يجيبهم بالتحدي وأن يطالبهم بالدليل ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾.

٢- وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ (٣).

---

(١) سورة البقرة الآية (١١١).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/١٥٥.

(٣) سورة آل عمران الآية (٧٥).

يقول الحافظ ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: (أي إنما حملهم على جحود الحق أنهم يقولون: ليس علينا في ديننا حرج في أكل أموال الأميين وهم العرب، فإن الله قد أحلها لنا، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي وقد اختلقوا هذه المقالة، وائتفكوها بهذه الضلالة فإن الله حرم عليهم أكل الأموال إلا بحقها وإنما هم قوم بهت. ونقل الحافظ ابن كثير حديثا عن ابن أبى حاتم بسنده عن سعيد بن جبير قال: لما قال أهل الكتاب ليس علينا في الأميين سبيل، قال نبي الله ﷺ كذب أعداء الله ما من شيء كان في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي هاتين إلا الأمانة، فإنها مؤداة إلى البر والفاجر)[1].

وهذا الوصف بالذات صفة اليهود. فهم الذين يقولون هذا القول؛ ويجعلون للأخلاق مقاييس متعددة، فالأمانة بين اليهودي واليهودي، أما غير اليهود فلا حرج على اليهودي في أكل أموالهم وغشهم وخداعهم والتدليس عليهم واستغلالهم بلا تحرج من وسيلة خسيسة ولا فعل ذميم، ومن العجب أن يزعموا أن إلههم ودينهم يأمرهم بهذا. وهم يعلمون أن هذا كذب، وأن الله لا يأمر بالفحشاء ولا يبيح لجماعة من الناس أن يأكلوا أموال جماعة من الناس سحتا وبهتانا، وألا يراعوا معهم عهدا ولا ذمة.

٣- وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾[2].

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٧٥/١.

(٢) سورة المائدة الآية (١٨).

يقول الأستاذ سيد قطب: (واليهود والنصارى بادعائهم أنهم أبناء الله وأحباؤه كانوا يقولون -تبعا لهذا- إن الله لن يعذبهم بذنوبهم! وإنهم لن يدخلوا النار -إذا دخلوا- إلا أياما معدودات ومعنى هذا أن عدل الله لا يجرى مجراه!، وأنه سبحانه يحابى فريقا من عباده، فيدعهم يفسدون في الأرض ثم لا يعذبهم عذاب المفسدين الآخرين! فأي فساد في الحياة يمكن أن ينشأ عن مثل هذا التصور؟ وأي اضطراب في الحياة يمكن أن ينشأه عن مثل هذا الانحراف؟ وهنا يضرب الإسلام ضربته الحاسمة على هذا الفساد في التصور، وكل ما يمكن أن ينشئه من الفساد في الحياة، ويقرر عدل الله الذي لا يحابى؛ كما يقرر بطلان ذلك الادعاء: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ﴾ بذلك يقرر الحقيقة الحاسمة في عقيدة الإيمان. يقرر بطلان ادعاء البنوة فهم بشر ممن خلق، ويقرر عدل الله وقيام المغفرة والعذاب عنده على أصلها الواحد، على مشيئته التي تقرر الغفران بأسبابه، وتقرر العذاب بأسبابه، لا بسبب بنوة أو صلة شخصية!)[1].

وهذه الآيات السابقة ترد على اليهود في تخرصاتهم الباطلة، وزعمهم أنهم جنس ممتاز على سائر الأجناس، وأنهم أبناء الله ﷻ وأحبابه وانهم إذا دخلوا النار فلن يكون ذلك للأبد، بل لمدة محدودة ولفترة قصيرة، وتثبت الآيات أنهم بشر كسائر البشر، لا يمتازون عنهم في شيء وليس بين الله وبين أحد صلة إلا بطاعته، يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء، وأن الله لم يعط أحدا من خلقه عهدا أنه لن يورده ناره، ولن يذيقه عذابه، وبهذا فيكون

(١) في ظلال القرآن، ٢/٨٦٦-٨٦٧.

القرآن قد رد على عنصرية اليهود، إذ الخلق كلهم عبيد الله وحده وهم لا يتفاضلون بالأحساب والأنساب وإنما يتفاضل الناس بتقواهم وطاعتهم لله ﷻ.

ومن الجدير بالذكر أنه قد وردت عدة آيات في القرآن الكريم تصرح بتفضيل الله لبنى إسرائيل على العالمين وهي تحتاج إلى وقفة معها، ومن هذه الآيات ما يلي:

١- قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (١).

٢- وقال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (٢).

٣- وقال تعالى: {ولقد نجينا بنى إسرائيل من العذاب المهين، من فرعون إنه كان عاليا من المسرفين ولقد اخترناهم على علم على العالمين} (٣).

٤- وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ (٤).

والسؤال الذي يطرح نفسه بعد تصريح هذه الآيات بتفضيل بنى إسرائيل على العالمين هل التفضيل تفضيل مطلق أم مشروط؟، وما معنى هذا التفضيل؟، وما المقصود بالعالمين؟.

وأدع الإجابة على هذه التساؤلات للمفسرين:-

---

(١) سورة البقرة الآية (٤٧).

(٢) سورة المائدة الآية (٢٠).

(٣) سورة الدخان الآيات (٣٠-٣٢).

(٤) سورة الجاثية الآية (١٦).

يقول صاحب تفسير المنار: (ناداهم باسم أبيهم الذي هو أصل عزهم وسؤددهم ومنشأ تفضيلهم، وأسند النعمة إليهم جميعا لا إليه وحده، لأن النعمة عمتهم والتفضيل شملهم، ثم طفق يفصل النعمة التي ذكرها مجملةً فيما سبق بذكر أمهات أنواعها فذكر تفضيلهم على العالمين بمحض كرمه وفضله، فإن بنى إسرائيل كغيرهم من البشر، والتفضيل هو مناط الأخذ بالفضائل وترك الرذائل، لأن الذي يرى نفسه رذلا خسيسا لا يبالى بما يفعل، ومن يرى نفسه مفضلا مكرما فإنه يترفع عن الدنايا والخسائس التي تدنس شرفه وتذهب بفضله.

والحكمة بالتذكير بالتفضيل أن الذي فضلهم، له أن يفضل غيرهم، كمحمد ﷺ وأمته، وتنبيههم إلى عدم الذهول عن أنفسهم ليذكروها عند أمر الناس بالبر، ويعلموا أنهم أولى بأن يبروا ممن يأمرونهم بالبر، لأنهم يتلون الكتاب الداعي إليه وهو آية تفضيلهم، وإلى أنهم أحق باستعمال الفكر في الآيات التي أتيها النبي ﷺ وأجدر من جميع الشعوب بالإيمان به، فإن المفضل أولى بالسبق إلى الفضائل ممن فضل هو عليه)[1].

ويقول الألوسي: (كرر التذكير للتأكيد، والإيذان بكمال غفلتهم عن القيام بحقوق النعمة، ثم يقول والمراد بالعالمين: سائر الموجودين في وقت التفضيل، وتفضيلهم بما منحهم من النعمة المشار إليها بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا ﴾ فلا يلزم من الآية تفضيلهم على النبي ﷺ ولا على أمته الذين هم خير أمة أخرجت للناس)[2].

---

(١) تفسير المنار، ٢٥٢/١-٢٥٣.

(٢) روح المعاني للألوسي، ٣٩٧/١ ط/ دار الفكر بيروت لبنان سنة ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

وفي الآية الثانية التي جاءت في معرض الامتنان عليهم يقول الرازي: (من النعم التي ذكرها الله تعالى في هذه الآية قوله: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ وذلك لأنه تعالى خصهم بأنواع عظيمة من الإكرام أحدها أنه تعالى فلق البحر لهم، وثانيها: أنه أهلك عدوهم وأورثهم أموالهم، وثالثها: أنه أنزل عليهم المن والسلوى، ورابعها: أنه أخرج لهم المياه العزبة من البحر، وخامسها: أنه تعالى أظل فوقهم الغمام، وسادسها: أنه لم يجتمع لقوم الملك والنبوة كما جمع لهم)(١).

وفي الآية الثالثة يقول الإمام ابن كثير: (يمتن عليهم تعالى حيث أنقذهم مما كانوا فيه من إهانة فرعون وإذلاله لهم وتسخيره إياهم في الأعمال المهينة الشاقة وقوله جل جلاله: ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ قال مجاهد: على من هم بين ظهرانيهم. وقال قتادة: اختيروا على أهل زمانهم ذلك، وكان يقال: إن لكل زمان عالم، وهذا لقوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ أي أهل زمانه ذلك كقوله ﷻ لمريم عليها السلام: ﴿ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ أي في زمانها)(٢).

وفي الآية الرابعة يقول الأستاذ/ سيد قطب: (فكانت فيهم التوراة شريعة الله، وكان فيهم الحكم لإقامة الشريعة، وكان فيهم النبوة بعد رسالة موسى وكتابه للقيام على الشريعة والكتاب، وكثر فيهم الأنبياء، وتتابعوا فترة طويلة نسبيا في التاريخ ﴿ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ فكانت مملكتهم ونبواتهم في الأرض المقدسة الطيبة، الكثيرة الخيرات بين النيل

(١) تفسير الفخر الرازي ٢٠١/١١ دار الفكر بيروت لبنان ط/ الثالثة سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
(٢) تفسير ابن كثير، ١٤٣/٤.

والفرات، ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ وكان تفضيلهم على أهل زمانهم بطبيعة الحال، وكان مظهر هذا

التفصيل الأول اختيارهم للقيادة بشريعة الله، وإيتائهم الكتاب والحكم والنبوة)[١].

ويتبين من توجيه المفسرين لمعنى التفضيل: أن التفضيل كان على عالم زمانهم، وأنه ليس على أمة محمد ﷺ وسائر من يجيء من بعدهم، وأنه امتنان من الله تعالى عليهم حيث أنقذهم مما كانوا فيه، عساهم يثوبون إلى رشدهم، ويقومون بما أمرهم الله تعالى- وعلى كل حال، فليس المراد أنهم مفضلون على عموم الخليقة.

❁❁❁

ثانيا: موقف القرآن الكريم من إقليمية الديانة اليهودية:

يؤكد القرآن الكريم إقليمية دعوة موسى عليه السلام وأن الله عز وجل أرسله إلى قوم مخصوصين، وهم بنى إسرائيل فقط، فدعوته لم تتجاوزهم، ولم تتعدى البقعة التي يعيشون فيها.

والقرآن الكريم وهو المصدق لما سبق من الكتب، والمهيمن عليها، يقص موقف موسى وأخيه هارون -عليهما السلام- مع فرعون، حين ذهبا إليه ليبلغاه أنهما رسولا الله إلى بنى إسرائيل، قوله تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾﴾ [٢] يقول الإمام الفخر الرازي: (المراد من هذا الإرسال التخلية والإطلاق.. يريد خلهم يذهبوا معنا)[٣].

---

(١) في ظلال القرآن، أ/ سيد قطب ٣٢٢٨/٥ دار الشروق الثانية عشر سنة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

(٢) سورة الشعراء الآيتان (١٦-١٧).

(٣) تفسير الفخر الرازي ٢٤/ ١٢٤.

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ ﴾[1].

يقول الإمام الطبري والمعنى: (أن موسى سأل فرعون بنى إسرائيل أن يرسلهم معه)[2] وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾[3].

فهذه الآيات تصرح بأن موسى عليه السلام كان مرسلا إلى بنى إسرائيل خاصة، وأنه لم يتعداهم إلى غيرهم، ولذا لم يطلب من فرعون إلا أن يرسلهم معه، وكان دائما يخاطب قومه مبينا اختصاصه بهم بقوله: ﴿ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾ فهي دلالة صريحة على أن رسالته خاصة، وليست عامة.

❁❁❁

(١) سورة الإسراء الآية (١٠١).

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن، للطبري ١٥/ ١١٦ دار المعرفة بيروت ط/ الثالثة، سنة ١٣٩٨هـ-١٩٨٧م.

(٣) سورة الصف الآية (٥).

والخلاصة من خلال دراسة مدى تحقق خصيصة العالمية في العهد القديم يمكن القول بما يلي:-

إنه لا أثر للعالمية في العهد القديم، لأنه يمتلئ بالنصوص الصريحة الواضحة التي تدل على إقليمية رسالة موسى عليه السلام وعدم خروجها من دائرة بنى إسرائيل.

بالإضافة إلى زعمهم أنهم عنصر خاص وجنس ممتاز، وقد تجلت تلك العنصرية في شريعتهم التي أباحوا فيها أمورا في تعاملهم مع الناس وإن كانت محرمة فيما بينهم، وتأكدت هذه العنصرية البغيضة في ادعائهم أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنهم شعبه المختار، وأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودة.

وقد جاءت نصوص التلمود تؤكد هذه المعاني وتضيف إليها الكثير، مما يكشف عن عنصريتهم، وأنهم لا يطمحون ولا يسعون إلى أن يدخل غيرهم من الأمميين ذوى الأرواح النجسة -في زعمهم- في ملتهم.

❁❁❁

المبحث الرابع

دراسة مدي تحقق خصيصة الشمولية في العهد القديم

مقدمـــة

إن الدين الذي ينظم شئون الناس وحياتهم؛ لابد أن يكون دينا شاملا وكاملا.

والمقصود بالشمول: أن تشمل أحكام الدين كل جانب من جوانب الحياة، فلا يقتصر على ناحية منها دون ناحية أخرى. فالشمول معناه: العموم، يقال (شمل الأمر القـوم: أي عمهم)[1].

فالدين الشامل هو الذي يحكم الإنسان في كل تصرفاته، وفي كـل مجـالات حياتـه، في علاقة الإنسان بربه، وفي علاقته بأخيه الإنسان، وبأسرته، وبمجتمعه الذي يعيش فيه، بـل وينظم علاقة الدولة بغيرها من الدول، فالدين يتعهد كل شيء في الحياة، فلا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا وينظمها.

ليس هذا فحسب، بل إن من معاني الشمول أن تتسع تعاليم هذا الدين لتشمل حقائق الكون كله، وتتسق معه، فلا تتعارض مع حقائق العلم، ولا تصطدم مع منطق الفكر.

كما أن من شمولية الدين أن تشتمل أحكامه وتعاليمه على العقيدة والشريعة والعبـادة والأخلاق فيتحدث عن ذلك كله حديثا مفصلا.

إذا فالشمولية تعنى: عموم أحكام الدين لكل جوانب الحياة جميعها، ومجـالات حيـاة الإنسان كلها، فالدين الشامل هو الذي يصبغ الكون والحياة والإنسان بصبغته، فلا يفصل

---

(١) المعجم الوسيط ٥١٤/١.

بين الدنيا والدين، ولا بين الجسد والروح ولا بين الفرد والمجتمع، ولا بين عالم الغيب وعالم الشهادة.

والسؤال الذي يطرح نفسه، هل العهد القديم يحقق هذا الشمول، أم أن هذه الكتب تتناول جانبا ويغيب عنها عدة جوانب؟ هذا ما سيتضح من خلال الصفات الآتية -إن شاء الله تعالى-.

❁❁❁

المطلب الأول: مدى شمولية العقيدة في العهد القديم

وأما عن مدى شمولية العقيدة في العهد القديم فيمكن إبراز ذلك من خلال الحديث عن النقاط الآتية:-

أ- أسماء الذات الإلهية وصفاتها. ب- الملائكة. جـ- الأنبياء

د- اليوم الآخر. هـ- القضاء والقدر.

أما الذات الإلهية، فقد جاء في العهد القديم أن من أسماء الذات الإلهية الرب، الله، وياهو، ويهوه، والجدير بالذكر أن اسم الذات الإلهية ياهو قد أطلق على بعض الملوك الذين ورد ذكرهم في العهد القديم، ويتضح ذلك من خلال سفر الملوك الثاني، الذي تحدث عن ملك يسمى ياهو ودوره في مقاومة الوثنيين، جاء فيه: (ثُمَّ جَمَعَ يَاهُو كُلَّ الشَّعْبِ وَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّ أَخْآبَ قَدْ عَبَدَ الْبَعْلَ قَلِيلا، وَأَمَّا يَاهُو فَإِنَّهُ يَعْبُدُهُ كَثِيرًا)[1].

كما ورد أيضا اسم الله واسم أهيه، جاء في سفر الخروج: (فَقَالَ اللهُ لِمُوسَى: «أَهْيَهِ الَّذِي أَهْيَهْ». وَقَالَ: «هكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَهْيَهْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ». وَقَالَ اللهُ أَيْضًا لِمُوسَى:

(١) سفر الملوك الثاني الاصحاح ١٠ (١٨).

«هكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: يَهْوَهْ إِلهُ آبَائِكُمْ، إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ. هذَا اسْمِي إِلَى الأَبَدِ وَهذَا ذِكْرِي إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ.)[١].

هذه هي أسماء الذات الإلهية التي وردت في العهد القديم، ولم أعثر فيه على اسم **أدوناي، وألوهيم**.

ومن الجدير بالذكر أن الإله عند اليهود خاص بهم دون غيرهم من الناس جاء في سفر الخروج: (فَالآنَ إِنْ سَمِعْتُمْ لِصَوْتِي، وَحَفِظْتُمْ عَهْدِي تَكُونُونَ لِي خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. فَإِنَّ لِي كُلَّ الأَرْضِ. وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةَ كَهَنَةٍ وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً. هذِهِ هِيَ الْكَلِمَاتُ الَّتِي تُكَلِّمُ بِهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ».)[٢] وجاء في سفر التثنية: (لأَنَّكَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ، وَقَدِ اخْتَارَكَ الرَّبُّ لِكَيْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًّا فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ)[٣].

وقد أكد سفر الخروج هذه العنصرية بقوله: (وَأَتَّخِذُكُمْ لِي شَعْبًا، وَأَكُونُ لَكُمْ إِلهًا)[٤].

وجاء في سفر يوئيل: (وَلكِنِ الآنَ، يَقُولُ الرَّبُّ، ارْجِعُوا إِلَيَّ بِكُلِّ قُلُوبِكُمْ، وَبِالصَّوْمِ وَالْبُكَاءِ وَالنَّوْحِ. وَمَزِّقُوا قُلُوبَكُمْ لاَ ثِيَابَكُمْ». وَارْجِعُوا إِلَى الرَّبِّ إِلهِكُمْ لأَنَّهُ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ، بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الرَّأْفَةِ وَيَنْدَمُ عَلَى الشَّرِّ)[٥]. فهذه النصوص تؤكد أن لليهود إلها خاصا بهم وليس هو إله لكل الشعوب.

---

(١) سفر الخروج ٣ (١٤-١٥) وانظر الإصحاح ٦(٢-٣).
(٢) سفر الخروج ١٩ (٥-٦).
(٣) سفر التثنية ١٤ (٢).
(٤) سفر الخروج ٦ (٧).
(٥) سفر يوئيل ٢ (١٢-١٣).

وأما صفات الإله فقد وصفه العهد القديم بشتى الصفات ومن أوضح هذه الصفات في العهد القديم ثلاث صفات وهي:-

١-التفرد بالخلق. ٢-التجسد. ٣- القوة والحدة.

أولا: التفرد بالخلق: فقد أشار العهد القديم إلى أن الله كان ولم يكن شيء معه، وأنه خلق الكون كله دون أن يكون له معين أو شريك، جاء في سفر التكوين الإصحاح الأول: (فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ. وَكَانَتِ الأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً، وَعَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ ظُلْمَةٌ، وَرُوحُ اللهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ. وَقَالَ اللهُ: «لِيَكُنْ نُورٌ»، فَكَانَ نُورٌ. وَرَأَى اللهُ النُّورَ أَنَّهُ حَسَنٌ. وَفَصَلَ اللهُ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ. وَدَعَا اللهُ النُّورَ نَهَارًا، وَالظُّلْمَةُ دَعَاهَا لَيْلاً. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا وَاحِدًا.)[1].

ففي النص السابق يتضح أن الله قد انفرد بالخلق، ولم يشترك معه في ذلك أحد، وأنه هو الذي خلق السماوات والأرض وكل ما فيهما، وكل ما على الأرض من إنسان وحيوان وطير ونبات وجماد، ولم يشاركه في ذلك أحد من الخلق.

ثانيا: التجسد: يعتقد اليهود تجسد الإله في صورة محسوسة يمكن أن تشاهد، جاء في سفر الخروج: (وَكَانَ الرَّبُّ يَسِيرُ أَمَامَهُمْ نَهَارًا فِي عَمُودِ سَحَابٍ لِيَهْدِيَهُمْ فِي الطَّرِيقِ، وَلَيْلاً فِي عَمُودِ نَارٍ لِيُضِيءَ لَهُمْ. لِكَيْ يَمْشُوا نَهَارًا وَلَيْلاً. لَمْ يَبْرَحْ عَمُودُ السَّحَابِ نَهَارًا وَعَمُودُ النَّارِ لَيْلاً مِنْ أَمَامِ الشَّعْبِ)[2].

كما يرون أن الله ﷻ قد استراح بعد العمل جاء في سفر التكوين: (فَأُكْمِلَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَكُلُّ جُنْدِهَا. وَفَرَغَ اللهُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ. فَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ

(١) انظر سفر التكوين ١ (١-٣١).
(٢) سفر الخروج ١٣ (٢١-٢٢).

السَّابِعِ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ. وَبَارَكَ اللهُ الْيَوْمَ السَّابِعَ وَقَدَّسَهُ، لأَنَّهُ فِيهِ اسْتَرَاحَ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ اللهُ خَالِقًا)[1].

كما وصفوا الإله بالضعف وقدرة البشر عليه حيث جاء في سفر التكوين: (وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ. وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ، فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ. وَقَالَ: «أَطْلِقْنِي، لأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ». فَقَالَ: «لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي». فَقَالَ لَهُ: «مَا اسْمُكَ؟» فَقَالَ: «يَعْقُوبُ». فَقَالَ: «لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ».)[2].

كما أن الإله عند اليهود يأكل ويشرب، جاء في سفر التكوين أيضا: (وَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ عِنْدَ بَلُّوطَاتِ ممْرَا وَهُوَ جَالِسٌ فِي بَابِ الْخَيْمَةِ وَقْتَ حَرِّ النَّهَارِ، فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا ثَلاَثَةُ رِجَال وَاقِفُونَ لَدَيْهِ. فَلَمَّا نَظَرَ رَكَضَ لاسْتِقْبَالِهِمْ مِنْ بَابِ الْخَيْمَةِ وَسَجَدَ إِلَى الأَرْضِ، وَقَالَ: «يَا سَيِّدُ، إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَلاَ تَتَجَاوَزْ عَبْدَكَ. لِيُؤْخَذْ قَلِيلُ مَاءٍ وَاغْسِلُوا أَرْجُلَكُمْ وَاتَّكِئُوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَآخُذَ كِسْرَةَ خُبْزٍ، فَتُسْنِدُونَ قُلُوبَكُمْ ثُمَّ تَجْتَازُونَ، لأَنَّكُمْ قَدْ مَرَرْتُمْ عَلَى عَبْدِكُمْ». فَقَالُوا: «هكَذَا تَفْعَلُ كَمَا تَكَلَّمْتَ». فَأَسْرَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْخَيْمَةِ إِلَى سَارَةَ، وَقَالَ: «أَسْرِعِي بِثَلاَثِ كَيْلاَتٍ دَقِيقًا سَمِيذًا. اعْجِنِي وَاصْنَعِي خُبْزَ مَلَّةٍ». ثُمَّ رَكَضَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْبَقَرِ وَأَخَذَ عِجْلاً رَخْصًا وَجَيِّدًا وَأَعْطَاهُ لِلْغُلاَمِ فَأَسْرَعَ لِيَعْمَلَهُ. ثُمَّ أَخَذَ زُبْدًا

(١) سفر التكوين الاصحاح الثاني (١-٤).

(٢) سفر التكوين الاصحاح ٣٢ (٢٤-٢٩).

وَلَبَنًا، وَالْعِجْلَ الَّذِي عَمِلَهُ، وَوَضَعَهَا قُدَّامَهُمْ. وَإِذْ كَانَ هُوَ وَاقِفًا لَدَيْهِمْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ أَكَلُوا)[1].

كما أن الإله عندهم تعتريه حالات نفسية كالألم والحزن والندم، جاء في سفر التكوين: (وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ. ٦ فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ)[2].

كما وصفوه بأن عمله محدود قاصر لا يتجاوز المكان الذي يكون فيه، جاء في سفر التكوين: (فَنَادَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيْنَ أَنْتَ؟». فَقَالَ: «سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ». فَقَالَ: «مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لاَ تَأْكُلَ مِنْهَا؟» فَقَالَ آدَمُ: «الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ». فَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ لِلْمَرْأَةِ: «مَا هذَا الَّذِي فَعَلْتِ؟» فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: «الْحَيَّةُ غَرَّتْنِي فَأَكَلْتُ». فَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ لِلْحَيَّةِ: «لأَنَّكِ فَعَلْتِ هذَا، مَلْعُونَةٌ أَنْتِ مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَمِنْ جَمِيعِ وُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ. عَلَى بَطْنِكِ تَسْعَيْنَ وَتُرَابًا تَأْكُلِينَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكِ. وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ». وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: «تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ أَتْعَابَ حَبَلِكِ، بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلاَدًا. وَإِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ». وَقَالَ لآدَمَ: «لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِ امْرَأَتِكَ وَأَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ قَائِلاً: لاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، مَلْعُونَةٌ الأَرْضُ بِسَبَبِكَ. بِالتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ.

(١) انظر سفر التكوين ١٨ (١-٨)، والبلوطة: شجرة السنديان، وبلوطة ممرا: موضع بقرب شكيم، انظر معجم الألفاظ العسرة للكتاب المقدس، صـ٦-٧.

(٢) سفر التكوين إصحاح ٦ (٥).

وَشَوْكًا وَحَسَكًا تُنْبِتُ لَكَ، وَتَأْكُلُ عُشْبَ الْحَقْلِ. بِعَرَقِ وَجْهِكَ تَأْكُلُ خُبْزًا حَتَّى تَعُودَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُخِذْتَ مِنْهَا. لأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ».)[1].

ففي النصوص السابقة يتبين أن اليهود يصفون الإله بصفات محسوسة، وكأنه إله متجسد في صورة بشر يمكن مصارعته ومغالبته والتغلب عليه، كما أنه تعتريه بعض الحالات النفسية المتقلبة، فهو يحزن ويندم، ويجزع ويتألم، ومن الغريب أنهم يصفون الإله بأن علمه لا يحيط بالمعلومات ولا يدرك إلا ما يقع عليه بصره فقط، ولا ريب أن هذه الصفات السابقة لا تليق بالإله الخالق، الذي ينبغي أن يدين الناس له بالعبودية والطاعة.

ثالثا: القوة والحدَّة والانتقام: جاء في سفر العدد: (الرَّبُّ طَوِيلُ الرُّوحِ كَثِيرُ الإِحْسَانِ، يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَالسَّيِّئَةَ، لكِنَّهُ لاَ يُبْرِئُ. بَلْ يَجْعَلُ ذَنْبَ الآبَاءِ عَلَى الأَبْنَاءِ إِلَى الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ)[2].

ففي هذا النص ترى الإله في العهد القديم يعاقب الأبناء وأبناء الأبناء بجزاء الآباء وهذا يدل على ظلم الإله للأجيال اللاحقة في سرعة اتخاذ القرار.

وأما وصفه بالقوة والانتقام فيبدو واضحا مما ورد في سفر صموئيل الأول (قَالَ صَمُوئِيلُ لِشَاوُلَ: «إِيَّايَ أَرْسَلَ الرَّبُّ لِمَسْحِكَ مَلِكًا عَلَى شَعْبِهِ إِسْرَائِيلَ. وَالآنَ فَاسْمَعْ صَوْتَ كَلاَمِ الرَّبِّ. هكَذَا يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ: إِنِّي قَدِ افْتَقَدْتُ مَا عَمِلَ عَمَالِيقُ بِإِسْرَائِيلَ حِينَ وَقَفَ لَهُ فِي الطَّرِيقِ عِنْدَ صُعُودِهِ مِنْ مِصْرَ. فَالآنَ اذْهَبْ وَاضْرِبْ عَمَالِيقَ، وَحَرِّمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلاَ تَعْفُ عَنْهُمْ بَلِ اقْتُلْ رَجُلاً وَامْرَأَةً، طِفْلاً وَرَضِيعًا، بَقَرًا وَغَنَمًا، جَمَلاً وَحِمَارًا»)[3].

---

(١) سفر التكوين ٣ (٩-١٩).

(٢) سفر العدد ١٤ (١٨).

(٣) سفر صموئيل الأول ١٥ (١-٤).

مما سبق يتضح أن الإله في العهد القديم أقرب ما يكون إلى الإنسان الضعيف الذي لا يقوى على شيء ويحزن ويندم، ومن ثم فهو أبعد ما يكون عن صفات الإله بما له من جلال وكمال.

وأما ما ورد عن الملائكة في العهد القديم: فقد جاء فيه أن جبريل يقوم بدور الشيطان ويصنع الغواية للأنبياء بطلب وتحريض من الرب نفسه جاء في سفر الملوك الأول: (قَدْ رَأَيْتُ الرَّبَّ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّهِ، وَكُلُّ جُنْدِ السَّمَاءِ وُقُوفٌ لَدَيْهِ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ. فَقَالَ الرَّبُّ: مَنْ يُغْوِي أَخْآبَ فَيَصْعَدَ وَيَسْقُطَ فِي رَامُوتَ جِلْعَادَ؟ فَقَالَ هذَا هكَذَا، وَقَالَ ذَاكَ هكَذَا. ثُمَّ خَرَجَ الرُّوحُ وَوَقَفَ أَمَامَ الرَّبِّ وَقَالَ: أَنَا أُغْوِيهِ. وَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: بِمَاذَا؟ فَقَالَ: أَخْرُجُ وَأَكُونُ رُوحَ كَذِبٍ فِي أَفْوَاهِ جَمِيعِ أَنْبِيَائِهِ. فَقَالَ: إِنَّكَ تُغْوِيهِ وَتَقْتَدِرُ، فَاخْرُجْ وَافْعَلْ هكَذَا)[1].

كما يثبت العهد القديم أن الملائكة حين جاءت إبراهيم لتبشره بإسحاق قدم لهم إبراهيم طعاما، ووافقت الملائكة على صنعه، ثم أكلوا الطعام، جاء في سفر التكوين: (فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ

-يعنى إبراهيم عليه السلام- وَنَظَرَ وَإِذَا ثَلاَثَةُ رِجَال وَاقِفُونَ لَدَيْهِ. فَلَمَّا نَظَرَ رَكَضَ لاسْتِقْبَالِهِمْ مِنْ بَابِ الْخَيْمَةِ وَسَجَدَ إِلَى الأَرْضِ، وَقَالَ: «يَا سَيِّدُ، إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَلاَ تَتَجَاوَزْ عَبْدَكَ. لِيُؤْخَذْ قَلِيلُ مَاءٍ وَاغْسِلُوا أَرْجُلَكُمْ وَاتَّكِئُوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَآخُذَ كِسْرَةَ خُبْزٍ، فَتُسْنِدُونَ قُلُوبَكُمْ ثُمَّ تَجْتَازُونَ، لأَنَّكُمْ قَدْ مَرَرْتُمْ عَلَى عَبْدِكُمْ». فَقَالُوا: «هكَذَا تَفْعَلُ كَمَا تَكَلَّمْتَ». فَأَسْرَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْخَيْمَةِ إِلَى سَارَةَ، وَقَالَ: «أَسْرِعِي بِثَلاَثِ كَيْلاَتٍ دَقِيقًا

(١) سفر الملوك الأول ٢٢ (١٩-٢٠).

سَمِيذًا. اعْجِنِي وَاصْنَعِي خُبْزَ مَلَّةٍ». ثُمَّ رَكَضَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْبَقَرِ وَأَخَذَ عِجْلاً رَخْصًا وَجَيِّدًا وَأَعْطَاهُ لِلْغُلاَمِ فَأَسْرَعَ لِيَعْمَلَهُ. ثُمَّ أَخَذَ زُبْدًا وَلَبَنًا، وَالْعِجْلَ الَّذِي عَمِلَهُ، وَوَضَعَهَا قُدَّامَهُمْ. وَإِذْ كَانَ هُوَ وَاقِفًا لَدَيْهِمْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ أَكَلُوا)[1].

ولكن أسفار العهد القديم في موضع آخر تبين أن الملائكة رفضت أن تأكل من جدى معزة منوح، جاء في سفر القضاة: (فَقَالَ مَنُوحُ لِمَلاَكِ الرَّبِّ: «دَعْنَا نُعَوِّقْكَ وَنَعْمَلْ لَكَ جَدْيَ مِعْزًى». فَقَالَ مَلاَكُ الرَّبِّ لِمَنُوحَ: «وَلَوْ عَوَّقْتَنِي لاَ آكُلُ مِنْ خُبْزِكَ، وَإِنْ عَمِلْتَ مُحْرَقَةً فَلِلرَّبِّ أَصْعِدْهَا»)[2].

فهناك تناقض في نصوص العهد القديم فيما يتعلق بأكل الملائكة، فسفر التكوين يثبته وسفر القضاة يثبت رفضهم للأكل، وهذا التناقض الواضح بين أكل الملائكة وامتناعها يجعل الباحث يتساءل، أي النصين أصدق وأقوم؟ النص المثبت أم النص النافي؟

إن القول بصحة النصين محال لأن فيه جمع بين الشيء وضده، ولابد أن يترجح أحد الأمرين ولا مرجح، وهذه إحدى الشواهد الدالة على تناقض واضطراب العهد القديم.

أما عن النبوة في العهد القديم: فلا تقتصر على من اختارهم الله ﷻ ولكنها تشمل كل من يدعى النبوة والكهانة والسحرة والمخادعين والكاذبين يقول حزقيال: (قُلْ لِلَّذِينَ هُمْ أَنْبِيَاءُ مِنْ تِلْقَاءِ ذَوَاتِهِمِ: اسْمَعُوا كَلِمَةَ الرَّبِّ. هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: وَيْلٌ لِلأَنْبِيَاءِ الْحَمْقَى الذَّاهِبِينَ وَرَاءَ رُوحِهِمْ وَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا. أَنْبِيَاؤُكَ يَا إِسْرَائِيلُ صَارُوا كَالثَّعَالِبِ فِي الْخِرَبِ. لَمْ تَصْعَدُوا إِلَى الثُّغَرِ، وَلَمْ تَبْنُوا جِدَارًا لِبَيْتِ إِسْرَائِيلَ لِلْوُقُوفِ فِي الْحَرْبِ فِي يَوْمِ

(١) سفر التكوين ١٨(٢-٨).

(٢) سفر القضاة ١٣ (١٥-١٦).

الرَّبِّ. رَأَوْا بَاطِلاً وَعِرَافَةً كَاذِبَةً. الْقَائِلُونَ: وَحْيُ الرَّبِّ، وَالرَّبُّ لَمْ يُرْسِلْهُمْ، وَانْتَظَرُوا إِثْبَاتَ الْكَلِمَةِ)[١].

والمتأمل في أسماء الأنبياء في العهد القديم يجد أسماءً كثيرة قسمها اليهود إلى قسمين:-

١- أنبياء كبار مثل أشعياء، أرمياء، دانيال.

٢- أنبياء صغار مثل هوشع، عاموس، يونان.

ويرى اليهود أن النبوة بدأت بموسى وانتهت بملاخى، أما من كانوا قبل موسى كإبراهيم وإسحاق ويعقوب فيسمونهم آباءً وبطارقة[٢].

هذا وللأنبياء صفات كصفات البشر، فقد نفوا عنهم العصمة، ونسبوا إليهم ما لا يليق من الكبائر والصغائر، حتى ترى سيرة الأنبياء في العهد القديم، وكأنهم قادة أهل الشر والمعصية، ولم يسلم من ذلك نبي من أنبيائهم، وقد سبق بيان ما نسبوه إلى الأنبياء في المبحث الأول.

وأما عن عقيدة اليهود في اليوم الآخر[٣] فقبل بيانها تجدر الإشارة إلى أن المقصود من اليوم

الآخر عند اليهود. وتحديده أمر بالغ التعقيد، وما ذلك إلا لأن الإشارات التي توضحه تأتى عابرة، فهل المقصود بالآخرة عندهم اليوم الذي يبعث الخلق فيه للحساب

---

(١) سفر حزقيال ١٣ (٢-٦).

(٢) العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية د/سعد الدين السيد صالح صـ١٦٤ بتصرف ط/دار الصفا ١٩٩٠م الثانية.

(٣) استفدت حديث العهد القديم عن اليوم الآخر واكتفيت بالأحكام التي ساقها من كتاب (اليوم الآخر في كتاب اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام) د/ فرج الله عبد الباري أبو عطا الله، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ط/ الأولى سنة ١٤١١هـ-١٩٩١م.

والجزاء؟ أو المقصود يوم آخر بالنسبة لليهود يستريحون فيه من العناء والشقاء، وينتصرون فيه على الأعداء؟ لا أدرى أي ذلك يراد، لكن المهم أن الأسفار الخمسة وكذلك أسفار الأنبياء لا تحدد لليوم الآخر معنا دقيقا، ومع ذلك فسوف أحاول من خلال نصوص العهد القديم بيان المراد بالموت وما يليه من بعث وحشر وحساب وجزاء عند اليهود.

أما عن الموت في التصور اليهودي، فيتضح من خلال نظرة العهد القديم إليه عدة أمور:-

١- أن الموت عام لجميع البشر، جاء في سفر أيوب: (يُسَلِّمُ الرُّوحَ كُلُّ بَشَرٍ جَمِيعًا، وَيَعُودُ الإِنْسَانُ إِلَى التُّرَابِ)[١].

٢- أن الموت له أجل معلوم، جاء في سفر الجامعة: (لِكُلِّ شَيْءٍ زَمَانٌ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ تَحْتَ السَّمَاوَاتِ وَقْتٌ: لِلْوِلاَدَةِ وَقْتٌ وَلِلْمَوْتِ وَقْتٌ)[٢].

٣- الموت مرتبط بالخطيئة، يربط العهد القديم دائما بين الموت وخطيئة آدم فقد جاء في سفر التكوين (وَأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ اللهُ: لاَ تَأْكُلاَ مِنْهُ وَلاَ تَمَسَّاهُ لِئَلاَّ تَمُوتَا»)[٣].

وجاء في سفر حزقيال: (اَلنَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ)[٤] وجاء فيه أيضا: (وَإِذَا رَجَعَ الْبَارُّ عَنْ بِرِّهِ وَعَمِلَ إِثْمًا وَفَعَلَ مِثْلَ كُلِّ الرَّجَاسَاتِ الَّتِي يَفْعَلُهَا الشِّرِّيرُ، أَفَيَحْيَا؟ كُلُّ بِرِّهِ الَّذِي عَمِلَهُ لاَ يُذْكَرُ. فِي خِيَانَتِهِ الَّتِي خَانَهَا وَفِي خَطِيَّتِهِ الَّتِي أَخْطَأَ بِهَا يَمُوتُ.)[٥].

(١) سفر أيوب ٣٤ (١٥).
(٢) سفر الجامعة ٣ (١-٢).
(٣) سفر التكوين ٣ (٣).
(٤) سفر حزقيال ١٨ (٢٠).
(٥) سفر حزقيال ١٨ (٢٤).

وأما عن غسل الميت فقد جاء في قاموس الكتاب المقدس: (جرت العادة بين اليهود وبقية القدماء كما في أيامنا هذه أن يغمض الأقارب عيني الميت وأن يولولوا عليه ويتلوا عليه ويستمروا على ذلك أياما كثيرة بعد الدفن، وكانوا أيضا يغسلون الجثة ويلفونها بأكفان من كتان، ويربطون الرأس بمنديل وكانوا يدهنون الجثة ويلفونها بالأطيان)[١].

ويعتقد اليهود أن لمس الميت أو الدخول إلى الغرفة التي وضع فيها منجسا[٢].

أما البرزخ في التصور اليهودي فقد ورد في قاموس الكتاب المقدس: أن الهاوية مقر الموتى وهي ترجمة الكلمة العبرية شائول، والكلمة اليونانية هاويس، وقد فهم العبرانيون هذه الكلمة تارة كأنها قبر أو موت، وقد صور كتاب الأسفار الخمسة الجحيم كأنه مكان تحت الأرض وله أبواب وهو مكان مظلم مخيف سكانه يشعرون وكأنهم في وجود بليد جامد، وتذهب إليه نفوس الجميع وفيه القصاص وفيه الثواب، ولا يمكن العودة منه إلى الأرض، وهو مكان عريان أمام الله ويقول المرنم إن الله هناك، وإن أرواح شعبه وحالتهم في ذلك المكان كانت تحت عينيه الساهرة وهذا التعليم عن معرفة الله لشعبه بعد الموت وحضوره معهم ومجيئه الدائم لهم اشتمل على الغبطة للأبرار والويل للأشرار بعد الموت وأصبح لهم مقران الأبرار يكون مع الرب والأشرار بعيدون عن وجهه)[٣].

فمما سبق يتضح أن اليهود يعتقدون أن هناك قصاصا بعد الموت في القبر الذي يعتبرونه الهاوية، وأن القصاص يترتب عليه الثواب والعقاب.

---

(١) انظر قاموس الكتاب المقدس صـ٧١١ وانظر سفر التكوين ٤٦(٤).

(٢) قاموس الكتاب المقدس صـ٧١١.

(٣) قاموس الكتاب المقدس صـ٢٥٠، وانظر سفر العدد ١٦(٢٠-٣٣)، وحزقيال ٣١(١٤-١٧) ٦(٥)، أشعياء ٢٨(١٠)، صموئيل الثاني ٢٢(٦)، سفر التكوين ٣٧(٣٥)، صموئيل أول ٢٨(٨-٩)، أيوب ٢٦(٦).

أما عن علامات الساعة: فلم أعثر على نص في العهد القديم يتحدث عن علامات الساعة لأن اليهود لا يحفلون إلا بالحياة الدنيا وما فيها.

وأما البعث في العهد القديم فقد ورد في سفر أشعياء: (تَحْيَا أَمْوَاتُكَ، تَقُومُ الْجُثَثُ. اسْتَيْقِظُوا، تَرَنَّمُوا يَا سُكَّانَ التُّرَابِ)[١].

جاء في تفسير هذا النص: (أن أعداء اليهود أخيلة لا تقوم، ولكن الرب قال لشعب اليهود تحيا أمواتك، كانت اليهود في بابل في مدة السبي في الذل، فكانوا بلا اسم ولا قوة ولا حرية كأنهم أموات فقال لهم الرب إنهم سيرجعون إلى بلادهم فتقوم أمة اليهود ثانية، أي أن المقصود من سفر أشعياء موت الأمة السياسي وقيامتهم للحياة كأمة الجديدة)[٢].

وأما الحشر في العهد القديم، فلم أجد أي إشارة عن أحوال الناس بالتفصيل فيما يتعلق بالحشر.

وأما صحائف الأعمال: فقد جاء في سفر دانيال: (كُنْتُ أَرَى أَنَّهُ وُضِعَتْ عُرُوشٌ، وَجَلَسَ الْقَدِيمُ الأَيَّامِ. لِبَاسُهُ أَبْيَضُ كَالثَّلْجِ، وَشَعْرُ رَأْسِهِ كَالصُّوفِ النَّقِيِّ، وَعَرْشُهُ لَهِيبُ نَارٍ، وَبَكَرَاتُهُ نَارٌ مُتَّقِدَةٌ. نَهْرُ نَارٍ جَرَى وَخَرَجَ مِنْ قُدَّامِهِ. أُلُوفُ أُلُوفٍ تَخْدِمُهُ، وَرَبَوَاتُ رَبَوَاتٍ وُقُوفٌ قُدَّامَهُ. فَجَلَسَ الدِّينُ، وَفُتِحَتِ الأَسْفَارُ)[٣].

وأما الحساب عند اليهود فقد جاء عنه في سفر الجامعة: (اِفْرَحْ أَيُّهَا الشَّابُّ فِي حَدَاثَتِكَ، وَلْيَسُرَّكَ قَلْبُكَ فِي أَيَّامِ شَبَابِكَ، وَاسْلُكْ فِي طُرُقِ قَلْبِكَ وَبِمَرْأَى عَيْنَيْكَ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ عَلَى هذِهِ

---

(١) سفر أشعياء ٢٦ (١٩).

(٢) السنن القويم في تفسير العهد القديم، مجموعة علماء اللاهوت ١٨٦/٨-١٨٧، صدر عن مجموع كنائس الشرق الأدنى بيروت سنة ١٩٥٣م.

(٣) سفر دانيال ٧ (٩-١١).

الأُمُورِ كُلِّهَا يَأْتِي بِكَ اللهُ إِلَى الدَّيْنُونَةِ. فَانْزِعِ الْغَمَّ مِنْ قَلْبِكَ، وَأَبْعِدِ الشَّرَّ عَنْ لَحْمِكَ، لأَنَّ الْحَدَاثَةَ وَالشَّبَابَ بَاطِلاَنِ.)[١] وورد فيه أيضا: (فَلْنَسْمَعْ خِتَامَ الأَمْرِ كُلِّهِ: اتَّقِ اللهَ وَاحْفَظْ وَصَايَاهُ، لأَنَّ هذَا هُوَ الإِنْسَانُ كُلُّهُ. ١٤ لأَنَّ اللهَ يُحْضِرُ كُلَّ عَمَل إِلَى الدَّيْنُونَةِ، عَلَى كُلِّ خَفِيٍّ، إِنْ كَانَ خَيْرًا أَوْ شَرًّا)[٢].

وأما الصراط والميزان والحوض والشفاعة فليس في العهد القديم على طوله إشارة إلى ذلك.

وأما الجنة في العهد القديم فقد ورد في قاموس الكتاب المقدس تحت كلمة فردوس: (الفردوس الأصلي الذي رتبه الله للإنسان قبل سقوطه ووضع في وسطه شجرة الحياة)[٣].

كما ورد فيه تحت كلمة جنات: (جنات بساتين معدة للانشراح واللذات منها جنات الملك سليمان وفيها سواقي وينابيع وكانت هذه الجنات مصونة لكي لا يدخلها الغريب)[٤].

والمتأمل في هذين النصين يلحظ أن العهد القديم عند الحديث عن الجنة لم يشر من قريب أو بعيد إلى أنها المكان الذي يثاب فيه الصالحون يوم القيامة.

وأما عن النار في العهد القديم فقد صور كتّاب الأسفار الخمسة الجحيم بأنه: (مكان مظلم تحت الأرض وله أبواب وهو مكان مظلم مخيف سكانه يشعرون ولكنهم في جو بليد جامد تذهب إليه نفوس الجميع فيه القصاص)[٥].

---

(١) سفر الجامعة ١١ (٩-١٠).

(٢) سفر الجامعة ١٢ (١٣-١٤).

(٣) قاموس الكتاب المقدس صـ٢٧٥.

(٤) قاموس الكتاب المقدس صـ٢٧٦.

(٥) قاموس الكتاب المقدس صـ٢٥٠.

وأما عن رؤية الله في العهد القديم: فليس هنالك تفصيلات لها في العهد القديم، وإنما ورد في سفر أيوب: (أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ وَلِيِّي حَيٌّ، وَالآخِرَ عَلَى الأَرْضِ يَقُومُ، وَبَعْدَ أَنْ يُفْنَى جِلْدِي هذَا، وَبِدُونِ جَسَدِي أَرَى اللهَ. الَّذِي أَرَاهُ أَنَا لِنَفْسِي، وَعَيْنَايَ تَنْظُرَانِ وَلَيْسَ آخَرُ. إِلَى ذلِكَ تَتُوقُ كُلْيَتَايَ فِي جَوْفِي)[١]. وجاء في تفسير هذا النص: (اشتاق إلى مصالح بينه وبين الله -بدون جسدي- أي بعد موته فيكون جسدي تلاشى، أرى الله وذلك بعد موته وبدون جسده، ولاشك في أن معرفة أيوب بقيامة الجسد ورؤية الله في السماء كمعرفة غيره من قديسي العهد القديم)[٢].

وجاء في المزمور الثاني والأربعين: (عَطِشَتْ نَفْسِي إِلَى الله، إِلَى الإِلهِ الْحَيِّ. مَتَى أَجِيءُ وَأَتَرَاءَى قُدَّامَ الله)[٣]. فهذه النصوص تصرح بأن رؤية الله في الآخرة من عقائد اليهود، وأنها كانت معلومة عند أنبيائهم. ومن يتتبع أسفار العهد القديم يتبين له أنه لم يرد فيه ذكر عن البعث، ولا عن الحوض، ولا عن الصراط، ولا عن الشفاعة.

وأما عقيدة القضاء والقدر: فالمتأمل في نصوص العهد القديم يجد نصوصا تنسب كل شيء إلى (ياهو) ونصوصا تثبت للإنسان حرية التصرف والاختيار ومن المعلوم أن القضاء والقدر يقوم على وصف الله بالعلم الكامل الشامل والقدرة المطلقة، فعلم الله في العهد القديم ليس صفة انكشاف وإحاطة، فالله لا يعلم ما حدث لآدم إلا بعد ما أطلقه، يقول سفر التكوين: (وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الإِلهِ مَاشِيًا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ، فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإِلهِ فِي وَسَطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ. فَنَادَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيْنَ

(١) سفر أيوب ١٩ (٢٥-٢٧).

(٢) السنن القويم في تفسير العهد القديم ٢١١/٥ مصدر سابق.

(٣) سفر المزامير ٤٢ (٢).

أَنْتَ؟». فَقَالَ: «سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ». فَقَالَ: «مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لاَ تَأْكُلَ مِنْهَا؟» فَقَالَ آدَمُ: «الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ»)[1].

ففي هذا النص يلاحظ أن العلم الإلهي تأخر عن وقوع الحادثة، أي ليس أزليا.

وقد يتراجع (ياهو) إله اليهود ويعدل في قضائه أو يرفعه تماما، والدليل على ذلك، ما جاء في قصة عبادتهم للعجل حيث راجع موسى الإله في قضائه، ورفع القضاء بعد أن تذكر ياهو وعوده لبنى إسرائيل بالبركة والنماء، جاء في سفر الخروج: (فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اذْهَبِ انْزِلْ. لأَنَّهُ قَدْ فَسَدَ شَعْبُكَ الَّذِي أَصْعَدْتَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. زَاغُوا سَرِيعًا عَنِ الطَّرِيقِ الَّذِي أَوْصَيْتُهُمْ بِهِ. صَنَعُوا لَهُمْ عِجْلاً مَسْبُوكًا، وَسَجَدُوا لَهُ وَذَبَحُوا لَهُ وَقَالُوا: هذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ». وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «رَأَيْتُ هذَا الشَّعْبَ وَإِذَا هُوَ شَعْبٌ صُلْبُ الرَّقَبَةِ. فَالآنَ اتْرُكْنِي لِيَحْمَى غَضَبِي عَلَيْهِمْ وَأُفْنِيَهُمْ، فَأُصَيِّرَكَ شَعْبًا عَظِيمًا». فَتَضَرَّعَ مُوسَى أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِهِ، وَقَالَ: «لِمَاذَا يَا رَبُّ يَحْمَى غَضَبُكَ عَلَى شَعْبِكَ الَّذِي أَخْرَجْتَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ بِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ وَيَدٍ شَدِيدَةٍ؟ لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ الْمِصْرِيُّونَ قَائِلِينَ: أَخْرَجَهُمْ بِخُبْثٍ لِيَقْتُلَهُمْ فِي الْجِبَالِ، وَيُفْنِيَهُمْ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ؟ ارْجِعْ عَنْ حُمُوِّ غَضَبِكَ، وَانْدَمْ عَلَى الشَّرِّ بِشَعْبِكَ. اُذْكُرْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَإِسْرَائِيلَ عَبِيدَكَ الَّذِينَ حَلَفْتَ لَهُمْ بِنَفْسِكَ وَقُلْتَ لَهُمْ: أُكَثِّرُ نَسْلَكُمْ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، وَأُعْطِي نَسْلَكُمْ كُلَّ هذِهِ الأَرْضِ الَّتِي تَكَلَّمْتُ عَنْهَا فَيَمْلِكُونَهَا إِلَى الأَبَدِ». فَنَدِمَ الرَّبُّ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي قَالَ إِنَّهُ يَفْعَلُهُ بِشَعْبِهِ.)[2].

❁❁❁

(١) سفر التكوين ٣ (٨ -١٣)

(٢) سفر الخروج ٣٢ (٧-١٤).

المطلب الثاني: مدى شمولية العبادات والتشريع في العهد القديم

يرى كثير من الباحثين في علم مقارنة الأديان أن التشريع اليهودي شامل لسائر العبادات، والمعاملات، والاقتصاد، والقضاء، والتربية، وواجبات الفرد نحو نفسه، وأسرته، ووطنه، بل ما يتصل بالأكل والشرب، والزراعة، والحصاد، واستخدام الأنعام(١).

وهذا الرأي فيه نظر ذلك لأن العهد القديم ليست فيه إشارة أو إلزام بالصلاة.

فعن الصلاة في العهد القديم يقول الشيخ أبو الحسن الندوي: (لم يرد في التوراة أمر صريح بالصلاة لأن وضع العبادات التقليدي في العهد القديم كان محصورا في الذبائح والقرابين)(٢). ولكن المصادر الأخرى لليهود هي التي وضحت نظام الصلاة والاستعداد لها وقبلة اليهود وحال المصلى فيها وصلاة الجماعة.

وأما الزكاة في العهد القديم فأمرها واضح ففي سفر العدد جاء: (وَقَالَ الرَّبُّ لِهَارُونَ: «وَهأَنَذَا قَدْ أَعْطَيْتُكَ حِرَاسَةَ رَفَائِعِي، مَعَ جَمِيعِ أَقْدَاسِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَكَ أَعْطَيْتُهَا، حَقَّ الْمَسْحَةِ وَلِبَنِيكَ فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً. هذَا يَكُونُ لَكَ مِنْ قُدْسِ الأَقْدَاسِ مِنَ النَّارِ، كُلُّ قَرَابِينِهِمْ مَعَ كُلِّ تَقْدِمَاتِهِمْ وَكُلِّ ذَبَائِحِ خَطَايَاهُمْ وَكُلِّ ذَبَائِحِ آثَامِهِمُ الَّتِي يَرُدُّونَهَا لِي. قُدْسُ أَقْدَاسٍ هِيَ لَكَ وَلِبَنِيكَ. فِي قُدْسِ الأَقْدَاسِ تَأْكُلُهَا. كُلُّ ذَكَرٍ يَأْكُلُهَا. قُدْسًا تَكُونُ لَكَ. وَهذِهِ لَكَ: الرَّفِيعَةُ مِنْ عَطَايَاهُمْ مَعَ كُلِّ تَرْدِيدَاتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. لَكَ أَعْطَيْتُهَا وَلِبَنِيكَ وَبَنَاتِكَ مَعَكَ فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً. كُلُّ طَاهِرٍ فِي بَيْتِكَ يَأْكُلُ مِنْهَا. كُلُّ دَسَمِ الزَّيْتِ وَكُلُّ دَسَمِ الْمِسْطَارِ وَالْحِنْطَةِ، أَبْكَارُهُنَّ الَّتِي يُعْطُونَهَا لِلرَّبِّ، لَكَ أَعْطَيْتُهَا. أَبْكَارُ كُلِّ مَا فِي أَرْضِهِمِ الَّتِي يُقَدِّمُونَهَا لِلرَّبِّ

(١) انظر الأسفار المقدسة د/ على عبد الواحد صـ٤٠.

(٢) الأركان الأربعة للشيخ أبو الحسن الندوي صـ٦٤، مصدر سابق.

لَكَ تَكُونُ. كُلُّ طَاهِرٍ فِي بَيْتِكَ يَأْكُلُهَا. كُلُّ مُحَرَّمٍ فِي إِسْرَائِيلَ يَكُونُ لَكَ. كُلُّ فَاتِحِ رَحِمٍ مِنْ كُلِّ جَسَدٍ يُقَدِّمُونَهُ لِلرَّبِّ، مِنَ النَّاسِ وَمِنَ الْبَهَائِمِ، يَكُونُ لَكَ. غَيْرَ أَنَّكَ تَقْبَلُ فِدَاءَ بِكْرِ الإِنْسَانِ. وَبِكْرُ الْبَهِيمَةِ النَّجِسَةِ تَقْبَلُ فِدَاءَهُ. وَفِدَاؤُهُ مِنِ ابْنِ شَهْرٍ تَقْبَلُهُ حَسَبَ تَقْوِيمِكَ فِضَّةً، خَمْسَةَ شَوَاقِلَ عَلَى شَاقِلِ الْقُدْسِ. هُوَ عِشْرُونَ جِيرَةً)[1].

وجاء فيه أيضا: (وَقَالَ الرَّبُّ لِهَارُونَ: «لاَ تَنَالُ نَصِيبًا فِي أَرْضِهِمْ، وَلاَ يَكُونُ لَكَ قِسْمٌ فِي وَسَطِهِمْ. أَنَا قِسْمُكَ وَنَصِيبُكَ فِي وَسَطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَأَمَّا بَنُو لاَوِي، فَإِنِّي قَدْ أَعْطَيْتُهُمْ كُلَّ عُشْرٍ فِي إِسْرَائِيلَ مِيرَاثًا عِوَضَ خِدْمَتِهِمْ الَّتِي يَخْدِمُونَهَا، خِدْمَةِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ. فَلاَ يَقْتَرِبُ أَيْضًا بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ لِيَحْمِلُوا خَطِيَّةً لِلْمَوْتِ، بَلِ اللاَّوِيُّونَ يَخْدِمُونَ خِدْمَةَ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ، وَهُمْ يَحْمِلُونَ ذَنْبَهُمْ فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً فِي أَجْيَالِكُمْ. وَفِي وَسَطِ إِسْرَائِيلَ لاَ يَنَالُونَ نَصِيبًا. إِنَّ عُشُورَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّتِي يَرْفَعُونَهَا لِلرَّبِّ رَفِيعَةً قَدْ أَعْطَيْتُهَا لِلاَّوِيِّينَ نَصِيبًا. لِذلِكَ قُلْتُ لَهُمْ: فِي وَسَطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ يَنَالُونَ نَصِيبًا».وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: «وَاللاَّوِيُّونَ تُكَلِّمُهُمْ وَتَقُولُ لَهُمْ: مَتَى أَخَذْتُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْعُشْرَ الَّذِي أَعْطَيْتُكُمْ إِيَّاهُ مِنْ عِنْدِهِمْ نَصِيبًا لَكُمْ، تَرْفَعُونَ مِنْهُ رَفِيعَةَ الرَّبِّ: عُشْرًا مِنَ الْعُشْرِ، فَيُحْسَبُ لَكُمْ. إِنَّهُ رَفِيعَتُكُمْ كَالْحِنْطَةِ مِنَ الْبَيْدَرِ، وَكَالْمِلْءِ مِنَ الْمِعْصَرَةِ.)[2].

ومن هذين النصين يتبين:

(١) أن كل شيء يؤخذ منه العشر للرب، ويعطى للاويين.

(٢) أن بكر الحيوانات يؤخذ أيضا حتى بكر الإنسان.

(٣) أهمية الذبائح في الشريعة اليهودية.

---

(١) العدد ١٨ (٨-١٧).

(٢) العدد ١٨ (٢٠-٢٧).

(٤) يقدم بنو لاوي هذا العشر للفقراء والمحتاجين.

وأما عن الصيام في العهد القديم: فلم يرد ذكر الصوم لفظا صريحا في أسفار موسى الخمسة، ولكن كان يوما واحدا معينا للصوم وهو يوم الكفارة جاء في سفر اللاويين: (وَيَكُونُ لَكُمْ فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً، أَنَّكُمْ فِي الشَّهْرِ السَّابِعِ فِي عَاشِرِ الشَّهْرِ تُذَلِّلُونَ نُفُوسَكُمْ، وَكُلَّ عَمَل لاَ تَعْمَلُونَ: الْوَطَنِيُّ وَالْغَرِيبُ النَّازِلُ فِي وَسَطِكُمْ.)[١] وجاء في سفر اللاويين أيضا: (وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: «أَمَّا الْعَاشِرُ مِنْ هذَا الشَّهْرِ السَّابِعِ، فَهُوَ يَوْمُ الْكَفَّارَةِ. مَحْفَلاً مُقَدَّسًا يَكُونُ لَكُمْ. تُذَلِّلُونَ نُفُوسَكُمْ وَتُقَرِّبُونَ وَقُودًا لِلرَّبِّ. عَمَلاً مَا لاَ تَعْمَلُوا فِي هذَا الْيَوْمِ عَيْنِهِ، لأَنَّهُ يَوْمُ كَفَّارَةٍ لِلتَّكْفِيرِ عَنْكُمْ أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِكُمْ. إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لاَ تَتَذَلَّلُ فِي هذَا الْيَوْمِ عَيْنِهِ تُقْطَعُ مِنْ شَعْبِهَا)[٢].

أما عن الحج في العهد القديم فلا يوجد لفظ حج في أسفار موسى الخمسة، ولكن يوجد من الأوامر التي تنسب إلى الله ﷻ وتفرض على جميع الذكور من بنى إسرائيل الظهور أمام الرب في كيفية النسكية، وقد عبر عن هذا بلفظة فصح التي قال عنها قاموس الكتاب المقدس إنها اسم عبرى معناها العبور، وقد اقترن العيد في اليهودية بكلمة فصح، وكلمة حج. يقول قاموس الكتاب المقدس في تفسير حجى: (اسم عبرى معناه "عيد" أي مولود في يوم العيد، وذكر أنه اسم نبي، وكان معاصر للنبي زكريا، وعن كلمة حجية قال: اسم عبرى مؤنث حجى، ومعناه عيديه: أي مولودة في يوم عيد، وهي إحدى نساء داود عليه السلام)[٣].

---

(١) قاموس الكتاب المقدس صـ٥٦٢-٥٦٣، انظر سفر اللاويين ١٦(٢٩).

(٢) سفر اللاويين ٢٣ (٢٦-٢٩).

(٣) قاموس الكتاب المقدس صـ٢٩١.

وأما عن الأعياد في العهد القديم: فقد ذكرت في سفر اللاويين وذكر بعض منها في سفري الخروج والعدد، ومن النصوص الدالة على ذلك: (وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: «كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: مَوَاسِمُ الرَّبِّ الَّتِي فِيهَا تُنَادُونَ مَحَافِلَ مُقَدَّسَةً. هذِهِ هِيَ مَوَاسِمِي: سِتَّةَ أَيَّامٍ يُعْمَلُ عَمَلٌ، وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَفِيهِ سَبْتُ عُطْلَةٍ مَحْفَلٌ مُقَدَّسٌ. عَمَلاً مَا لاَ تَعْمَلُوا. إِنَّهُ سَبْتٌ لِلرَّبِّ فِي جَمِيعِ مَسَاكِنِكُمْ.

«هذِهِ مَوَاسِمُ الرَّبِّ، الْمَحَافِلُ الْمُقَدَّسَةُ الَّتِي تُنَادُونَ بِهَا فِي أَوْقَاتِهَا: ٥فِي الشَّهْرِ الأَوَّلِ، فِي الرَّابِعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ، بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ فِصْحٌ لِلرَّبِّ. وَفِي الْيَوْمِ الْخَامِسَ عَشَرَ مِنْ هذَا الشَّهْرِ عِيدُ الْفَطِيرِ لِلرَّبِّ. سَبْعَةَ أَيَّامٍ تَأْكُلُونَ فَطِيرًا. فِي الْيَوْمِ الأَوَّلِ يَكُونُ لَكُمْ مَحْفَلٌ مُقَدَّسٌ. عَمَلاً مَا مِنَ الشُّغْلِ لاَ تَعْمَلُوا. وَسَبْعَةَ أَيَّامٍ تُقَرِّبُونَ وَقُودًا لِلرَّبِّ. فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ يَكُونُ مَحْفَلٌ مُقَدَّسٌ. عَمَلاً مَا مِنَ الشُّغْلِ لاَ تَعْمَلُوا».

وكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: «كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: مَتَى جِئْتُمْ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنَا أُعْطِيكُمْ وَحَصَدْتُمْ حَصِيدَهَا، تَأْتُونَ بِحُزْمَةِ أَوَّلِ حَصِيدِكُمْ إِلَى الْكَاهِنِ. فَيُرَدِّدُ الْحُزْمَةَ أَمَامَ الرَّبِّ لِلرِّضَا عَنْكُمْ. فِي غَدِ السَّبْتِ يُرَدِّدُهَا الْكَاهِنُ. وَتَعْمَلُونَ يَوْمَ تَرْدِيدِكُمُ الْحُزْمَةَ خَرُوفًا صَحِيحًا حَوْلِيًّا مُحْرَقَةً لِلرَّبِّ. وَتَقْدِمَتُهُ عُشْرَيْنِ مِنْ دَقِيقٍ مَلْتُوتٍ بِزَيْتٍ، وَقُودًا لِلرَّبِّ رَائِحَةَ سُرُورٍ، وَسَكِيبُهُ رُبْعَ الْهِينِ مِنْ خَمْرٍ. وَخُبْزًا وَفَرِيكًا وَسَوِيقًا لاَ تَأْكُلُوا إِلَى هذَا الْيَوْمِ عَيْنِهِ، إِلَى أَنْ تَأْتُوا بِقُرْبَانِ إِلهِكُمْ، فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً فِي أَجْيَالِكُمْ فِي جَمِيعِ مَسَاكِنِكُمْ)[1].

وأما عن عيد المظال فقد جاء في سفر اللاويين: (كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلاً: فِي الْيَوْمِ الْخَامِسَ عَشَرَ مِنْ هذَا الشَّهْرِ السَّابِعِ عِيدُ الْمَظَالِّ سَبْعَةَ أَيَّامٍ لِلرَّبِّ. فِي الْيَوْمِ الأَوَّلِ مَحْفَلٌ

(١) سفر اللاويين ٢٣ (١-١٥).

مُقَدَّسٌ. عَمَلاً مَا مِنَ الشُّغْلِ لاَ تَعْمَلُوا. سَبْعَةَ أَيَّامٍ تُقَرِّبُونَ وَقُودًا لِلرَّبِّ. فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ يَكُونُ لَكُمْ مَحْفَلٌ مُقَدَّسٌ تُقَرِّبُونَ وَقُودًا لِلرَّبِّ. إِنَّهُ اعْتِكَافٌ. كُلُّ عَمَلِ شُغْلٍ لاَ تَعْمَلُوا.

«هذِهِ هِيَ مَوَاسِمُ الرَّبِّ الَّتِي فِيهَا تُنَادُونَ مَحَافِلَ مُقَدَّسَةً لِتَقْرِيبِ وَقُودٍ لِلرَّبِّ، مُحْرَقَةً وَتَقْدِمَةً وَذَبِيحَةً وَسَكِيبًا أَمْرَ الْيَوْمِ بِيَوْمِهِ)[1].

وأما عن العلاقات الاجتماعية من الخِطْبَة والمهر والزواج والطلاق والمحرمات فتفصيل ذلك فيما يأتي:

أما عن الزواج في العهد القديم: فهو يحفل بكثير من النصوص التي تدعو للزواج وتحث عليه ويتجلى ذلك بوضوح في سفر التكوين إذ يتحدث عن خلق الله لآدم عليه السلام وخلق زوجه حواء من أحد أضلاعه لأنه ليس بجيد أن يكون آدم وحده[2].

وليس في العهد القديم حد أدنى لسن الزواج ولكن الزواج غايته الأولى بقاء النوع الإنساني، والأب يملك مصير بناته وأبنائه الذكور: (كان الأب الإسرائيلي السيد المطلق داخل البيت إرادته هي القانون يأمر فيطاع يزوج بناته وأبنائه بمحض مشيئته بل يستطيع أن يبيع ابنته أمة لمن يعرض الثمن)[3] أو يدفع بها زوجه لمن يتراءى له من الرجال[4] ويختار أيضا زوجة لابنه دون استشارته[5].

ويذكر سفر الخروج أن السيد إذا أعطى عبده امرأة زوجة له فإن المرأة والأولاد ملك للسيد حتى لو أراد العبد الخروج بعد الحرية: (إِنْ أَعْطَاهُ سَيِّدُهُ امْرَأَةً وَوَلَدَتْ لَهُ بَنِينَ أَوْ

(١) سفر اللاويين ٢٣ (٣٣-٣٧).
(٢) سفر التكوين الاصحاح الأول (٢٧-٢٨). والثاني (١٨) والثالث.
(٣) انظر سفر الخروج ٢١(٧).
(٤) انظر سفر التكوين ٢٩ (٢٣).
(٥) انظر تكوين ٢٤ (٣٤).

بَنَاتٍ، فَالْمَرْأَةُ وَأَوْلاَدُهَا يَكُونُونَ لِسَيِّدِهِ، وَهُوَ يَخْرُجُ وَحْدَهُ. وَلكِنْ إِنْ قَالَ الْعَبْدُ: أُحِبُّ سَيِّدِي وَامْرَأَتِي وَأَوْلاَدِي، لاَ أَخْرُجُ حُرًّا، يُقَدِّمُهُ سَيِّدُهُ إِلَى الله، وَيُقَرِّبُهُ إِلَى الْبَابِ أَوْ إِلَى الْقَائِمَةِ، وَيَثْقُبُ سَيِّدُهُ أُذْنَهُ بِالْمِثْقَبِ، فَيَخْدِمُهُ إِلَى الأَبَدِ. وَإِذَا بَاعَ رَجُلٌ ابْنَتَهُ أَمَةً، لاَ تَخْرُجُ كَمَا يَخْرُجُ الْعَبِيدُ. إِنْ قَبُحَتْ فِي عَيْنَيْ سَيِّدِهَا الَّذِي خَطَبَهَا لِنَفْسِهِ، يَدَعُهَا تُفَكُّ. وَلَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ أَنْ يَبِيعَهَا لِقَوْمٍ أَجَانِبَ لِغَدْرِهِ بِهَا)[1].

أما عن المهر في العهد القديم: فقد جاء في سفر التكوين: (وَأَحَبَّ يَعْقُوبُ رَاحِيلَ، فَقَالَ: «أَخْدِمُكَ سَبْعَ سِنِينٍ بِرَاحِيلَ ابْنَتِكَ الصُّغْرَى». فَقَالَ لاَبَانُ: «أَنْ أُعْطِيَكَ إِيَّاهَا أَحْسَنُ مِنْ أَنْ أُعْطِيَهَا لِرَجُل آخَرَ. أَقِمْ عِنْدِي». فَخَدَمَ يَعْقُوبُ بِرَاحِيلَ سَبْعَ سِنِينٍ، وَكَانَتْ فِي عَيْنَيْهِ كَأَيَّامٍ قَلِيلَةٍ بِسَبَبِ مَحَبَّتِهِ لَهَا. ثُمَّ قَالَ يَعْقُوبُ لِلاَبَانَ: «أَعْطِنِي امْرَأَتِي لأَنَّ أَيَّامِي قَدْ كَمُلَتْ، فَأَدْخُلَ عَلَيْهَا». فَجَمَعَ لاَبَانُ جَمِيعَ أَهْلِ الْمَكَانِ وَصَنَعَ وَلِيمَةً. وَكَانَ فِي الْمَسَاءِ أَنَّهُ أَخَذَ لَيْئَةَ ابْنَتَهُ وَأَتَى بِهَا إِلَيْهِ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا. وَأَعْطَى لاَبَانُ زِلْفَةَ جَارِيَتَهُ لِلَيْئَةَ ابْنَتِهِ جَارِيَةً. وَفِي الصَّبَاحِ إِذَا هِيَ لَيْئَةُ، فَقَالَ لِلاَبَانَ: «مَا هذَا الَّذِي صَنَعْتَ بِي؟ أَلَيْسَ بِرَاحِيلَ خَدَمْتُ عِنْدَكَ؟ فَلِمَاذَا خَدَعْتَنِي؟». فَقَالَ لاَبَانُ: «لاَ يُفْعَلُ هكَذَا فِي مَكَانِنَا أَنْ تُعْطَى الصَّغِيرَةُ قَبْلَ الْبِكْرِ. أَكْمِلْ أُسْبُوعَ هذِهِ، فَنُعْطِيَكَ تِلْكَ أَيْضًا، بِالْخِدْمَةِ الَّتِي تَخْدِمُنِي أَيْضًا سَبْعَ سِنِينٍ أُخَرَ». فَفَعَلَ يَعْقُوبُ هكَذَا. فَأَكْمَلَ أُسْبُوعَ هذِهِ، فَأَعْطَاهُ رَاحِيلَ ابْنَتَهُ زَوْجَةً لَهُ. وَأَعْطَى لاَبَانُ رَاحِيلَ ابْنَتَهُ بِلْهَةَ جَارِيَتَهُ جَارِيَةً لَهَا)[2].

أما عن الخطبة في العهد القديم: (فلم يكن العبرانيون في أول أمرهم يعرفون الخطبة بمعناها المفهوم، بل كان الزواج يتم عندهم بمجرد أن يوافق أولياء المخطوبة دون

(١) سفر الخروج ٢١ (٤-٨).
(٢) سفر التكوين ٢٩ (١٨-٣٠).

مقدمات أو مراسيم كهنوتية، بل ربما كان الخاطب لا يرى مخطوبته ولا تراه إلا عند الدخول بها، مثل ما كان من أمر إسحاق مع زوجته، فقد أرسل أبوه يخطب له من بنات ناحور من أرض العراق أي من قوم إبراهيم لأنه أبى أن يزوجه من الكنعانيين أهل فلسطين، ولما ذهب أحد عبيد إبراهيم عليه السلام لكي يحضر لإسحاق زوجة من عشيرة أبيه، ووفق هذا العبد إلى ما أراد، وأتى ومعه أخت لابان الذي تزوج يعقوب من بناته فيما بعد، ولم يكن إسحاق قد رآها، ولم تكن هي قد رأته قبل ذلك)[١].

وفي هذا يحدثنا العهد القديم: (فَأَخَذَ الْعَبْدُ رِفْقَةَ وَمَضَى. وَكَانَ إِسْحَاقُ قَدْ أَتَى مِنْ وُرُودِ بِئْرِ لَحَيْ رُئِي، إِذْ كَانَ سَاكِنًا فِي أَرْضِ الْجَنُوبِ. وَخَرَجَ إِسْحَاقُ لِيَتَأَمَّلَ فِي الْحَقْلِ عِنْدَ إِقْبَالِ الْمَسَاءِ، فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا جِمَالٌ مُقْبِلَةٌ. وَرَفَعَتْ رِفْقَةُ عَيْنَيْهَا فَرَأَتْ إِسْحَاقَ فَنَزَلَتْ عَنِ الْجَمَلِ. وَقَالَتْ لِلْعَبْدِ: «مَنْ هذَا الرَّجُلُ الْمَاشِي فِي الْحَقْلِ لِلِقَائِنَا؟» فَقَالَ الْعَبْدُ: «هُوَ سَيِّدِي». فَأَخَذَتِ الْبُرْقُعَ وَتَغَطَّتْ. ثُمَّ حَدَّثَ الْعَبْدُ إِسْحَاقَ بِكُلِّ الأُمُورِ الَّتِي صَنَعَ، فَأَدْخَلَهَا إِسْحَاقُ إِلَى خِبَاءِ سَارَةَ أُمِّهِ، وَأَخَذَ رِفْقَةَ فَصَارَتْ لَهُ زَوْجَةً وَأَحَبَّهَا. فَتَعَزَّى إِسْحَاقُ بَعْدَ مَوْتِ أُمِّهِ)[٢].

أما عمن يحرم الزواج منهن في اليهودية فهن على النحو الآتي:

(١- الزواج من الأم. ٢- الزواج من امرأة الأب.

٣- الزواج بالأخت مطلقا. ٤-الزواج بالحفيدة

٥-بنت امرأة الأب المولودة من الأب -أي الأخت لأب.

---

(١) نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام د/محمود عبد السميع شعلان ١/١٠٠ ط/ دار العلوم للطباعة والنشر بالرياض، ط/ الأولى ١٩٨٣م.

(٢) سفر التكوين ٢٤ (٦١-إلى آخره).

٦-الزواج بالعمة أو الخالة ٧-الزواج من زوجة العم

٨-الزواج من زوجة الابن.

٩-الزواج من امرأة الأخ، وقيد ذلك في حالة إنجاب الأخ من زوجته، أما إذا لم ينجب فيجوز الزواج والأبناء ينسبون إلى الأخ الأول الذي مات ولم ينجب.

١٠-الزواج بامرأة وبنتها، أو بامرأة وابنة ابنها أو ابنة بنتها.

١١-الزواج من أخت كضرة لأختها.

وهذه المحارم السابقة الذكر تسمى في اليهودية محارم توراتية، أي بنص التوراة وقد زاد عليها المفسرون محارم أخرى قياسية وتسمى بالمحارم التفسيرية وقد توسع فيها إذ امتد التحريم على المذكور في التوراة ربما إلى الدرجة الثالثة في القرابة بمن ذكر إذا كان في الفروع الرئيسية أو الدرجة الرابعة إذا كان في الأجنحة أي التي تكونت من الفروع)[١].

ويترتب على عقد الزواج حل استمتاع المرأة بالرجل والعكس، غير أن ذلك لا يجوز في حالة الحيض والنفاس فقد جاء في سفر التثنية: (وَإِذَا كَانَتِ امْرَأَةٌ لَهَا سَيْلٌ، وَكَانَ سَيْلُهَا دَمًا فِي لَحْمِهَا، فَسَبْعَةَ أَيَّامٍ تَكُونُ فِي طَمْثِهَا. وَكُلُّ مَنْ مَسَّهَا يَكُونُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ... وَإِنِ اضْطَجَعَ مَعَهَا رَجُلٌ فَكَانَ طَمْثُهَا عَلَيْهِ يَكُونُ نَجِسًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ.)[٢].

(...وَإِنْ وَلَدَتْ أُنْثَى، تَكُونُ نَجِسَةً أُسْبُوعَيْنِ كَمَا فِي طَمْثِهَا. ثُمَّ تُقِيمُ سِتَّةً وَسِتِّينَ يَوْمًا فِي دَمِ تَطْهِيرِهَا)[٣].

---

(١) انظر التشريع في اليهودية والنصرانية والإسلام دراسة مقارنة د/السعيد إبراهيم عبد الرازق طه صـ٢٣٧، رسالة دكتوراه غير منشورة بكلية أصول الدين بالقاهرة سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

(٢) انظر سفر اللاويين ١٥ (١٨-٢٢).

(٣) انظر سفر اللاويين ١٢ (١-٥).

وأما الطلاق في العهد القديم: فقد جاء في سفر التثنية بيان لمن له حق الطلاق (إِذَا أَخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً وَتَزَوَّجَ بِهَا... وَكَتَبَ لَهَا كِتَابَ طَلاَق)[١] فيظهر من النص السابق أن الطلاق بيد الرجل له إيقاعه متى شاء. هذا وقد اتبع اليهود أن يختار الواحد منهم الزوجة من داخل عشيرته كما فعل إبراهيم حين بحث عن قرينه لابنه إسحاق[٢].

وقد أوصى إسحاق ابنه يعقوب -عليهما السلام- أن لا يتزوج من بنات كنعان بل يرحل ويتزوج من بنات خاله لابان[٣].

وحينما تزوج عيسو بن إسحاق بامرأتين من الحيثيين غضب عليه إسحاق وحرمه من الميراث وفضل عليه أخاه يعقوب[٤].

كما أن المرأة أيضا لا تعطى لأجنبي فإن (ديـنَه) ابنة يعقوب حينما تقدم لخطبتها رجل أجنبي رفض إخوتها إتمام الزواج[٥].

وهذا المبدأ أي الزواج من الأقارب والعشيرة كان هو الأعم والأغلب لدى اليهود، وإن وجدت حالات فردية تغاير ذلك، فقد تزوج موسى من أهل مدين، ويوسف من مصرية، والدافع وراء ذلك ليس إلا النزعة العنصرية التي يعتقد اليهود من خلالها أنهم أفضل من سواهم، وكذا الخوف على الثروة والأرض أن تتوزع بين الأسباط، فقد انحصر

(١) انظر سفر التثنية ٢٤ (١-٢).
(٢) انظر سفر التكوين ٢٤ (٣٧-٣٨).
(٣) انظر سفر التكوين ٢٨ (١).
(٤) انظر سفر التكوين ٢٦ (٢٤-٢٧).
(٥) انظر سفر التكوين ٣٤ (١-٢٠).

الزواج في السبط الواحد جاء في سفر العدد: (أن من تتزوج من خارج سبطها يكون ميراثها لسبط أبيها لا لزوجها)[١].

وأما عن الحدود في العهد القديم: ومنها حد القتل جاء في سفر العدد: (إِنْ ضَرَبَهُ بِأَدَاةِ حَدِيدٍ فَمَاتَ، فَهُوَ قَاتِلٌ. إِنَّ الْقَاتِلَ يُقْتَلُ. وَإِنْ ضَرَبَهُ بِحَجَرِ يَدٍ مِمَّا يُقْتَلُ بِهِ فَمَاتَ، فَهُوَ قَاتِلٌ. إِنَّ الْقَاتِلَ يُقْتَلُ. أَوْ ضَرَبَهُ بِأَدَاةِ يَدٍ مِنْ خَشَبٍ مِمَّا يُقْتَلُ بِهِ، فَهُوَ قَاتِلٌ. إِنَّ الْقَاتِلَ يُقْتَلُ. وَلِيُّ الدَّمِ يَقْتُلُ الْقَاتِلَ. حِينَ يُصَادِفُهُ يَقْتُلُهُ. وَإِنْ دَفَعَهُ بِبُغْضَةٍ أَوْ أَلْقَى عَلَيْهِ شَيْئًا بِتَعَمُّدٍ فَمَاتَ، أَوْ ضَرَبَهُ بِيَدِهِ بِعَدَاوَةٍ فَمَاتَ، فَإِنَّهُ يُقْتَلُ الضَّارِبُ لأَنَّهُ قَاتِلٌ. وَلِيُّ الدَّمِ يَقْتُلُ الْقَاتِلَ حِينَ يُصَادِفُهُ)[٢].

وعن أخذ الفدية جاء في سفر العدد: (وَلاَ تَأْخُذُوا فِدْيَةً عَنْ نَفْسِ الْقَاتِلِ الْمُذْنِبِ لِلْمَوْتِ، بَلْ إِنَّهُ يُقْتَلُ. وَلاَ تَأْخُذُوا فِدْيَةً لِيَهْرُبَ إِلَى مَدِينَةِ مَلْجَئِهِ، فَيَرْجِعَ وَيَسْكُنَ فِي الأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِ الْكَاهِنِ)[٣].

وأما عن القتل غير العمد فقد جاء في سفر العدد: (وَلكِنْ إِنْ دَفَعَهُ بَغْتَةً بِلاَ عَدَاوَةٍ، أَوْ أَلْقَى عَلَيْهِ أَدَاةً مَا بِلاَ تَعَمُّدٍ، أَوْ حَجَرًا مَا مِمَّا يُقْتَلُ بِهِ بِلاَ رُؤْيَةٍ. أَسْقَطَهُ عَلَيْهِ فَمَاتَ، وَهُوَ لَيْسَ عَدُوًّا لَهُ وَلاَ طَالِبًا أَذِيَّتَهُ، تَقْضِي الْجَمَاعَةُ بَيْنَ الْقَاتِلِ وَبَيْنَ وَلِيِّ الدَّمِ، حَسَبَ هذِهِ الأَحْكَامِ. وَتُنْقِذُ الْجَمَاعَةُ الْقَاتِلَ مِنْ يَدِ وَلِيِّ الدَّمِ، وَتَرُدُّهُ الْجَمَاعَةُ إِلَى مَدِينَةِ مَلْجَئِهِ الَّتِي هَرَبَ إِلَيْهَا، فَيُقِيمُ هُنَاكَ إِلَى مَوْتِ الْكَاهِنِ الْعَظِيمِ الَّذِي مُسِحَ بِالدُّهْنِ الْمُقَدَّسِ)[٤].

---

(١) انظر سفر العدد ٣٦ (٥-٩).
(٢) سفر العدد ٣٥(١٦-٢٢).
(٣) سفر العدد ٣٥ (٣١-٣٢).
(٤) سفر العدد ٣٥ (٢٢-٢٥).

وفي موضع آخر من سفر التثنية: (مَنْ ضَرَبَ صَاحِبَهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَهُوَ غَيْرُ مُبْغِضٍ لَهُ مُنْذُ أَمْسِ وَمَا قَبْلَهُ. وَمَنْ ذَهَبَ مَعَ صَاحِبِهِ فِي الْوَعْرِ لِيَحْتَطِبَ حَطَبًا، فَانْدَفَعَتْ يَدُهُ بِالْفَأْسِ لِيَقْطَعَ الْحَطَبَ، وَأَفْلَتَ الْحَدِيدُ مِنَ الْخَشَبِ وَأَصَابَ صَاحِبَهُ فَمَاتَ، فَهُوَ يَهْرُبُ إِلَى إِحْدَى تِلْكَ الْمُدُنِ فَيَحْيَا. لِئَلاَّ يَسْعَى وَلِيُّ الدَّمِ وَرَاءَ الْقَاتِلِ حِينَ يَحْمَى قَلْبُهُ، وَيُدْرِكَهُ إِذَا طَالَ الطَّرِيقُ وَيَقْتُلَهُ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ حُكْمُ الْمَوْتِ، لأَنَّهُ غَيْرُ مُبْغِضٍ لَهُ مُنْذُ أَمْسِ وَمَا قَبْلَهُ)[١].

وأما عقوبة الزنا بين المحارم فعقوبتها الرجم جاء في سفر اللاويين: (وَإِذَا أَخَذَ رَجُلٌ أُخْتَهُ بِنْتَ أَبِيهِ أَوْ بِنْتَ أُمِّهِ، وَرَأَى عَوْرَتَهَا وَرَأَتْ هِيَ عَوْرَتَهُ، فَذلِكَ عَارٌ. يُقْطَعَانِ أَمَامَ أَعْيُنِ بَنِي شَعْبِهِمَا. قَدْ كَشَفَ عَوْرَةَ أُخْتِهِ. يَحْمِلُ ذَنْبَهُ. وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةٍ طَامِثٍ وَكَشَفَ عَوْرَتَهَا، عَرَّى يَنْبُوعَهَا وَكَشَفَتْ هِيَ يَنْبُوعَ دَمِهَا، يُقْطَعَانِ كِلاَهُمَا مِنْ شَعْبِهِمَا. عَوْرَةَ أُخْتِ أُمِّكَ، أَوْ أُخْتِ أَبِيكَ لاَ تَكْشِفْ. إِنَّهُ قَدْ عَرَّى قَرِيبَتَهُ. يَحْمِلاَنِ ذَنْبَهُمَا)[٢].

وأما عقوبة القتل حرقا فذلك لا تكون إلا في حالتين:-

الحالة الأولى: إذا زنا الرجل بامرأة وأمها.

الحالة الثانية: إذا زنت ابنة الكاهن وفي ذلك جاء في سفر اللاويين: (وَإِذَا اتَّخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً وَأُمَّهَا فَذلِكَ رَذِيلَةٌ. بِالنَّارِ يُحْرِقُونَهُ وَإِيَّاهُمَا، لِكَيْ لاَ يَكُونَ رَذِيلَةٌ بَيْنَكُمْ)[٣] وفيه أيضا: (وَإِذَا تَدَنَّسَتِ ابْنَةُ كَاهِنٍ بِالزِّنَى فَقَدْ دَنَّسَتْ أَبَاهَا. بِالنَّارِ تُحْرَقُ)[٤].

(١) سفر التثنية ١٩ (٤-٦)
(٢) سفر اللاويين ٢٠ (١٧-٢٠).
(٣) سفر اللاويين ٢٠ (١٤).
(٤) سفر اللاويين ٢١ (٩).

وأما عقوبة زنا الفتاة فقد فرق العهد القديم بين الفتاة المخطوبة وغير المخطوبة وبين كون الزنا وقع في بيت الأب أو خارجه جاء في سفر التثنية: (إِذَا كَانَتْ فَتَاةٌ عَذْرَاءُ مَخْطُوبَةً لِرَجُل، فَوَجَدَهَا رَجُلٌ فِي الْمَدِينَةِ وَاضْطَجَعَ مَعَهَا، فَأَخْرِجُوهُمَا كِلَيْهِمَا إِلَى بَابِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ وَارْجُمُوهُمَا بِالْحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَا. الْفَتَاةُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهَا لَمْ تَصْرُخْ فِي الْمَدِينَةِ، وَالرَّجُلُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ أَذَلَّ امْرَأَةَ صَاحِبِهِ. فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ وَسَطِكَ. وَلكِنْ إِنْ وَجَدَ الرَّجُلُ الْفَتَاةَ الْمَخْطُوبَةَ فِي الْحَقْلِ وَأَمْسَكَهَا الرَّجُلُ وَاضْطَجَعَ مَعَهَا، يَمُوتُ الرَّجُلُ الَّذِي اضْطَجَعَ مَعَهَا وَحْدَهُ. وَأَمَّا الْفَتَاةُ فَلاَ تَفْعَلْ بِهَا شَيْئًا. لَيْسَ عَلَى الْفَتَاةِ خَطِيَّةٌ لِلْمَوْتِ، بَلْ كَمَا يَقُومُ رَجُلٌ عَلَى صَاحِبِهِ وَيَقْتُلُهُ قَتْلاً. هكَذَا هذَا الأَمْرُ. إِنَّهُ فِي الْحَقْلِ وَجَدَهَا، فَصَرَخَتِ الْفَتَاةُ الْمَخْطُوبَةُ فَلَمْ يَكُنْ مَنْ يُخَلِّصُهَا.)[1].

أما الفتاة غير المخطوبة فقد جاء في سفر التثنية: (إِذَا وَجَدَ رَجُلٌ فَتَاةً عَذْرَاءَ غَيْرَ مَخْطُوبَةٍ، فَأَمْسَكَهَا وَاضْطَجَعَ مَعَهَا، فَوُجِدَا. يُعْطِي الرَّجُلُ الَّذِي اضْطَجَعَ مَعَهَا لأَبِي الْفَتَاةِ خَمْسِينَ مِنَ الْفِضَّةِ، وَتَكُونُ هِيَ لَهُ زَوْجَةً مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ قَدْ أَذَلَّهَا. لاَ يَقْدِرُ أَنْ يُطَلِّقَهَا كُلَّ أَيَّامِهِ)[2].

وفي حالة ادعاء الزوج إذا دخل بزوجته ووجدها غير عذراء: وكان قد تزوجها على أنها فتاة وثبتت صحة دعواه فإن العقوبة للفتاة هي الرجم جاء في سفر التثنية: (وَلكِنْ إِنْ كَانَ هذَا الأَمْرُ صَحِيحًا، لَمْ تُوجَدْ عُذْرَةٌ لِلْفَتَاةِ. يُخْرِجُونَ الْفَتَاةَ إِلَى بَابِ بَيْتِ أَبِيهَا، وَيَرْجُمُهَا

(١) سفر التثنية ٢٢ (٢٣-٢٧).
(٢) سفر التثنية ٢٢ (٢٨-٢٩).

رِجَالُ مَدِينَتِهَا بِالْحِجَارَةِ حَتَّى تَمُوتَ، لأَنَّهَا عَمِلَتْ قَبَاحَةً فِي إِسْرَائِيلَ بِزِنَاهَا فِي بَيْتِ أَبِيهَا. فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ وَسَطِكَ)[١].

وأما من جامع امرأته في الحيض: فقد أوجب العهد القديم عليه القتل جاء في سفر اللاويين: (وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةٍ طَامِثٍ وَكَشَفَ عَوْرَتَهَا، عَرَّى يَنْبُوعَهَا وَكَشَفَتْ هِيَ يَنْبُوعَ دَمِهَا، يُقْطَعَانِ كِلاَهُمَا مِنْ شَعْبِهِمَا)[٢].

وإذا جامع الرجل الرجل أي (إيتيان الذكران) أو اضطجع مع بهيمة يقتل الفاعل والمفعول[٣].

أما الشهود على الزنا فهم أول من يأخذ حجرا و يضربه وحسب تقليد الشيوخ يرمى الشاهد الحجر الأول على صدر المذنب[٤].

وأما عقوبة السرقة في العهد القديم فتمثل في رد المسروق ودفع زيادة تصل إلى خمسة أمثال قيمة المسروق جاء في سفر الخروج: (إِذَا سَرَقَ إِنْسَانٌ ثَوْرًا أَوْ شَاةً فَذَبَحَهُ أَوْ بَاعَهُ، يُعَوِّضُ عَنِ الثَّوْرِ بِخَمْسَةِ ثِيرَانٍ، وَعَنِ الشَّاةِ بِأَرْبَعَةٍ مِنَ الْغَنَمِ)[٥].

وقد جاء في سفر التكوين أن يوسف عليه السلام لما أخرج إناء الفضة من رحل أخيه بنيامين استرقه عبدا[٦].

---

(١) سفر التثنية ٢٢ (٢٠-٢١).
(٢) سفر اللاويين ٢٠ (١٨).
(٣) انظر سفر اللاويين ٢٠ (١٣-١٦).
(٤) انظر قاموس الكتاب المقدس صـ٧٣٢.
(٥) سفر الخروج ٢٢ (١).
(٦) سفر التكوين ٤٤ (١-١٧).

وأما عقوبة المتلبس بالسرقة: فقد أهدر العهد القديم دمه إذا ضرب أثناء سرقته فمات جاء في سفر الخروج: (إِنْ وُجِدَ السَّارِقُ وَهُوَ يَنْقُبُ، فَضُرِبَ وَمَاتَ، فَلَيْسَ لَهُ دَمٌ)[١].

وأما عقوبة سب الإله: أو نسبة شيء إلى الله غير معقول فعقوبته القتل رجما جاء في سفر اللاويين: (أَخْرِجِ الَّذِي سَبَّ إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ، فَيَضَعَ جَمِيعُ السَّامِعِينَ أَيْدِيَهُمْ عَلَى رَأْسِهِ، وَيَرْجُمَهُ كُلُّ الْجَمَاعَةِ. وَكَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلاً: كُلُّ مَنْ سَبَّ إِلهَهُ يَحْمِلُ خَطِيَّتَهُ)[٢].

وأما عبادة آلهة أخرى: فقد جاء في عقوبتها في سفر التثنية: (إِذَا وُجِدَ فِي وَسَطِكَ فِي أَحَدِ أَبْوَابِكَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ رَجُلٌ أَوِ امْرَأَةٌ يَفْعَلُ شَرًّا فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ إِلهِكَ بِتَجَاوُزِ عَهْدِهِ، ٣وَيَذْهَبُ وَيَعْبُدُ آلِهَةً أُخْرَى وَيَسْجُدُ لَهَا... وَارْجُمْهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَ)[٣].

وأما عقوبة (التجديف)[٤]: وقد استخدم أصحاب الهيكل هذه التهمة ضد كل من يرونه خارجا على آرائهم فقد قتل زورا بتهمة التجديف كل من (نَابُوتُ الْيَزْرَعِيلِيُّ)[٥]. وكذلك اتهم المسيح عيسى عليه السلام من قبل اليهود بنفس التهمة[٦] كما رجم استيفانوس من أتباع عيسى بنفس التهمة[٧].

---

(١) سفر الخروج ٢٢ (٢).

(٢) سفر اللاويين ٢٤ (١٤-١٥).

(٣) سفر التثنية ١٧ (٢-٥)

(٤) التجديف يقصد به في الكتاب المقدس: كلام غير لائق بشأن الله وصفاته، قاموس الكتاب المقدس المقدس صـ٢٥٣.

(٥) سفر الملوك الأول ١٢ (١٠).

(٦) يوحنا ١٠ (٣١-٣٣).

(٧) أعمال الرسل ٧ (٥٨).

وأما عقوبة من عمل يوم السبت فهي القتل جاء في سفر الخروج: (وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَفِيهِ سَبْتٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. لاَ تَصْنَعْ عَمَلاً مَا أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَعَبْدُكَ وَأَمَتُكَ وَبَهِيمَتُكَ وَنَزِيلُكَ الَّذِي دَاخِلَ أَبْوَابِكَ)(١) وفي سفر العدد أن رجلا احتطب يوم السبت فقتلوه(٢).

وأما الجناية على ما دون النفس فعقوبتها في العهد القديم هي القصاص ولها صور ثلاث:-

الصورة الأولى: القصاص بالمثل جاء في سفر اللاويين: (إِذَا أَحْدَثَ إِنْسَانٌ فِي قَرِيبِهِ عَيْبًا، فَكَمَا فَعَلَ كَذلِكَ يُفْعَلُ بِهِ. كَسْرٌ بِكَسْرٍ، وَعَيْنٌ بِعَيْنٍ، وَسِنٌّ بِسِنٍّ. كَمَا أَحْدَثَ عَيْبًا فِي الإِنْسَانِ كَذلِكَ يُحْدَثُ فِيهِ. مَنْ قَتَلَ بَهِيمَةً يُعَوِّضُ عَنْهَا، وَمَنْ قَتَلَ إِنْسَانًا يُقْتَلْ. حُكْمٌ وَاحِدٌ يَكُونُ لَكُمْ. الْغَرِيبُ يَكُونُ كَالْوَطَنِيِّ. إِنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ)(٣) وجاء في سفر التثنية: (لاَ تُشْفِقْ تُشْفِقْ عَيْنُكَ. نَفْسٌ بِنَفْسٍ. عَيْنٌ بِعَيْنٍ. سِنٌّ بِسِنٍّ. يَدٌ بِيَدٍ. رِجْلٌ بِرِجْل)(٤).

وقد جاء القصاص إذا حفر الإنسان حفرة فوقع فيها إنسان أو حيوان جاء في سفر الخروج: (وَإِذَا فَتَحَ إِنْسَانٌ بِئْرًا، أَوْ حَفَرَ إِنْسَانٌ بِئْرًا وَلَمْ يُغَطِّهِ، فَوَقَعَ فِيهِ ثَوْرٌ أَوْ حِمَارٌ، فَصَاحِبُ الْبِئْرِ يُعَوِّضُ وَيَرُدُّ فِضَّةً لِصَاحِبِهِ، وَالْمَيْتُ يَكُونُ لَهُ)(٥).

الصورة الثانية: وهي القصاص بالتعويض فقد جاء في سفر الخروج: (إِذَا رَعَى إِنْسَانٌ حَقْلاً أَوْ كَرْمًا وَسَرَّحَ مَوَاشِيَهُ فَرَعَتْ فِي حَقْلِ غَيْرِهِ، فَمِنْ أَجْوَدِ حَقْلِهِ، وَأَجْوَدِ كَرْمِهِ

(١) سفر الخروج ٢٠ (١٠).
(٢) انظر سفر العدد ١٥ (٣٢-٣٥).
(٣) سفر اللاويين ٢٤ (١٩-٢٢).
(٤) سفر التثنية ١٩ (٢١).
(٥) سفر الخروج ٢١ (٣٢-٣٤).

يُعَوِّضُ. إِذَا خَرَجَتْ نَارٌ وَأَصَابَتْ شَوْكًا فَاحْتَرَقَتْ أَكْدَاسٌ أَوْ زَرْعٌ أَوْ حَقْلٌ، فَالَّذِي أَوْقَدَ الْوَقِيدَ يُعَوِّضُ)[١].

ومن صور التعويض بأكثر من المثل ما جاء في سفر الخروج: (إِذَا سَرَقَ إِنْسَانٌ ثَوْرًا أَوْ شَاةً فَذَبَحَهُ أَوْ بَاعَهُ، يُعَوِّضُ عَنِ الثَّوْرِ بِخَمْسَةِ ثِيرَانٍ، وَعَنِ الشَّاةِ بِأَرْبَعَةٍ مِنَ الْغَنَمِ)[٢].

وأما القصاص بين السيد والعبد فقد جاء في سفر الخروج: (وَإِذَا ضَرَبَ إِنْسَانٌ عَبْدَهُ أَوْ أَمَتَهُ بِالْعَصَا فَمَاتَ تَحْتَ يَدِهِ يُنْتَقَمُ مِنْهُ. لكِنْ إِنْ بَقِيَ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ لاَ يُنْتَقَمُ مِنْهُ لأَنَّهُ مَالُهُ)[٣].

أما ما دون النفس: فقد جاء في سفر الخروج أن على السيد أن يعتق عبده إذا أفضى الضرب إلى فقد العين أو السن: (وَإِذَا ضَرَبَ إِنْسَانٌ عَيْنَ عَبْدِهِ، أَوْ عَيْنَ أَمَتِهِ فَأَتْلَفَهَا، يُطْلِقُهُ حُرًّا عِوَضًا عَنْ عَيْنِهِ. وَإِنْ أَسْقَطَ سِنَّ عَبْدِهِ أَوْ سِنَّ أَمَتِهِ يُطْلِقُهُ حُرًّا عِوَضًا عَنْ سِنِّهِ)[٤].

الصورة الثالثة: القصاص بالضرب وهي في الخصومات التي لم يرد فيها نص والتي يرى القاضي أن جزاءها الضرب الذي قد يصل إلى الأربعين جلدة جاء في سفر التثنية: (إِذَا كَانَتْ خُصُومَةٌ بَيْنَ أُنَاسٍ وَتَقَدَّمُوا إِلَى الْقَضَاءِ لِيَقْضِيَ الْقُضَاةُ بَيْنَهُمْ، فَلْيُبَرِّرُوا الْبَارَّ وَيَحْكُمُوا عَلَى الْمُذْنِبِ. فَإِنْ كَانَ الْمُذْنِبُ مُسْتَوْجِبَ الضَّرْبِ، يَطْرَحُهُ الْقَاضِي وَيَجْلِدُونَهُ أَمَامَهُ عَلَى قَدَرِ ذَنْبِهِ بِالْعَدَدِ. أَرْبَعِينَ يَجْلِدُهُ. لاَ يَزِدْ، لِئَلاَّ إِذَا زَادَ فِي جَلْدِهِ عَلَى هذِهِ ضَرَبَاتٍ كَثِيرَةً، يُحْتَقَرَ أَخُوكَ فِي عَيْنَيْكَ)[٥].

---

(١) سفر الخروج ٢٢ (٥-٦).
(٢) سفر الخروج ٢٢ (١).
(٣) سفر الخروج ٢١ (٢٠).
(٤) سفر الخروج ٢١ (٢٦-٢٧).
(٥) سفر التثنية ٢٥ (١-٣).

وأما عن مدى شمولية العهد القديم للمبادئ والمعاملات الاقتصادية: فليس يخفى أن أي مجتمع لابد أن يشرع للتبادل المالي لأن ذلك من ضروريات الحياة ويتضح الجانب الاقتصادي في العهد القديم بداية من حديثه عن بنى إسرائيل في مصر والقصة من بدايتها أن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم والد الأسباط الاثنى عشر الذين وفدوا على مصر يبيعون ويبتاعون بتوجيه من أبيهم يعقوب جاء في العهد القديم: (فَلَمَّا رَأَى يَعْقُوبُ أَنَّهُ يُوجَدُ قَمْحٌ فِي مِصْرَ، قَالَ يَعْقُوبُ لِبَنِيهِ: «لِمَاذَا تَنْظُرُونَ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ؟» وَقَالَ «إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ أَنَّهُ يُوجَدُ قَمْحٌ فِي مِصْرَ. انْزِلُوا إِلَى هُنَاكَ وَاشْتَرُوا لَنَا مِنْ هُنَاكَ لِنَحْيَا وَلاَ نَمُوتَ». فَنَزَلَ عَشَرَةٌ مِنْ إِخْوَةِ يُوسُفَ لِيَشْتَرُوا قَمْحًا مِنْ مِصْرَ. وَأَمَّا بَنْيَامِينُ أَخُو يُوسُفَ فَلَمْ يُرْسِلْهُ يَعْقُوبُ مَعَ إِخْوَتِهِ، لأَنَّهُ قَالَ: «لَعَلَّهُ تُصِيبُهُ أَذِيَّةٌ»)[1].

وهذا يدل على أن أولاد يعقوب كان لهم دراية بالبيع والشراء ومعرفة الأسواق ومع أنهم كانوا رعاة فإنهم جاءوا يتبادلون ويكتالون.

كما أن أولاد يعقوب أيضا يعتادون على من يعتدي على الملكية وكان عقابه عندهم أن يسترقَّه من سرق منه، فيوسف عليه السلام عثرت عليه قافلة سيارة وأخذوه كبضاعة وباعوه بثمن بخس دراهم معدودة، ثم بعد ذلك تبوأ يوسف أمور البلاد الاقتصادية وكل ذلك يشير إلى أن التبادلات من بيع وشراء كانت منظمة عند اليهود جاء في سفر التكوين: (فَأَسْكَنَ يُوسُفُ أَبَاهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَعْطَاهُمْ مُلْكًا فِي أَرْضِ مِصْرَ، فِي أَفْضَلِ الأَرْضِ، فِي أَرْضِ رَعَمْسِيسَ كَمَا أَمَرَ فِرْعَوْنُ. وَعَالَ يُوسُفُ أَبَاهُ وَإِخْوَتَهُ وَكُلَّ بَيْتِ أَبِيهِ بِطَعَامٍ عَلَى حَسَبِ الأَوْلاَدِ.)[2].

---

(١) سفر التكوين ٤٢ (١-٤).

(٢) سفر التكوين ٤٧ (١١-١٢).

فهذا النص يشير إلى أن يوسف قد سمح لإخوته ووالده أن يعيشوا في رغد وثراء فما هي الثروة الرئيسية لبنى إسرائيل أيام يوسف يجيب سفر التكوين على ذلك: (فَقَامَ يَعْقُوبُ مِنْ بِئْرِ سَبْعٍ، وَحَمَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَعْقُوبَ أَبَاهُمْ وَأَوْلاَدَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ فِي الْعَجَلاَتِ الَّتِي أَرْسَلَ فِرْعَوْنُ لِحَمْلِهِ. وَأَخَذُوا مَوَاشِيَهُمْ وَمُقْتَنَاهُمُ الَّذِي اقْتَنَوْا فِي أَرْضِ كَنْعَانَ، وَجَاءُوا إِلَى مِصْرَ. يَعْقُوبُ وَكُلُّ نَسْلِهِ مَعَهُ. بَنُوهُ وَبَنُو بَنِيهِ مَعَهُ، وَبَنَاتُهُ وَبَنَاتُ بَنِيهِ وَكُلُّ نَسْلِهِ، جَاءَ بِهِمْ مَعَهُ إِلَى مِصْرَ)[1].

كما يذكر سفر التكوين: (فَأَتَى يُوسُفُ وَأَخبَرَ فِرْعَوْنَ وَقَالَ: «أَبِي وَإِخْوَتِي وَغَنَمُهُمْ وَبَقَرُهُمْ وَكُلُّ مَا لَهُمْ جَاءُوا مِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ، وَهُوَذَا هُمْ فِي أَرْضِ جَاسَانَ». وَأَخَذَ مِنْ جُمْلَةِ إِخْوَتِهِ خَمْسَةَ رِجَال وَأَوْقَفَهُمْ أَمَامَ فِرْعَوْنَ. فَقَالَ فِرْعَوْنُ لإِخْوَتِهِ: «مَا صِنَاعَتُكُمْ؟» فَقَالُوا لِفِرْعَوْنَ: «عَبِيدُكَ رُعَاةُ غَنَمٍ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا جَمِيعًا». وَقَالُوا لِفِرْعَوْنَ: «جِئْنَا لِنَتَغَرَّبَ فِي الأَرْضِ، إِذْ لَيْسَ لِغَنَمِ عَبِيدِكَ مَرْعًى، لأَنَّ الْجُوعَ شَدِيدٌ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ. فَالآنَ لِيَسْكُنْ عَبِيدُكَ فِي أَرْضِ جَاسَانَ»)[2].

ويستخلص من هذا النص أن الثروة الرئيسية لأولاد يعقوب ليست إلا البقر والغنم وأن حرفتهم كانت الرعي وأن أقصى ما يطمع إليه أقدرهم وأقواهم أن يكون من رؤساء المواش.

وبعد ذلك تضاعف أعداد بنو إسرائيل مع الأيام وقد تكفل لهم يوسف بالطعام ولكن العداوة نشبت بينهم وبين المصريين وأثر ذلك على الثروة واضح فهم قبل موسى عليه السلام كانوا يعملون في السخرة والبناء فتحولوا بذلك عن حرفتهم الأساسية وهي

(١) سفر التكوين ٤٦ (٥-٧).
(٢) سفر التكوين ٤٧ (١-٦).

الرعي وبالإضافة إلى ذلك فإن فرعون كان يقتل الذكور ويستحى النساء وفي ذلك قضاء على الأيدي العاملة من بنى إسرائيل ويتضح من ذلك أن بنى إسرائيل أيام موسى فقدوا غالب ثروتهم وأصبح المستقبل أمامهم مخوفا ولذا كان طلب موسى من فرعون أن يرسل معه بنى إسرائيل وأن يخرجهم من هذه الأرض وحينما أدرك بنو إسرائيل أمر الله لموسى بالخروج احتالوا على المصريين وسلبوهم ما استطاعوا من الثروات من ذهب وفضة وملابس ونسبوا ذلك إلى موسى جاء في سفر الخروج: (وَفَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِحَسَبِ قَوْلِ مُوسَى. طَلَبُوا مِنَ الْمِصْرِيِّينَ أَمْتِعَةَ فِضَّةٍ وَأَمْتِعَةَ ذَهَبٍ وَثِيَابًا. وَأَعْطَى الرَّبُّ نِعْمَةً لِلشَّعْبِ فِي عُيُونِ الْمِصْرِيِّينَ حَتَّى أَعَارُوهُمْ. فَسَلَبُوا الْمِصْرِيِّينَ.)[1].

ولا يخفى أن بنى إسرائيل اكتسبوا خبرة في التجارة وشئونها وهم في مصر ولذا احتالوا على المصريين عند خروجهم فأخذوا منهم رؤوس الأثمان الذهب والفضة وقد كانوا قبل مجيئهم رعاة، كما أنهم تعلموا في مصر الصناعة حيث صنعوا عجلا من ذهب في القصة المشهورة عندهم...

أما عن اليهود بعد أن دخلوا في أرض كنعان التي تم افتتاحها في عهد يشوع في مدة سبع سنين فقد وزعت الملكية على الأسباط العشرة، أما سبط اللاويين فلا نصيب لهم في الأرض وحين استقروا تكوَّن لهم أرض وثروة وقام لهم كيان اقتصادي جاء في سفر العدد: (ثُمَّ كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: «لِهؤُلاَءِ تُقْسَمُ الأَرْضُ نَصِيبًا عَلَى عَدَدِ الأَسْمَاءِ. اَلْكَثِيرُ تُكَثِّرُ لَهُ نَصِيبَهُ، وَالْقَلِيلُ تُقَلِّلُ لَهُ نَصِيبَهُ. كُلُّ وَاحِدٍ حَسَبَ الْمَعْدُودِينَ مِنْهُ يُعْطَى نَصِيبَهُ. إِنَّمَا بِالْقُرْعَةِ تُقْسَمُ الأَرْضُ. حَسَبَ أَسْمَاءِ أَسْبَاطِ آبَائِهِمْ يَمْلِكُونَ)[2].

(١) سفر الخروج ١٢ (٣٥-٣٦).
(٢) سفر العدد ٢٦ (٥٢-٥٥).

ففي هذا النص يتضح أن الملكية كانت قائمة على العدد وكان الإحصاء للذكور من مواليد شهر فما فوق وأن الملكية كانت للسبط فلا ملكية لفرد بشخصه وإنما الملكية جماعية وليس للإناث حظ فيها.

جاء في سفر العدد: (فَتَقَدَّمَتْ بَنَاتُ صَلُفْحَادَ... من (نسل يوسف) وَوَقَفْنَ أَمَامَ مُوسَى وَأَلِعَازَارَ الْكَاهِنِ وَأَمَامَ الرُّؤَسَاءِ وَكُلِّ الْجَمَاعَةِ لَدَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ قَائِلاَتٍ: «أَبُونَا مَاتَ فِي الْبَرِّيَّةِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْقَوْمِ الَّذِينَ اجْتَمَعُوا عَلَى الرَّبِّ فِي جَمَاعَةِ قُورَحَ، بَلْ بِخَطِيَّتِهِ مَاتَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ بَنُونَ. لِمَاذَا يُحْذَفُ اسْمُ أَبِينَا مِنْ بَيْنِ عَشِيرَتِهِ لأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ ابْنٌ؟ أَعْطِنَا مُلْكًا بَيْنَ إِخْوَةِ أَبِينَا». فَقَدَّمَ مُوسَى دَعْوَاهُنَّ أَمَامَ الرَّبِّ. فَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: «بِحَقّ تَكَلَّمَتْ بَنَاتُ صَلُفْحَادَ، فَتُعْطِيهِنَّ مُلْكَ نَصِيبٍ بَيْنَ إِخْوَةِ أَبِيهِنَّ، وَتَنْقُلُ نَصِيبَ أَبِيهِنَّ إِلَيْهِنَّ. وَتُكَلِّمُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلاً: أَيُّمَا رَجُل مَاتَ وَلَيْسَ لَهُ ابْنٌ، تَنْقُلُونَ مُلْكَهُ إِلَى ابْنَتِهِ. وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ ابْنَةٌ، تُعْطُوا
مُلْكَهُ لإِخْوَتِهِ)[1].

ويفهم من النص السابق أن البنات يرثن من والدهم عند عدم وجود ابن ذكر وأن هذا الميراث من عشائر بنى يوسف مؤقت جاء في سفر العدد: (وَتَقَدَّمَ رُؤُوسُ الآبَاءِ مِنْ عَشِيرَةِ بَنِي جِلْعَادَ... وَتَكَلَّمُوا قُدَّامَ مُوسَى وَقُدَّامَ رُؤَسَاءِ الآبَاءِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقَالُوا: «قَدْ أَمَرَ الرَّبُّ سَيِّدِي أَنْ يُعْطِيَ الأَرْضَ بِقِسْمَةٍ بِالْقُرْعَةِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ.

وَقَدْ أُمِرَ سَيِّدِي مِنَ الرَّبِّ أَنْ يُعْطِيَ نَصِيبَ صَلُفْحَادَ أَخِينَا لِبَنَاتِهِ. فَإِنْ صِرْنَ نِسَاءً لأَحَدٍ مِنْ بَنِي أَسْبَاطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، يُؤْخَذُ نَصِيبُهُنَّ مِنْ نَصِيبِ آبَائِنَا وَيُضَافُ إِلَى نَصِيبِ

(١) سفر العدد ٢٧ (١-١٠).

السِّبْطِ الَّذِي صِرْنَ لَهُ. فَمِنْ قُرْعَةِ نَصِيبِنَا يُؤْخَذُ. وَمَتَى كَانَ الْيُوبِيلُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ يُضَافُ نَصِيبُهُنَّ إِلَى نَصِيبِ السِّبْطِ الَّذِي صِرْنَ لَهُ، وَمِنْ نَصِيبِ سِبْطِ آبَائِنَا يُؤْخَذُ نَصِيبُهُنَّ»)[١]

هذا عن ملكية العقار عند بنى إسرائيل.

والخلاصة أن بنى إسرائيل دخلوا أرض كنعان أي فلسطين فوزعوها فيما بينهم على عدد أسباطهم وعدد ذكور كل سبط وأن الملكية كانت جماعية ولم تكن ملكية فردية شخصية حتى أن النساء اللواتي ورثن لظروف موت والدهن أعطين نصيبا شريطة أن لا يتزوجن خارج السبط حتى يبقى نصيب كل سبط له وإذا حدث وباع أحد شيئا فإن سنة اليوبيل وهي السنة الخمسون تعود الأرض إلى سبطها[٢].

وأما ملكية المنقول وهي الأشياء التي ليس لها صفة الثبات مثل الغنائم والحيوانات وغير ذلك (فقد أمر موسى رجاله بأن يقسموا كل ما يغنموه إلى قسمين متساويين:-

١- يأخذه الجنود الذين اشتركوا في القتال اشتراكا فعليا.

٢- وواحد يكون من نصيب الشعب العبراني ويوزع عليهم بالتساوي كما أمر بأن تخفض الزكاة المعروفة على الجنود على هذه الغنائم إلى عشر الزكاة المفروضة على باقي الشعب)[٣].

هذا هو مجمل ما جاء عن التعاليم الاقتصادية في العهد القديم المرتبطة بالمرحلة التاريخية لبنى إسرائيل في أرض مصر وفي بلاد كنعان وليس فيها تفصيل لأحكام البيع والشراء والقراض والمزارعة والمساقاة والسلم وغير ذلك من معاملات وعقود.

---

(١) سفر العدد ٣٦ (١-٤).

(٢) انظر سفر العدد ٣٦ (٤-١٠).

(٣) قاموس الكتاب المقدس صـ٣٦٣.

ولكن ما كان يدور بينهم فقط ليس إلا رعى المواشي والتكسب من ذلك أو النصب والاحتيال على غيرهم أو التعامل الربوي مع الأمميين ويمكن القول بأن العهد القديم لا يشتمل على التنظيم المالي بين الناس.

❁❁❁

المطلب الثالث: موقف القرآن الكريم من الشمولية في العهد القديم

قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُورِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾[1].

يقول الإمام ابن كثير: (كتب له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء قيل كانت الألواح من جوهر وأن الله تعالى كتب له فيها مواعظ وأحكاما مفصلة مبينة للحلال والحرام وكانت هذه الألواح مشتملة على التوراة، وقيل الألواح أعطيها موسى قبل التوراة)[2].

ويقول الإمام القرطبي في تفسير الآية السابقة: (من كل شيء يحتاج إليه في دينه من الأحكام وتبيين الحلال والحرام، وقيل من كل شيء لفظ يذكر يراد به التفخيم ولا يراد به التعميم. تقول دخلت السوق فاشتريت كل شيء، وعند فلان كل شيء، وتدمر كل شيء، وأوتيت كل شيء)[3].

فهذه الآية تبين أن التوراة كان فيها التفصيل والتبيين لما أمر به بنو إسرائيل من أحكام يقول الإمام القرطبي في تفسير موعظة وتفصيلا لكل شيء، أي لكل شيء أمروا به من الأحكام، فإنهم لم يكن عندهم اجتهاد وإنما خص بذلك أمة محمد ﷺ)[4].

---

(١) سورة الأعراف الآية (١٤٥).

(٢) ابن كثير ٢٤٧/٢ بتصرف.

(٣) تفسير القرطبي ٢٨١/٤.

(٤) تفسير القرطبي ٢٨١/٤.

ويقول صاحب الظلال: (والمهم هو ما في هذه الألواح إن فيها من كل شيء يختص بموضوع الرسالة وغايتها من بيان الله وشريعته والتوجيهات المطلوبة لإصلاح حال هذه الأمة وطبيعتها التي أفسدها الذل وطول الأمد سواء)(١).

ومما سبق يتضح أن التوراة الأصلية المنزلة على موسى -عليه السلام- كانت فيها جوانب كثيرة من الأحكام والتشريعات في الحلال والحرام وما يتعلق بأحكام الرسالة من توجيهات لإصلاح أحوال الناس ومن هذه الأمور ما يلي:-

أن التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام كانت تشتمل على الحدود الجنائية في الأعضاء والأبدان، قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾(٢).

فهذه الآية تدل على أن أهل التوراة كانت دماؤهم تتكافأ في الأعضاء والأبدان فمن فعل في إنسان فعلا ما يفعل به كما فعل، ولاشك أن توراة موسى أيضا كانت تحرم الربا، قال تعالى: ﴿ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ ﴾ (٣). كما حرمت عليهم كل ذي ظفر قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾(٤).

---

(١) في ظلال القرآن ٣/١٣٧٠.

(٢) سورة المائدة الآية (٤٥).

(٣) سورة النساء الآية (١٦١).

(٤) سورة الأنعام الآية (١٤٦).

كما بين القرآن الكريم أن الطعام كان كله حلالا لبنى إسرائيل إلا ما حرمه يعقوب على نفسه وهو عرق النسا قال تعالى: ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾[1].

أخرج الإمام أحمد عن ابن عباس قال: (حضرت عصابة من اليهود نبي الله ﷺ فقالوا: حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي قال: **"سلوني عما شئتم ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب على بنيه لئن أنا حدثتكم شيئا فعرفتموه لتتابعني على الإسلام"** قالوا: فذلك لك، قالوا: أخبرنا عن أربع خلال، أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه؟ وكيف ماء المرأة وماء الرجل؟ وكيف يكون الذكر من الأنثى؟ وأخبرنا بهذا النبي الأمي في النوم ومن وليه من الملائكة؟ فأخذ عليهم العهد لئن أخبرهم ليتابعنه فقال: **"أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل مرض مرضا شديدا وطال سقمه فنذر لله نذرا لئن شفاه الله من سقمه ليحرمن أحب الطعام والشراب إليه، وكان أحب الطعام إليه لحم الإبل وأحب الشراب إليه ألبانها"** فقالوا: اللهم نعم فقال: **"اللهم اشهد عليهم**... الحديث)[2].

والخلاصة أن القرآن الكريم حينما تحدث عن توراة موسى عليه السلام شهد بأن الله كتب له فيها من كل شيء، سواء ما يتعلق بالأحكام والتشريعات والحدود أم بالحلال والحرام، أما أسفار العهد القديم التي بأيدي اليهود اليوم فهي شيء آخر غير التوراة المنزلة على موسى عليه السلام وبالتالي فلا تتحقق فيها خصيصة الشمولية. ❁❁❁

---

(١) سورة آل عمران الآية (٩٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير صـ٣٨٢/١، ط/ دار المنار، والحديث رواه الإمام أحمد في المسند ٢٧٣/١-٢٧٨.

والخلاصة من خلال دراسة مدى تحقق خصيصة الشمولية في العهد القديم، تتضح عدم شمولية العهد القديم، وبيان ذلك فيما يأتي:-

أولاً- فيما يتعلق بالعقيدة:

أن العقيدة في العهد القديم لا تفسير كل الحقائق الكبرى التي تشغل الإنسان، مثل قضية الألوهية والكون والإنسان كما تقبل هذه العقيدة تعدد الآلهة نظراً لانحراف أصحابها عن التوحيد، وطرحهم للأوامر الصريحة التي سلمت من التحريف خلف ظهورهم. فالذات الإلهية في العقيدة اليهودية ليست ذاتاً واحدة، حيث يعبدون آلهة شتى منذ عهد موسى -عليه السلام- وعصر القضاة، وفترة الانقسام، بالإضافة إلى أن هناك عدد من الأسماء تطلق على ذوات مختلفة.

العهد القديم لم يتحدث إلا عن خلق السماوات والأرض والنور والماء والأعشاب والبقول والشجر والطيور والتنانين وكل ذوات الأنفس الحية والإنسان ذكراً وأنثى بينما.

العهد القديم عند حديثه عن النبوة لم يوضح المقصود منها، ولذلك صنف مع الأنبياء الكهان واللاويين وأصحاب الرؤى وغير هؤلاء، ونسب إلى الأنبياء ما لا يجوز في حقهم، وما هم معصومون منه.

العهد القديم قد بين أن الموت عام لجميع البشر وأن له وقت محدد بيد أنه ربط الموت بالخطيئة ولم يتحدث عن صورة خروج الروح أثناء الموت.

العهد القديم يتفق مع التصور الإسلامي في أن هناك قبراً يطلقون عليه الهاوية، وفيه ثواب وعقاب لروح الميت لكن لم يرد تفصيله، كما يتفق العهد القديم في مصير

الأرواح في فترة البرزخ حيث يعتقد اليهود أن الروح الصالحة تكون في علو أما الشريرة فتكون في سفل، ولكن هناك مواطن اختلف فيها العهد القديم مع القرآن الكريم منها:

(أ) أن النعيم والعذاب في العهد القديم يقع على الروح وحدها دون الجسد بعكس ما هو مقرر في الإسلام.

(ب) أن هناك سؤالاً للميت في الإسلام، ولا أثر لذلك عند اليهود.

العهد القديم ليس فيه أي إشارة عن علامات الساعة، لأن العهد القديم لا يهتم كثيراً باليوم الآخر وما يسبقه وما يقع فيه.

العهد القديم يخلو من البعث والجزاء وما يسبقه من نفخ في الصور، وما يصاحبه من نسف للجبال وتبديل للأرض، غير أن هنالك إشارات عن زعم بعض الباحثين أن المقصود بالبعث عند اليهود البعث القومي لهم.

العهد القديم يخلو من أي إشارة عن الحشر وأحوال الناس فيه. وقد ورد فيه إشارات قليلة يستدل بها على أن الله تعالى هو الذى يتولى الحساب والجزاء،

وأما الصراط والميزان والحوض والشفاعة في الآخرة فلم يرد له ذكر في العهد القديم. ولم يشر العهد القديم إلى أن الجنة الأخروية هي دار النعيم التي يثاب فيها الصالحون يوم القيامة. وأكد على أن الجحيم مكان مظلم تحت الأرض، له أبواب، سكانه يشعرون، تذهب إليه نفوس الجميع وفيه القصاص.

وأما رؤية الله فلا يوجد لها تفصيل في العهد القديم، وإنما هنالك فقط بعض النصوص الواردة فيها.

ثانياً: فيما يتعلق بالتشريع:

أما عن مدى تحقق شمولية العبادة في العهد القديم فيتبين مما سبق الحقائق الآتية:-

العبادة في العهد القديم لم تتحقق فيها خصيصة الشمولية، فهي لا تستوعب الكيان الإنساني كما لا تشمل مجالات الحياة كلها، حيث لم يرد ذكر أمر صريح بالصلاة في العهد القديم، لأن العبادة عندهم كانت تقتصر على الذبائح والقرابين.

وكذا الصيام لم يرد لفظه في الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى -عليه السلام- ولكن كان يوماً واحداً هو يوم الكفارة، وكذا الحج فلا يوجد في الأسفار الخمسة ما ينص عليه أيضاً وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

والعبادات في العهد القديم قد جاءت على جهة الإجمال لا التفصيل. وقد ورد من النصوص ما يؤكد أن لهم أعياد خاصة بهم.

وأما عن الزواج والخطبة والمهر فقد جاء ذلك كله في العهد القديم لكن هناك تباين واسع في حكم وتفصيل كل حالة من الحالات.

وأما عن المحرمات من النساء فقد جاء في العهد القديم بيان للمحارم التي لا يصح الزواج بهن وتسمى محارم توراتية وقد زاد عليها المفسرون محارم أخرى أسموها محارم تفسيرية وتوسعوا في التحريم على ما جاء في التوراة توسعا واضحاً ؛ واختلفت فرقهم في ذلك.

وأما الطلاق فقد جاء أيضا في العهد القديم كرفع لقيد الزواج ولكن جاء في العهد القديم نوع من الزواج لا يجوز فيه الطلاق؛ ويسمى بالزواج المؤبد ؛ وهو إ ذا

غصب رجل فتاة عذراء مخطوبة فعليه أن يعطى لأبيها خمسين من الفضة، وتصبح زوجة له ولا يستطيع أن يطلقها كل أيامه، كما جاء في سفر التثنية.

وأما عن الحدود فقد جاء في العهد القديم بيان لحد القتل العمد والاعتداء على النفس ؛ وكذا القتل غير العمد؛ وعقوبة الزنا سواء كان بين المحارم أو غير المحارم؛ وكذا عقوبة السرقة في جميع حالات السرقة؛ وكذا عقوبة التجديف؛ وعبادة الآلهة الأخرى، وورد أيضا القصاص فيما هو دون الحد.

وأما عن شمولية الإسلام في تشريعه للمعاملات فقد بين العهد القديم أن بنى إسرائيل كانوا يبيعون ويشترون وكانت لهم دراية ومعرفة بالأسواق وكان لهم خبرة في التجارة و الصناعة وشئونها.

ثالثاً: فيما يتعلق بالأخلاق:

ومن خلال الوقوف على الأخلاق في العهد القديم يمكن القول بأن الأخلاق في اليهودية لا نجد فيها روح المسالمة والسكينة كما نراها تعزف عن نصائح الزهد وتؤكد على أن الغنى يكثر الأصحاب والفقير ينفصل عن قريبه، وتنظر إلى المرأة نظرة قاسية خاصة ذات الخلق السيىء؛ كما أن الأخلاق اليهودية تجعل العقوبة الإلهية شاملة للأب وابنه وأحفاده والرحمة أيضا تعمهم إلى ألف جيل. واليهودية في مسألة الجزاء تأخذ بقاعدة الجزاء العين بالعين والسن بالسن.

ومما سبق يتبين بوضوح عدم شمولية العقيدة والشريعة والأخلاق، في العهد القديم حيث أغفل أشياء كثيرة لم يتطرق الحديث إليها.

❁❁❁

المبحث الخامس

دراسة مدى تحقق خصيصة الوسطية في العهد القديم

تمهيد

الإنسان يتألف من جسد وروح، ولكل منهما رغباته وحاجاته التي يختلف فيها عن الآخر، فالجسد بحكم تكوينه من الطين تنحصر رغباته في الشهوات والملذات والماديات، والروح بحكم كونها نفخة علوية، تنحصر رغباتها في العبادة، والتفكر، وتلك حكمة من الله ﷻ تتفق مع الرسالة التي نيط بها الإنسان ليقوم بها، وهي الخلافة في الأرض.

فالإنسان بعنصره الطيني المادي، قادر على أن يسعى في الأرض، ويعمرها، ويحسنها، ويكتشف ما أودع الله فيها من كنوز ونعم، ويسخر قواها المتنوعة بإذن الله لمنفعته، والنهوض بمهمته، وهو بعنصره الروحي الإلهي مهيأ للتحليق في أفق أعلى، والتطلع إلى عالم أرقى، وإلى حياة هي خير وأبقى.

وإذا كان الأمر كذلك، فإن إهمال حق الجسد، أو حق الروح، أو التقصير في جانب على حساب آخر شر مستطير، فلا يجور حق على حق، ولا يطغى مطلب على مطلب، إذ لابد من الموازنة والمواءمة بين متطلبات الجسد وأشواق الروح، ولا يكون ذلك إلا من خلال نظام حكيم من لدن عالم الغيب والشهادة، يجمع بين المادية والروحية، ومتطلبات الدنيا والآخرة، والموازنة بين الحقوق المختلفة والمطالب المتعددة[1].

---

(١) يراجع في ذلك الخصائص العامة للإسلام د/ يوسف القرضاوي صـ١٣٠ مكتبة وهبة ط/ الرابعة سنة ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو:- هل الديانة اليهودية والنصرانية تحقق هذا التوازن، أم يطغى فيها جانب على حساب آخر؟ ويحدث الإفراط أو التفريط، فتميل أحداهما إلى الغلو في المادة، وتجنح الأخرى إلى الرهبانية والتبتل؟ أم أن الإسلام هو الذي يحقق التوازن بينهما ويتجاوب القرآن مع فطرة الإنسان؟.

وللإجابة عن هذا السؤال، كان هذا الفصل الذي يتناول بالدراسة والتحقيق، مدى تحقق خصيصة الوسطية في العهدين القديم والجديد والوسطية في القرآن الكريم.

وقبل بيان ذلك أود الإشارة إلى تعريف معنى الوسطية والمقصود منها.

معنى الوسطية والمقصود منها:

جاء في لسان العرب: (الوسط: اسم لما بين طرفي الشيء وهو منه، وأوسط الشيء أفضله وخياره، كوسط المرعى خير من طرفيه. **ويقول الشاعر:**

إذا رحلت فاجعلوني وسطا ∴ إني كبير لا أطيق العُنَّدا

أي اجعلوني وسطا لكم ترفقون بي وتحفظونني، فإني أخاف إذا كنت وحدي متقدما لكم أو متأخرا عنكم أن تفرط دابتي أو ناقتي فتصرعني)[1].

وفي مختار الصحاح: (أن الوسط في كل شيء أعدله، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾)[2].

(١) لسان العرب لابن منظور ٩٢٣/٣.

(٢) مختار الصحاح للرازي، صـ٧٢٠.

ويقال الوسط: (لما له طرفان مذمومان)[١] وهو الغالب والأكثر، فالسخاء وسط بين البخل والتبذير، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور، والإنسان مأمور أن يتجنب كل وصف

مذموم، وتجنبه بالتعري منه، والبعد عنه، فكلما ازداد منه بعدا ازداد منه تعريا، وأبعد الجهات والمقادير والمعاني من كل طرفين وسطهما، وهو غاية البعد عنهما، فإذا كان في الوسط فقد بعد عن الأطراف بقدر الإمكان)[٢].

ومما سبق يتضح أن كلمة الوسطية تعنى: التعادل والتوازن بين طرفين متقابلين هو أفضلهما وأعدلهما، وعلماء التفسير عند تفسيرهم لكلمة وسط في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ ذهبوا بها إلى هذه المعاني السابقة[٣].

ويتضح أيضا أن الوسطية تعنى العدالة، والخيرية، والرفعة، والشرف في جميع الأمور.

والمقصود من الوسطية هنا: (التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين، أو متضادين، بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير ويطرد الطرف المقابل، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه، ويطغى على مقابله ويحيف عليه، مثال الأطراف المتقابلة أو المتضادة، الروحية والمادية، والفردية والجماعية، والواقعية والمثالية، والثبات والتغير، وما شابهها، ومعنى التوازن بينهما: أن يفسح لكل طرف منها مجاله ويعطى حقه "بالقسط" أو "بالقسطاس المستقيم" بلا وكس ولا شطط، ولا غلو ولا تقصير، ولا طغيان، ولا إخسار، كما أشار إلى

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، صـ٥٢٢، ط/ دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت.
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٥/٨٤، دار الفكر ط/الثانية سنة ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
(٣) انظر مفاتيح الغيب للرازي ٢/ ١٠٧ ط/ دار الفكر الثالثة سنة ١٤٠٥هـ.

ذلك كتاب الله تعالى بقوله: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝٩ ﴾ (١).

❁❁❁

قبل بيان مدى تحقق خصيصة المادية والروحية في العهد القديم، أرى أنه لابد من الوقوف على منشأ الفكر المادي عند اليهود، فذلك مما اختلفت حوله آراء الباحثين، فمنهم من رجح تأثرهم بالفكر المادي إلى الحضارة المصرية القديمة، ومنهم من رده إلى التراث الوثني اليوناني، يوضح ذلك الشيخ محمد أبو زهرة بقوله: (تأثر اليهود بالفلسفة اليونانية لوقوعهم تحت سلطان الرومان واليونان قرونا، وكان من أحبار اليهود من تعلم الفلسفة اليونانية، وأن الشرق والغرب اختلطا في الإسكندرية، وامتزجت آراء روما واليونان والشام في المدنية والعلوم والدين بآراء الشرق الأقصى، وفي ذلك منشأ قضية جديدة عمل على إيجادها بحث الغرب وإلهام الشرق، واتصل الدين بالفلسفة اتصالا وثيقا كان من نتائجه ظهور عقائد دينية، لا هي من الفلسفة المحضة، ولا هي من الدين الخالص، بل أخذت بطرف من كل، وجاء ذلك من عاملين:

أحدهما: ميل اليهود إلى التوفيق بين معتقداتهم الدينية والعلم الغربي الذي كان متأثرا بالعلم اليوناني.

ثانيهما: أن المفكرين الذين استمدوا أفكارهم من الفلسفة اليونانية رأوا أن يوفقوا بين معتقداتهم الفلسفية والقضايا الدينية المحضة التي جاء بها المشارقة...)

(١) الخصائص العامة للإسلام، د / يوسف القرضاوي، صـ١١٥، والآيات من سورة الرحمن (٧-٩).

ويَخْلُص الإمام محمد أبو زهرة إلى نتيجته قائلا: (ومن أي الجهتين نظرنا رأينا أن النتيجة كانت فلسفية دينية لا هي فلسفة محضة ولا هي دينية خالصة)[١].

ويكشف الدكتور/ أحمد أمين في (ضحى الإسلام) عن أسباب تأثر اليهود بالفكر المادي فيقول: (وكان بين اليهودية الوثنية اليونانية، وبين اليهودية والمسيحية نزاع شديد في الشرق، وخاصة في الإسكندرية -أهم مراكز الثقافة اليونانية- واضطر كثير من اليهود أن يتعلموا اللغة اليونانية ويتكلموا بها، وكان هذا النزاع في نوع الحياة الاجتماعية، وفي الثقافة وفي الدين، فاضطر كثير من اليهود أن يبدلوا حياتهم وأنظارهم نحو الحياة اليونانية، واضطروا أن يأخذوا بحظ من الثقافة اليونانية وواجهوا مشكلة جديدة وهي إلى أي حد يقبلون تعاليم اليونان مع الاحتفاظ بأصول اليهودية)[٢].

هذا هو رأي الفريق الأول وخلاصته أن الفكر المادي عند اليهود نشأ من الفلسفة اليونانية.

وهناك اتجاه آخر للباحثين والمؤرخين يؤكد على أن نشأة الفكر المادي لدى اليهود يرجع إلى الديانة المصرية القديمة، حيث كان للمصريين إذ ذاك أفكار مادية، يقول د/ محمد سيد طنطاوي: (عاش بنو إسرائيل في مصر زمنا طويلا ذاقوا فيه سوء العذاب، وألفوا خلال معيشتهم في مصر وثنية -أي مادية- قدماء المصريين، وعبادتهم للعجل)[٣].

---

(١) تاريخ الجدل للشيخ محمد أبو زهرة صـ١٩-٢٠ دار الفكر العربي ط / الثانية ١٩٨٠م.

(٢) ضحى الإسلام د/ أحمد أمين صـ٣٣٠ ط/العاشرة مكتبة النهضة المصرية بدون تاريخ.

(٣) بنو إسرائيل في القرآن والسنة د/محمد سيد طنطاوى ٣٧/٢ ط/ دار حراء سنة ١٩٦٩م.

ولعل ما يرجح القول بأن اليهود تأثروا بالمادية المصرية القديمة (أن فكرة الصندوق أو التابوت عند اليهود مستعارة من القدماء المصريين، فقد كانت توابيتهم تحمل بتلك الطريقة)[١].

وسواء تأثر اليهود بالمادية من اليونان أو من المصريين فإن الأمر لا يختلف كثيرا، ولكن المهم أنهم تأثروا بالمادية، وقد شهد بذلك كثير من الباحثين المسلمين.

تلك كانت محاولة لمعرفة منشأ الفكر المادي لدى اليهود، وبيان موقف الباحثين من تلك المسألة بين يدي دراسة المادية والروحية في العهد القديم.

❁❁❁

المطلب الأول: المادية في العقيدة عند اليهود

المتأمل في عقيدة اليهود يرى أنها تبتغى أمرا نفعيا عاجلا، وحسيا مشاهدا يقول د/ محمد البهي عن خطورة المادية على الدين: (إن المادية حسية سطحية في نظرتها، لم ترى العمق في نفس الإنسان، واعتقدت أنها بالمحسوس وحده يمكن لها أن تسوس وأن تنظم، ولكنها تسوس وتنظم الناس كما يسوس الإنسان قطعان الحيوان وينظمها...ولأن المادية سطحية في نظرتها استخلصت من ضعف رجال الدين في أفهامهم له وعملهم بمبادئه ضعف الدين نفسه في التوجيه)[٢].

ويبين العهد القديم أن عقيدة اليهود في الإله عقيدة مادية في ذاته، وصفاته، فمن ذلك ما جاء في سفر الخروج: (فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اذْهَبِ انْزِلْ. لأَنَّهُ قَدْ فَسَدَ شَعْبُكَ الَّذِي

(١) اليهودية في العقيدة والتاريخ عصام الدين حفني ناصف صـ١١٥ نشر دار العالم الجديد ط/ ١٩٧٧م.

(٢) الدين والدولة من توجيهات القرآن الكريم د/ محمد البهي صـ ٤٢. دار الكتاب اللبناني بيروت ط/ الثانية سنة ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

أَصْعَدْتَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. زَاغُوا سَرِيعًا عَنِ الطَّرِيقِ الَّذِي أَوْصَيْتُهُمْ بِهِ. صَنَعُوا لَهُمْ عِجْلا مَسْبُوكًا، وَسَجَدُوا لَهُ وَذَبَحُوا لَهُ وَقَالُوا: هذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ»)[1].

وقد اضطربت عقيدة اليهود اضطرابا بالغا، فاختلفوا في تسميتهم للإله يقول سفر الخروج: (وَقَالَ اللهُ أَيْضًا لِمُوسَى: «هكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: يَهْوَهْ إِلهُ آبَائِكُمْ، إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ. هذَا اسْمِي إِلَى الأَبَدِ)[2].

وقد وصفت الذات الإلهية بصفات بشرية، تتضح لكل من يطلع على أسفار العهد القديم فذات الإله تتشكل بشكل آدمي، وتنزل إلى العالم، وتأكل وتشرب، وتتعب وتستريح، وتصارع وتندم، جاء في سفر التكوين: (ظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا وَهُوَ جَالِسٌ فِي بَابِ الْخَيْمَةِ وَقْتَ حَرِّ النَّهَارِ، فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا ثَلاَثَةُ رِجَال وَاقِفُونَ لَدَيْهِ. فَلَمَّا نَظَرَ رَكَضَ لاسْتِقْبَالِهِمْ مِنْ بَابِ الْخَيْمَةِ وَسَجَدَ إِلَى الأَرْضِ، وَقَالَ: «يَا سَيِّدُ، إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَلاَ تَتَجَاوَزْ عَبْدَكَ. لِيُؤْخَذْ قَلِيلُ مَاءٍ وَاغْسِلُوا أَرْجُلَكُمْ وَاتَّكِئُوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَآخُذَ كِسْرَةَ خُبْزٍ، فَتُسْنِدُونَ قُلُوبَكُمْ ثُمَّ تَجْتَازُونَ، لأَنَّكُمْ قَدْ مَرَرْتُمْ عَلَى عَبْدِكُمْ». فَقَالُوا: «هكَذَا تَفْعَلُ كَمَا تَكَلَّمْتَ». فَأَسْرَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْخَيْمَةِ إِلَى سَارَةَ، وَقَالَ: «أَسْرِعِي بِثَلاَثِ كَيْلاَتٍ دَقِيقًا سَمِيذًا. اعْجِنِي وَاصْنَعِي خُبْزَ مَلَّةٍ». ثُمَّ رَكَضَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْبَقَرِ وَأَخَذَ عِجْلا رَخْصًا وَجَيِّدًا وَأَعْطَاهُ لِلْغُلاَمِ فَأَسْرَعَ لِيَعْمَلَهُ. ثُمَّ أَخَذَ زُبْدًا وَلَبَنًا،

(١) سفر الخروج ٣٢ (٧-٩).

(٢) سفر الخروج ٣(١٥).

وَالْعِجْلَ الَّذِي عَمِلَهُ، وَوَضَعَهَا قُدَّامَهُمْ. وَإِذْ كَانَ هُوَ وَاقِفًا لَدَيْهِمْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ أَكَلُوا.)[١] (فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ... لأَنِّي نَظَرْتُ اللهَ وَجْهًا لِوَجْهٍ)[٢].

وتكررت هذه الصفات في شتى الأسفار ففي سفر صموئيل: (وَكَانَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَى صَمُوئِيلَ قَائِلا: «نَدِمْتُ عَلَى أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ شَاوُلَ مَلِكًا، لأَنَّهُ رَجَعَ مِنْ وَرَائِي وَلَمْ يُقِمْ كَلاَمِي». فَاغْتَاظَ صَمُوئِيلُ وَصَرَخَ إِلَى الرَّبِّ اللَّيْلَ كُلَّهُ)[٣].

بل وصفوا الإله بالحدة وسرعة اتخاذ القرار يقول المرحوم د/ رفقي زاهر: (وعلى الرغم مما يعترى يهوه أحيانا من الضعف والخنوع، إلا أنه في أكثر الأحيان قوى عنيف، يمطر اللعنات على رؤوس مخالفيه بغير حساب، وتتسع نقمته لتشمل النساء والأطفال والشيوخ المسالمين، بل لتتسع أكثر وتشمل مع هؤلاء البهائم والطيور التي يملكها الأعداء، ولا يكتفي يهوه الدموي بتدمير جيل المخالفين بل قد يصل انتقامه إلى الجيل الثالث والرابع من أحفادهم، وهكذا يعذب الأبناء بذنب الآباء، والأحفاد بجريرة الأجداد)[٤].

ويدل على ذلك ما جاء في سفر صموئيل الأول: (وَقَالَ صَمُوئِيلُ لِشَاوُلَ: «إِيَّايَ أَرْسَلَ الرَّبُّ لِمَسْحِكَ مَلِكًا عَلَى شَعْبِهِ إِسْرَائِيلَ. وَالآنَ فَاسْمَعْ صَوْتَ كَلاَمِ الرَّبِّ. هكَذَا يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ: إِنِّي قَدِ افْتَقَدْتُ مَا عَمِلَ عَمَالِيقُ بِإِسْرَائِيلَ حِينَ وَقَفَ لَهُ فِي الطَّرِيقِ عِنْدَ صُعُودِهِ مِنْ مِصْرَ. فَالآنَ اذْهَبْ وَاضْرِبْ عَمَالِيقَ، وَحَرِّمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلاَ تَعْفُ عَنْهُمْ بَلِ اقْتُلْ رَجُلا

(١) سفر التكوين ١٨(١-٨).
(٢) سفر التكوين ٣٢ (٢٤-٣٠).
(٣) سفر صموئيل الأول ١٥(١٠).
(٤) قصة الأديان (دراسة تحليلية ومقارنة) د/ رفقي زاهر صـ٦٦ مكتبة النهضة المصرية ط/ الأولى سنة ١٩٨٠م.

وَامْرَأَةً، طِفْلا وَرَضِيعًا، بَقَرًا وَغَنَمًا، جَمَلا وَحِمَارًا». فَاسْتَحْضَرَ شَاوُلُ الشَّعْبَ وَعَدَّهُ فِي طَلاَيِمَ، مِئَتَيْ أَلْفِ رَاجِل، وَعَشَرَةَ آلاَفِ رَجُل مِنْ يَهُوذَا)[1].

يقول العقاد عن اليهود في عبادتهم للإله إيل وتأثرهم بالتشبيه والتجسيم: (لقد عبدوا الإله باسم إيل، أي: القوى في اللغة الآرامية، ولكن الأسماء العبرية تدل على أنهم قد لبثوا زمانا يصفون الإيل بالصفات البشرية، ويقبلون نسبة القرابة الإنسانية إليه كما في اسم عمائيل من العمومية، أو إيل أب من الأبوه، وغير ذلك من الأسرة البشرية، وظلوا إلى مابعد أيام موسى ينسبون إلى الإله أعمال الإنسان وحركاته، فذكروا أنه كان يتمشى في الجنة وأنه كان يصارع ويأكل ويشرب ويغشى ماركبات الجبال، وأنه -أي الإله- دفن موسى حين مات في مؤاب... فكانت العقائد الإسرائيلية نقطة التحول لأنها بدأت بتصور الإله على صورة إنسان يأكل ويشرب، ويتعب ويستريح، ويغار من منافسيه، وقرنت هذه الصورة تارة بعبادة الأصنام، وتارة بعبادة الموتى وظواهر الطبيعة)[2].

بل بلغ بماديتهم أن وصفوا إلههم بأنه يأمر بالسرقة كما جاء في سفر الخروج: (بَلْ تَطْلُبُ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْ جَارَتِهَا وَمِنْ نَزِيلَةِ بَيْتِهَا أَمْتِعَةَ فِضَّةٍ وَأَمْتِعَةَ ذَهَبٍ وَثِيَابًا، وَتَضَعُونَهَا عَلَى بَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ. فَتَسْلِبُونَ الْمِصْرِيِّينَ)[3].

---

(١) سفر صموئيل الأول ١٥(١-٤).

(٢) كتاب (الله) لعباس محمود العقاد صـ١١٩-١٢٠ دار الكتاب اللبناني بيروت ط/ الأولى سنة ١٩٧٨م.

(٣) سفر الخروج ٣ (٢٢).

وكل ذلك دليل على تغلغل المادية في عقيدتهم في الإله يقول د/ أحمد شلبي: (إن مسألة الألوهية لم تكن عميقة الجذور في نفوس بنى إسرائيل، فقد كانت المادية والتطلع إلى أسلوب نفعي في الحياة من أكثر ما يشغلهم)(١).

والخلاصة كما يقول د/ عبد الغنى عبود أن إله بنى إسرائيل في زعمهم إله: (قلق ضائع وضيع، ذلك الإله الإسرائيلي يهوى هو إله عجيب كشعبه، بل لعله أعجب الآلهة التي اتخذت على الإطلاق في القديم والحديث)(٢).

ويؤكد د/ مزروعة على أن نزعة التجسيد لدى اليهود لم تفارقهم في جميع مراحل تاريخهم فيقول: (وبسبب نزعة التجسيد هذه لم يقنع اليهود بعبادة الإله الواحد المجرد عن المادة، ولذلك طلبوا من موسى عليه السلام أن يريهم الله جهرة، حتى يستطيعوا إرضاء نزعة التجسيد، والنزعة المادية عندهم، وهم على مدى تاريخهم لم يتنزهوا عن عبادة الأوثان)(٣).

ومن مظاهر المادية في العقيدة اليهودية أنه ليس هنالك مفهوم واضح لديهم عن اليوم الآخر، وقد شهد بذلك كثير من الباحثين يقول حبيب سعيد: (من الغريب أنه بينما كان الاعتقاد بحياة أخرى بعد الموت من العقائد التي نادت بها أديان كثيرة في القديم مثل أمة الفرس، فإن أمة إسرائيل لم تلتزم بهذه العقيدة)(٤).

---

(١) اليهودية د/ أحمد شلبي صـ٢٠٠، مكتبة النهضة المصرية ط/ الخامسة سنة ١٩٧٨م.

(٢) اليهود واليهودية والإسلام د/ عبد الغنى عبود صـ٣٢، ط/ دار الفكر العربي.

(٣) دراسات في اليهودية د/ محمود مزروعة صـ١٦٨ دار الطباعة المحمدية ط/ الأولى سنة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

(٤) أديان العالم حبيب سعيد صـ٩٤، صدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة سنة ١٩٧٧م.

أما عقيدة البعث فالتأمل في أسفار موسى الخمسة الحالية يدل على أنها خالية من الحديث عن البعث يقول د/ محمد عبد الله دراز: (لا نصادف منذ آدم حتى موسى إلى آخر عهده أية إشارة في أي مكان إلى حياة بعد الموت، كأن لم يكن لعقيدة الحياة الأخرى مكان في أديانهم)[١].

ومن مظاهر المادية عند اليهود، أن العهد القديم يخلو من ذكر الشفاعة وكذا بقية مصادرهم، وكيف لا وهم يعتقدون أنهم لن تمسهم النار إلا أياما معدودات، وأنهم أبناء الله وأحباؤه قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾[٣].

ونظرا لاعتقاد اليهود أنهم أبناء الله وأحباؤه فإنهم يعتقدون أنهم لن يمكثوا في النار أبد الآبدين، وإنما هي فترة وجيزة يخرجون بعدها إلى الجنان، يقول صاحب المنار في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ قال الأستاذ الإمام/ محمد عبده: (والجملة عبارة عن استسهال العقوبة والاستخفاف بها اتكالا على اتصال نسبهم بالأنبياء، واعتمادا على مجرد الانتساب إلى الدين، وكانوا يعتقدون أن ذلك كاف في نجاتهم، ومن استخف بوعيد الدين زاعما أنه خفيف في نفسه، أو أنه غير واقع بمن يستحق حتما

(١) دستور الأخلاق في القرآن صـ٢٨ د/ محمد عبد الله دراز مؤسسة الرسالة ط/ الثالثة ١٩٨٠م.
(٢) سورة البقرة الآيتان (٨٠-٨١).
(٣) سورة المائدة الآية (١٨).

تزول حرمة الأوامر والنواهي في نفسه، فيقدم على ارتكاب المحارم بلا مبالاة، ويتهاون في الطاعات المحتمة، وهكذا شأن الأمم عندما تفسق عن دينها وتنتهك حرماته، ظهر في اليهود ثم في النصارى)[1].

ومما سبق يتضح أن النزعة المادية في عقيدة اليهود تأصلت في نفوسهم، وتمكنت من قلوبهم، وظلت مسيطرة عليهم فترة طويلة وقد ظهرت آثارها في التجسيم والتشبيه للذات الإلهية وعدم إيمانهم بالغيبيات بل خلا كتابهم من الإشارة إلى البعث وبعض غيبيات اليوم الآخر.

❁❁❁

المطلب الثاني: المادية في التشريع والأخلاق عند اليهود

بعد الحديث عن المادية في العقيدة اليهودية وتجلى إمعانها في التجسيم والتشبيه، وبعدها عن التجريد والتنزيه، يأتي بيان المادية في التشريع اليهودي من خلال نصوص العهد القديم، ومن هذه الصور ما يلي:

قيام معاملاتهم الاقتصادية على الربا، فلقد حفلت التوراة وأسفار العهد القديم، بطائفة كبيرة من الشرائع التفصيلية، التي تنظم علاقة بنى إسرائيل بعضهم مع بعض، وتنظم علاقاتهم بالآخرين، فهل أولى اليهود هذه الشرائع ما ينبغي لها من الرعاية والتقديس؟ كلا لقد أقبل اليهود على المعاملات الربوية بطريقة واسعة بالرغم من تحذير أسفارهم عن التعامل بالربا.

(١) تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا، ٩/٣ وما بعدها الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م.

وهناك أسباب كثيرة دفعت اليهود للاشتغال بالربا:

أولها: أن بعض النصوص المحرمة في الكتاب المقدس تبيح الإقراض بالفائدة للأجنبي.

ثانيها: أن الإقراض بالربا لا يكون عن تراض وإنما عن اضطرار، وتحت ضغط شدة الحاجة لدى المدين، وبالتالي فهي عملية وإن كانت غير إنسانية ولا أخلاقية إلا أنها تضمن للمرابي ربا أكيدا وإن كان خبيثا ملعونا.

وسبب ثالث: هو أن النفس الإنسانية المستقيمة ترفض الاشتغال بالإقراض الربوي، فلم لا ينفرد به اليهود وهو أقصر طريق للإثراء؟! كل ذلك من أجل سيطرة رأس المال اليهودي، فحيث يوجد المال يبسط اليهود نفوذهم على ذلك المكان، ونسواْ قصة قارون وخزائن أمواله، ولعلهم ينتهون قريبا إلى نفس مصيره، فقد احترف اليهود الربا منذ العصور الأولى واعتبروه مهنة لهم)[١].

تلك هي الأسباب التي حدت باليهود إلى التعامل بالربا ونصوص التوراة تشير إلى ذلك في وضوح وجلاء، ومن هذه النصوص ما جاء في سفر التثنية: (لاَ تُقْرِضْ أَخَاكَ بِرِبًا، رِبَا فِضَّةٍ، أَوْ رِبَا طَعَامٍ، أَوْ رِبَا شَيْءٍ مَّا مِمَّا يُقْرَضُ بِرِبًا)[٢].

وجاء في سفر الخروج: (إِنْ أَقْرَضْتَ فِضَّةً لِشَعْبِي الْفَقِيرِ الَّذِي عِنْدَكَ فَلاَ تَكُنْ لَهُ كَالْمُرَابِي. لاَ تَضَعُوا عَلَيْهِ رِبًا)[٣].

---

(١) انظر اليهود ليسوا تجارا بالنشأة د/حسن ظاظا وآخرون المقدمة صـ(د) بتصرف نشر دار الاتحاد العربي للطباع ١٩٧٥م.

(٢) سفر التثنية ٢٣ (١٩-٢٠).

(٣) سفر الخروج ٢٢ (٢٥).

كما نصت التوراة في شأن معاملة الغريب الذي هو من غير اليهود بمعاملته بالربا، فتقول كما جاء في سفر التثنية: (لِلأَجْنَبِيِّ تُقْرِضُ بِرِبًا، وَلكِنْ لأَخِيكَ لاَ تُقْرِضْ بِرِبًا، لِيُبَارِكَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ فِي كُلِّ مَا تَمْتَدُّ إِلَيْهِ يَدُكَ فِي الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكَهَا)[1].

وفي سفر اللاويين: (وَإِذَا افْتَقَرَ أَخُوكَ وَقَصُرَتْ يَدُهُ عِنْدَكَ، فَاعْضُدْهُ غَرِيبًا أَوْ مُسْتَوْطِنًا فَيَعِيشَ مَعَكَ. لاَ تَأْخُذْ مِنْهُ رِبًا وَلاَ مُرَابَحَةً، بَلِ اخْشَ إِلهَكَ، فَيَعِيشَ أَخُوكَ مَعَكَ. فِضَّتَكَ لاَ تُعْطِهِ بِالرِّبَا، وَطَعَامَكَ لاَ تُعْطِ بِالْمُرَابَحَةِ. أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمُ الَّذِي أَخْرَجَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ لِيُعْطِيَكُمْ أَرْضَ كَنْعَانَ، فَيَكُونَ لَكُمْ إِلهًا. «وَإِذَا افْتَقَرَ أَخُوكَ عِنْدَكَ وَبِيعَ لَكَ، فَلاَ تَسْتَعْبِدْهُ اسْتِعْبَادَ عَبْدٍ. كَأَجِيرٍ، كَنَزِيلٍ يَكُونُ عِنْدَكَ. إِلَى سَنَةِ الْيُوبِيلِ يَخْدِمُ عِنْدَكَ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ عِنْدِكَ هُوَ وَبَنُوهُ مَعَهُ وَيَعُودُ إِلَى عَشِيرَتِهِ، وَإِلَى مُلْكِ آبَائِهِ يَرْجِعُ. لأَنَّهُمْ عَبِيدِي الَّذِينَ أَخْرَجْتُهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لاَ يُبَاعُونَ بَيْعَ الْعَبِيدِ. لاَ تَتَسَلَّطْ عَلَيْهِ بِعُنْفٍ، بَلِ اخْشَ إِلهَكَ. وَأَمَّا عَبِيدُكَ وَإِمَاؤُكَ الَّذِينَ يَكُونُونَ لَكَ، فَمِنَ الشُّعُوبِ الَّذِينَ حَوْلَكُمْ. مِنْهُمْ تَقْتَنُونَ عَبِيدًا وَإِمَاءً. وَأَيْضًا مِنْ أَبْنَاءِ الْمُسْتَوْطِنِينَ النَّازِلِينَ عِنْدَكُمْ، مِنْهُمْ تَقْتَنُونَ وَمِنْ عَشَائِرِهِمِ الَّذِينَ عِنْدَكُمُ الَّذِينَ يَلِدُونَهُمْ فِي أَرْضِكُمْ، فَيَكُونُونَ مُلْكًا لَكُمْ. وَتَسْتَمْلِكُونَهُمْ لأَبْنَائِكُمْ مِنْ بَعْدِكُمْ مِيرَاثَ مُلْكٍ. تَسْتَعْبِدُونَهُمْ إِلَى الدَّهْرِ. وَأَمَّا إِخْوَتُكُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فَلاَ يَتَسَلَّطْ إِنْسَانٌ عَلَى أَخِيهِ بِعُنْفٍ)[2].

فالنص هنا ينص على ألا يتعامل اليهودي مع اليهودي بالربا، أما غير اليهودي فالشأن أن تكون المعاملة مادية ليست فيها أثارة من رحمة أو شفقة حتى أصبح التعامل المادي سمة من سمات اليهود.

(١) سفر التثنية ٢٣(٢٠).

(٢) سفر اللاويين ٢٥(٣٥-٤٧).

ولذلك يشكو أحد أنبيائهم وهو عاموس من تلك الحالة لأن الإقراض بالربا الفاحش أصبح عنصرا من عناصر الحياة عند اليهود(١).

وجاء في سفر الملوك الثاني: (وَصَرَخَتْ إِلَى أَلِيشَعَ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَاءِ بَنِي الأَنْبِيَاءِ قَائِلَةً: «إِنَّ عَبْدَكَ زَوْجِي قَدْ مَاتَ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ عَبْدَكَ كَانَ يَخَافُ الرَّبَّ. فَأَتَى الْمُرَابِي لِيَأْخُذَ وَلَدَيَّ لَهُ عَبْدَيْنِ». فَقَالَ لَهَا أَلِيشَعُ: «مَاذَا أَصْنَعُ لَكِ؟ أَخْبِرِينِي مَاذَا لَكِ فِي الْبَيْتِ؟». فَقَالَتْ: «لَيْسَ لِجَارِيَتِكَ شَيْءٌ فِي الْبَيْتِ إِلاَّ دُهْنَةَ زَيْتٍ». فَقَالَ: «اذْهَبِي اسْتَعِيرِي لِنَفْسِكِ أَوْعِيَةً مِنْ خَارِجٍ، مِنْ عِنْدِ جَمِيعِ جِيرَانِكِ، أَوْعِيَةً فَارِغَةً. لاَ تُقَلِّلِي. ثُمَّ ادْخُلِي وَأَغْلِقِي الْبَابَ عَلَى نَفْسِكِ وَعَلَى بَنِيكِ، وَصُبِّي فِي جَمِيعِ هذِهِ الأَوْعِيَةِ، وَمَا امْتَلأَ انْقُلِيهِ». فَذَهَبَتْ مِنْ عِنْدِهِ وَأَغْلَقَتِ الْبَابَ عَلَى نَفْسِهَا وَعَلَى بَنِيهَا. فَكَانُوا هُمْ يُقَدِّمُونَ لَهَا الأَوْعِيَةَ وَهِيَ تَصُبُّ. وَلَمَّا امْتَلأَتِ الأَوْعِيَةُ قَالَتْ لابْنِهَا: «قَدِّمْ لِي أَيْضًا وِعَاءً». فَقَالَ لَهَا: «لاَ يُوجَدُ بَعْدُ وِعَاءٌ». فَوَقَفَ الزَّيْتُ. فَأَتَتْ وَأَخْبَرَتْ رَجُلَ اللهِ فَقَالَ: «اذْهَبِي بِيعِي الزَّيْتَ وَأَوْفِي دَيْنَكِ، وَعِيشِي أَنْتِ وَبَنُوكِ بِمَا بَقِيَ»)(٢).

مما سبق يمكن أن نستنتج أن اليهود جنحوا إلى المادية الطاغية في معاملتهم المالية واشتروا دنياهم بأخراهم، وأمست المادية هي مفتاح التعامل مع اليهود.

وهكذا عاش اليهود في هذه المادية الصرفة، وفي هذا الجشع والأنانية الطاغية، وفي العلاقات غير الإنسانية، والمعاملات غير الشرعية، ونعى عليهم القرآن الكريم ذلك كله،

(١) اليهود ليسوا تجارا بالنشأة مصدر سابق صـ١٢١ بتصرف.

(٢) سفر الملوك الثاني ٤(١-٧).

قال تعالى: ﴿ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ ﴾ (١).

يقول د/ محمد البهي مبينا أن الربا ذاع وشاع منذ فجر التاريخ اليهودي، وأنهم حازوا قصب السبق في التعامل به مع شدة النكير عليهم والتهديد، إلا أنهم لم ولن ينتهوا فيقول: (والربا في تاريخ البشرية لم يشع في جماعة على نحو ما شاع في جماعة (اليهود)، ولم يروجه فريق من الناس مثلما روجه اليهود، منذ فجر التاريخ البشرى حتى اليوم، ورغم ما جاءهم من الرسل محذرين ومنذرين فإنهم لم ينتهوا أبدا وأغلب الظن أنهم لن ينتهوا!)(٢).

وواقعهم التاريخي يؤكد ماديتهم، واتخاذهم الربا سبيلا إليها، وإصرارا على التعامل بها، وما ذلك إلا لفقد الإنسانية، يقول د/ محمد البهي: (المادية الجارفة التي تتمثل في أكل أموال الناس بالباطل، وباستخدام الربا كطريق رئيسي لاستثمار المال واستغلاله...

(والربا) والإصرار على التعامل على أساسه ظاهرة طبيعية لدى من فقد الإنسانية، وتمكنت منه المادية الطاغية وإذا قيل أن اليهود يشجعون الرأسمالية ونظام الحرية الفردية في استغلال رأس المال فذال لأنهم يرون هذا النظام فرصة للسيطرة واستغلال الأكثرية من الناس في العالم في حاجتها إلى المال)(٣).

ولم يكن الربا وحده سبيلا إلى المادية عند اليهود بل كانوا يجمعون المال بكل سبيل ويعتبرونه العنصر الحاسم في تقدير الأفراد والدول فجمعوا المال عن طريق السرقة

---

(١) سورة النساء الآية (١٦١).

(٢) الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر مشكلات الحكم والتوجيه د/ محمد البهي صـ٦٠ دار الكتاب اللبناني بيروت ط/ الثانية سنة ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م.

(٣) المصدر السابق صـ٦١-٦٣.

والغصب والسلب وفي ذلك يقول سفر الخروج: (وَفَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِحَسَبِ قَوْلِ مُوسَى. طَلَبُوا مِنَ الْمِصْرِيِّينَ أَمْتِعَةَ فِضَّةٍ وَأَمْتِعَةَ ذَهَبٍ وَثِيَابًا. وَأَعْطَى الرَّبُّ نِعْمَةً لِلشَّعْبِ فِي عُيُونِ الْمِصْرِيِّينَ حَتَّى أَعَارُوهُمْ. فَسَلَبُوا الْمِصْرِيِّينَ)[1].

وهكذا سلك اليهود كل الطرق غير المشروعة من الربا والسرقة والغصب والسلب في سبيل جمع المال، وفي ذلك تجسيم للمادية في أعلى صورها.

❁❁❁

أما عن مادية الأخلاق في العهد القديم:

فهو حين يتحدث عن الأجزية من الثواب والعقاب والوعد والوعيد بالنسبة للصالحين والطالحين والمحسنين والمسيئين لا يذكر أثارة من روحانية بل كل ما يقدمه للصالحين من ثواب وللطالحين من عقاب ليس إلا أشياء مادية منها في جانب الثواب الخصب والصحة والثراء وطول الحياة والظفر بالأعداء والخصوم ونحو ذلك من أمور عاجلة وفي جانب العقاب نرى الجزاء يتمثل في الجدب والمرض والموت والوباء والفقر والهزيمة أمام الأعداء ونحو ذلك، إن الجزاء سواء كان ثوابا أم عقابا أمر مادي فليس للأجزية الروحية والمعنوية مكان في العهد القديم.

❁❁❁

(١) سفر الخروج ١٣ (٢٥-٢٦).

المطلب الثالث: موقف القرآن الكريم من المادية عند اليهود

لقد سجل القرآن الكريم مادية اليهود الجارفة، واستغلالهم للناس، وأكلهم للربا وإصرارهم على التعامل به، يقول تعالى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ ﴾[1].

ويقول تعالى عن تفرقة اليهود في معاملتهم مع غيرهم وإباحتهم ظلم الأميين: ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[2].

يقول ابن كثير: (أي أن الله قد نهاهم عن الربا فتناولوه وأخذوه واحتالوا عليه بأنواع من الحيل وصنوف من الشبه وأكلوا أموال الناس بالباطل)[3].

ويقول الأستاذ سيد قطب: (فيضاف إلى ما سبق من مناكرهم هذه المنكرات الجديدة: الظلم والصد الكثير عن سبيل الله، فهم ممنوعون منه ويأتون عليه، وأخذهم الربا -لا عن جهل ولا عن قلة تنبيه- فقد نهوا عنه وأصروا عليه! وأكلهم أموال الناس بالباطل، بالربا وغيره من الوسائل، بسبب من هذه المنكرات ومما أسلفه السياق منها... حرمت عليهم طيبات كانت حلالا لهم، وأعد الله للكافرين منهم عذابا أليما)[4].

فالقرآن الكريم في الآية الأولى يكشف عن الأسباب التي أدت إلى التضييق على اليهود وهي تجاوزهم وظلمهم وطغيانهم، كل هذا أدى إلى التشديد علبهم من الله ﷻ بأن حرم

(١) سورة النساء الآيتان (١٦٠-١٦١).
(٢) سورة آل عمران الآية (٧٥).
(٣) تفسير ابن كثير ٥٨٥/١ ط/ دار المنار، بدون تاريخ.
(٤) في ظلال القرآن أ/ سيد قطب ٨٠٣/٢ دار الشروق ط/ الثالثة عشر ١٤٠٧ هـ-١٩٨٧م.

عليهم ما أحله لهم من قبل، ولأنهم كانوا يصدون غيرهم عن طريق الله مع أكلهم الربا وماديتهم الطاغية وضربهم بنهي الله خلف ظهورهم وأكلهم أموال الناس بالباطل أن رصد الله لهم العذاب الأليم.

أما الآية الثانية ففيها تبيان لموقف اليهود في تفرقتهم أثناء معاملتهم بين من هم على شاكلتهم في العقيدة من اليهود، وغيرهم من الأمميين -وهم غير اليهود- حيث أباحوا لأنفسهم أن يمتصوا ويستغلوا حاجة المحتاجين من الأمميين وأعلنوا ذلك صراحة كما حكى القرآن الكريم عنهم قولهم: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾[1].

❁❁❁

والخلاصة بعد دراسة مدى تحقق خصيصة الوسطية في العهد القديم يتبين ما يلي:

(١) أن العهد القديم حافل بالمادية المتطرفة، سواء في مجال العقيدة أم الشريعة أم الأخلاق، فالمادية اليهودية جسدت الإله في صورة محسوسة، فقد علق اليهود إيمانهم بالله على رؤيتهم له، ووصفه بصفات البشر.

كما أن المادية تتبدى في التشريع اليهودي إذ يقوم على إباحة الربا، واستحلال السرقة، وأكل أموال الناس بالباطل، كما أن المادية هي التي جعلت اليهود يجبنون ويبخلون في مواطن شتى، بل يعتدون في السبت، ويخالفون أوامر الله وأقوى دليل على مادية اليهود هو قيامهم بتحريف التوراة، وتأويلها على غير وجهها.

ولا يوجد في العهد القديم أثارة من روحية معتدلة يمكن أن تستخلص من خلال أسفاره.

❁❁❁

(١) سورة آل عمران الآية (٧٥).

المبحث السادس

دراسة مدى تحقق خصيصة الواقعية في العهد القديم

المطلب الأول: مدى واقعية العقيدة في العهد القديم

إن المتدبر في نصوص العهد القديم التي تتعلق بعقيدتهم في الإله، والملائكة، واليوم الآخر، يرى أنها تتنافى مع عقل الإنسان ومنطقه، وقبل إثبات ذلك تجدر الإشارة إلى أن العهد القديم باعتباره مصدرا للعقيدة اليهودية ليس محل اتفاق بين المذاهب المختلفة، فللتوراة مفهوم عند طائفة السامريين، يختلف عن مفهومها عند الكاثوليك، يختلف عن مفهومها عند البروتستانت، وكل طائفة تتهم الطائفة الأخرى بالتزوير، والقدر المتفق عليه بين الطوائف الثلاثة ليس إلا سبعة أسفار وهي أسفار موسى الخمسة ثم سفري يوشع والقضاة؛ وماعدا هذه الأسفار فقد اختلف حوله السامريون والكاثوليك والبروتستانت.

أرأيت إلى حجم الخلاف حول المصدر الذي يستمدون منه عقيدتهم وشريعتهم، إن أي عاقل لا يمكنه أن يمضى على هذا الخلاف بسهولة، فأي المذاهب أدق، وأيها أصح؟.

لاريب أن الموافقة على هذا الخلاف ضرب من المحال، لأنه يصطدم مع عقل الإنسان، وواقعه الذي يميل إلى الاتفاق، خاصة وأن ميدان العقيدة اليهودية فيه من الاختلاف والتضارب، ما يمنع الإنسان عن قبوله، والأدلة على ذلك كثيرة، فقد جاء في سفر أخبار الأيام الأول (أن أولاد بنيامين ثلاثة)[١] وجاء بعده مباشرة: (أنهم خمسة)[٢] فما هو الموقف

(١) سفر أخبار الأيام الأول ٧ (٦-٧).

(٢) سفر أخبار الأيام الأول ٨ (١-٥).

العقلي من هذه الاختلافات هل يقبلها ويغض الطرف عنها أم ماذا؟ لاريب أن قبولها من أبعد المستحيلات.

بالإضافة إلى ذلك ترى العهد القديم يجعل الولد أكبر من أبيه بسنتين جاء في سفر أخبار الأيام الثاني في الحديث عن يهورام: (وَبَعْدَ هذَا كُلِّهِ ضَرَبَهُ الرَّبُّ فِي أَمْعَائِهِ بِمَرَضٍ لَيْسَ لَهُ شِفَاءٌ. وَكَانَ مِنْ يَوْمٍ إِلَى يَوْمٍ وَحَسَبَ ذِهَابِ الْمُدَّةِ عِنْدَ نِهَايَةِ سَنَتَيْنِ، أَنَّ أَمْعَاءَهُ خَرَجَتْ بِسَبَبِ مَرَضِهِ، فَمَاتَ بِأَمْرَاضٍ رَدِيَّةٍ، وَلَمْ يَعْمَلْ لَهُ شَعْبُهُ حَرِيقَةً كَحَرِيقَةِ آبَائِهِ. كَانَ ابْنَ اثْنَتَيْنِ وَثَلاَثِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ، وَمَلَكَ ثَمَانِيَ سِنِينَ فِي أُورُشَلِيمَ، وَذَهَبَ غَيْرَ مَأْسُوفٍ عَلَيْهِ، وَدَفَنُوهُ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ، وَلكِنْ لَيْسَ فِي قُبُورِ الْمُلُوكِ)[1].

ثم جاء في شأن أخذيا بن يهورام: (وَمَلَّكَ سُكَّانُ أُورُشَلِيمَ أَخَزْيَا ابْنَهُ الأَصْغَرَ عِوَضًا عَنْهُ، لأَنَّ جَمِيعَ الأَوَّلِينَ قَتَلَهُمُ الْغُزَاةُ الَّذِينَ جَاءُوا مَعَ الْعَرَبِ إِلَى الْمَحَلَّةِ. فَمَلَكَ أَخَزْيَا بْنُ يَهُورَامَ مَلِكِ يَهُوذَا. كَانَ أَخَزْيَا ابْنَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ، وَمَلَكَ سَنَةً وَاحِدَةً فِي أُورُشَلِيمَ)[2].

هذان نصان من سفر أخبار الأيام الثاني أحدهما يوضح أن يهورام يوم ملك كان عمره اثنين وثلاثين عاما، وأنه ملك ثمانية أعوام ثم مات عن أربعين عاما، هذا مضمون النص الأول، أما الثاني فيصرح بأن أخذيا بن يهورام ملك بعد وفاة أبيه مباشرة، وكان عمره اثنين وأربعين عاما، أي أنه أكبر من والده بسنتين، أليس في هذا تناقض يستحيل قبوله في عقل أو منطق؟.

(١) سفر أخبار الأيام الثاني ٢١ (١٨-٢٠).
(٢) سفر أخبار الأيام الثاني ٢٢ (١-٢).

إن علماء العهد القديم عندما وجدوا هذا النص أحسوا بخطورته وراحوا يبحثون في أسفار العهد القديم فعثروا على نص آخر في الإصحاح الثامن من سفر الملوك الثاني وهذا نصه: (وَكَانَ أَخَزْيَا ابْنَ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ، وَمَلَكَ سَنَةً وَاحِدَةً فِي أُورُشَلِيمَ)[١] وهذا النص يدل على أن هذا الكتاب الذي يعتقدون به يستحيل أن يقبله إنسان، لما يحتويه من شوائب، وما يعج به من مفاسد، تتناقض مع المنطق والعقل.

أما عقيدتهم في الإله فليست عقيدة واقعية لأن هذا الإله يستحق اللعن والخصام وإعلان الحرب عليه، وما ذاك إلا لأن العهد القديم يصف هذا الإله بأنه عدو الأمم من غير اليهود فهو يأمر بتحريقهم وهدم مذابحهم، وتكسير أنصابهم، والتمثيل بهم.

كما أنه لا يستحق العبادة من غير اليهود لأنه إله عنصري، فقد ورد في سفر التثنية: (لأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، لَيْسَ مِنْ كَوْنِكُمْ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ، الْتَصَقَ الرَّبُّ بِكُمْ... بَلْ مِنْ مَحَبَّةِ الرَّبِّ إِيَّاكُمْ، وَحِفْظِهِ الْقَسَمَ الَّذِي أَقْسَمَ لآبَائِكُمْ)[٢].

وجاء أيضا في سفر اللاويين: (أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمُ الَّذِي مَيَّزَكُمْ مِنَ الشُّعُوبِ.... وَتَكُونُونَ لِي قِدِّيسِينَ لأَنِّي قُدُّوسٌ أَنَا الرَّبُّ، وَقَدْ مَيَّزْتُكُمْ مِنَ الشُّعُوبِ لِتَكُونُوا لِي)[٣] فهذه النصوص تصور الإله على أنه خاص ببني إسرائيل وحدهم فهو إله قبلي لا يتعدى بنى إسرائيل إلى غيرهم فهو إله مختار، لشعب مختار، فكيف يطالب غير اليهود بالتعبد له، وهذه العنصرية تصطدم مع الواقع والحقائق العلمية والتاريخية.

---

(١) سفر الملوك الثاني ٨ (٢٦).

(٢) سفر التثنية ٧ (٦-٨).

(٣) سفر اللاويين ٢٠ (٢٤-٢٦).

يقول د/ سعد الدين السيد صالح: (إن هذه الفكرة العنصرية، فكرة المحافظة على الجنس اليهودي على مر السنين فكرة خيالية (ليست واقعية) مستحيلة التحقيق، وإلا فأين هذا الجنس النقي المميز الذي تسلل من إبراهيم إلى يهود اليوم، هل احتفظوا بنقاوتهم وامتيازهم المزعوم أم اختلطوا بسائر الأجناس وزوجوهم وتزوجوا منهم ؟ هذا ما أثبته علم الأنثروبولوجيا)[١].

فقد تبين من هذا أن موقف اليهود من العنصرية ليس موقفا علميا، وإنما هو موقف ادعائي يقوم على انتهاز الفرص، وكيف لا والحقائق التاريخية تؤكد: (أن أجناسا أخرى قد دخلت في اليهودية وخاصة سلالات الخرز والفلاشا)[٢].

بالإضافة إلى أن لهذا الإله أوصاف في التوراة لا تجعله جديرا بالعبادة، فقد وصفوه بصفات بشرية، فهو يجهل ويخاف ويندم، بل يؤمر وينهى، كما أنه ينام ويتعب فيستريح، وغير ذلك من أوصاف لا تليق بالإله[٣]، وكل تلك الأوصاف مستقى من نصوص التوراة، فكيف يجوز في عقل العاقل أن يعبد النظير والمساوى ؟.... إن الواقع يأبى ذلك ويرفضه.

وأما عقيدتهم في الملائكة فهي عقيدة غير واقعية لأن أسفار العهد القديم تصف جبريل عليه السلام بأنه قام بصورة شيطان يصنع الغواية للأنبياء بطلب وتحريض من الرب، جاء في سفر الملوك الأول: (قَدْ رَأَيْتُ الرَّبَّ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّهِ، وَكُلُّ جُنْدِ السَّمَاءِ وُقُوفٌ لَدَيْهِ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ. فَقَالَ الرَّبُّ: مَنْ يُغْوِي أَخْآبَ فَيَصْعَدَ وَيَسْقُطَ فِي رَامُوتَ جِلْعَادَ؟ فَقَالَ هذَا هكَذَا، وَقَالَ ذَاكَ هكَذَا. ثُمَّ خَرَجَ الرُّوحُ- يعنى جبريل- وَوَقَفَ أَمَامَ الرَّبِّ

(١) العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية د/ سعد الدين السيد صالح صـ٢٩٤.
(٢) انظر اليهود أنثروبولوجيا د/ جمال حمدان صـ٧٤. ط/ الكتاب العربي بالقاهرة.
(٣) انظر المبحث الثاني.

وَقَالَ: أَنَا أُغْوِيهِ. وَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: بِمَاذَا؟ فَقَالَ: أَخْرُجُ وَأَكُونُ رُوحَ كَذِبٍ فِي أَفْوَاهِ جَمِيعِ أَنْبِيَائِهِ. فَقَالَ: إِنَّكَ تُغْوِيهِ وَتَقْتَدِرُ، فَاخْرُجْ وَافْعَلْ هكَذَا)[1]. فهذا تشجيع من الرب لجبريل أن يكون روح كذب في أفواه جميع أنبياء آخاب، فهل هذا كلام يصدقه عقل ويقبله واقع؟ هل هذه عقيدة واقعية تتوافق مع عصمة الملائكة والذات الإلهية؟

أما عقيدة اليهود في اليوم الآخر فلم يرد ذكر البعث عندهم، وما ورد من نصوص تشير إليه فإنما تدل على أن الآباء هم الذين كتبوها وأشاروا إليها، وغياب عقيدة البعث في مصادر اليهود أمر له خطره عليهم، حيث يدفعهم ذلك إلى الحرص على الدنيا، والإغراق في متعها وشهواتها، ظانين أن هذه الدنيا هي محل النعيم والعذاب، ومن ثم تراهم يحرصون على أن يرتعوا من شهوات الحلال والحرام دون وجل أو خوف من بعث بعد الموت، والإنسان الذي تغيب عقيدة البعث عن عقله وقلبه لا يمنعه عن الحرام شيء.

والمتأمل في واقع اليهود يرى ما يصدق ذلك، فالدنيا بمالها وشهواتها ومغرياتها هي أملهم وحياتهم، وهذه العقيدة ليست في صالح الإنسان ولا المجتمع بل هي إفساد لواقع الفرد والجماعة.

مما سبق يتبين أن العقيدة اليهودية تتنافى مع الواقعية تنافيا واضحا، حيث تصطدم مع العقل السليم، والمنطق الصحيح، بل وبدهيات الأمور، ولا يرضى بها الصبية الصغار في مراحل التعليم الأولى، إذ كيف يكون الابن أكبر من أبيه؟ والفرع أسبق من أصله؟ كما أنها تتنافى مع حاجة الإنسان إلى ما يرهبه، إذ أنها تخلو من الحديث عن اليوم الآخر وما فيه من أهوال وقوارع خلوا واضحا بالإضافة إلى اضطرابها في الحديث عن الملائكة اضطرابا ملحوظا، لكل هذا وغيره يمكن الجزم بأن العقيدة اليهودية ليست عقيدة واقعية. ❁❁❁

---

(١) سفر الملوك الأول ٢٢(١٩-٢٢).

المطلب الثاني: مدى واقعية التشريع في العهد القديم

بين يدي الحكم على التشريع في العهد القديم، ومدى واقعيته وملاءمته لواقع الإنسان والحياة، أقدم بعض التشريعات الواردة فيه كنماذج لما يضمه من أحكام وتشريعات تدل على العنت والمشقة والقسوة، وعدم تعقل المعنى منها:

(أ) نماذج من صور القسوة والمشقة في تشريعات العهد القديم:

١- جاء في سفر الخروج: (مَنْ ضَرَبَ إِنْسَانًا فَمَاتَ يُقْتَلُ قَتْلا. وَلكِنَّ الَّذِي لَمْ يَتَعَمَّدْ، بَلْ أَوْقَعَ اللهُ فِي يَدِهِ، فَأَنَا أَجْعَلُ لَكَ مَكَانًا يَهْرُبُ إِلَيْهِ. وَإِذَا بَغَى إِنْسَانٌ عَلَى صَاحِبِهِ لِيَقْتُلَهُ بِغَدْرٍ فَمِنْ عِنْدِ مَذْبَحِي تَأْخُذُهُ لِلْمَوْتِ. وَمَنْ ضَرَبَ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ يُقْتَلُ قَتْلا. وَمَنْ سَرَقَ إِنْسَانًا وَبَاعَهُ، أَوْ وُجِدَ فِي يَدِهِ، يُقْتَلُ قَتْلا. وَمَنْ شَتَمَ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ يُقْتَلُ قَتْلا)[1].

ففي النص السابق نرى عدم المساواة بين العقوبة والجريمة، بل نرى ظلما وإجحافا ببعض المخطئين، فكل من شتم أباه وأمه يقتل.

٢- وجاء في سفر العدد: (مَنْ مَسَّ مَيْتًا مَيْتَةَ إِنْسَانٍ مَا، يَكُونُ نَجِسًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ. يَتَطَهَّرُ بِهِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ يَكُونُ طَاهِرًا. وَإِنْ لَمْ يَتَطَهَّرْ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ فَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ لاَ يَكُونُ طَاهِرًا. كُلُّ مَنْ مَسَّ مَيْتًا مَيْتَةَ إِنْسَانٍ قَدْ مَاتَ وَلَمْ يَتَطَهَّرْ، يُنَجِّسُ مَسْكَنَ الرَّبِّ. فَتُقْطَعُ تِلْكَ النَّفْسُ مِنْ إِسْرَائِيلَ. لأَنَّ مَاءَ النَّجَاسَةِ لَمْ يُرَشَّ عَلَيْهَا تَكُونُ نَجِسَةً. نَجَاسَتُهَا لَمْ تَزَلْ فِيهَا. «هذِهِ هِيَ الشَّرِيعَةُ: إِذَا مَاتَ إِنْسَانٌ فِي خَيْمَةٍ، فَكُلُّ مَنْ دَخَلَ الْخَيْمَةَ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ فِي الْخَيْمَةِ يَكُونُ نَجِسًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ. وَكُلُّ إِنَاءٍ مَفْتُوحٍ لَيْسَ عَلَيْهِ سِدَادٌ بِعِصَابَةٍ

(١) سفر الخروج ٢١ (١٢-١٧).

فَإِنَّهُ نَجِسٌ. وَكُلُّ مَنْ مَسَّ عَلَى وَجْهِ الصَّحْرَاءِ قَتِيلا بِالسَّيْفِ أَوْ مَيْتًا أَوْ عَظْمَ إِنْسَانٍ أَوْ قَبْرًا، يَكُونُ نَجِسًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ)[١].

وفي سفر اللاويين أيضا عن تحريم بعض الطيور: (وَكُلُّ مَتَاعِ خَزَفٍ وَقَعَ فِيهِ مِنْهَا، فَكُلُّ مَا فِيهِ يَتَنَجَّسُ، وَأَمَّا هُوَ فَتَكْسِرُونَهُ)[٢]. وفي نهاية الإصحاح كيفية الطهارة من هذه النجاسات الشاقة جدا.

وجاء في سفر اللاويين: (كُلُّ إِنْسَانٍ يَأْكُلُ مَيْتَةً أَوْ فَرِيسَةً، وَطَنِيًّا كَانَ أَوْ غَرِيبًا، يَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَسْتَحِمُّ بِمَاءٍ، وَيَبْقَى نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ)[٣]. وفي سفر اللاويين أيضا: (أَوْ إِذَا مَسَّ أَحَدٌ شَيْئًا نَجِسًا: جُثَّةَ وَحْشٍ نَجِسٍ، أَوْ جُثَّةَ بَهِيمَةٍ نَجِسَةٍ، أَوْ جُثَّةَ دَبِيبٍ نَجِسٍ، وَأُخْفِيَ عَنْهُ، فَهُوَ نَجِسٌ وَمُذْنِبٌ)[٤].

فهذه أحكام غير معقولة المعنى، فما علاقة مس الميت بطهارة الإنسان ونجاسته؟ وما السر في تخصيص اليوم الثالث؟ ولم لا يكون في اليوم الأول؟ ثم ما هي حالته في اليوم الثاني إن كان طاهرا؟ فالأمر واضح، وإن كان غير طاهر فلماذا لا نأمره بالطهارة؟ ولماذا يبقى على نجاسته في اليوم الثالث؟ ثم من الذي طهره في اليوم السابع وهو لم يتطهر في اليوم الثالث؟ والنص يقول وإن لم يتطهر في اليوم الثالث ففي اليوم السابع لا يكون طاهرا، ثم ما هي علاقة من دخل الخيمة بمن مات فيها حتى يتنجس بدخوله؟ وما السر في كون الإناء المفتوح يتنجس؟ إن هذا حكم مشدد يصعب تطبيقه، وأصعب منه أن من

(١) سفر العدد ١٩ (١١-١٦).
(٢) سفر اللاويين ١١(٣٣).
(٣) سفر اللاويين ١٧(١٥).
(٤) سفر اللاويين ٥(٢)، والدبيب كل ما يدب على الأرض، انظر معجم الألفاظ العسرة للكتاب المقدس، صـ٣٦.

مس وجه الصحراء قتيلا بسيف أو ميتا أو عظم إنسان أو قبرا يكون نجسا، ثم ما هو السر في كون مدة النجاسة سبعة أيام؟ بالإضافة إلى أن أحكام كيفية الطهارة بالغة الصعوبة.

٣- وجاء في سفر التثنية: (كُلُّ بِكْرٍ ذَكَرٍ يُولَدُ مِنْ بَقَرِكَ وَمِنْ غَنَمِكَ تُقَدِّسُهُ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. لاَ تَشْتَغِلْ عَلَى بِكْرِ بَقَرِكَ وَلاَ تَجُزَّ بِكْرَ غَنَمِكَ)[١].

ففي هذا النص نهى غير معقول عن الاشتغال على البكر من البقر، وعن جز البكر من الغنم، مع أن الله ﷻ خلق البقر للحرث، وخلق الغنم للصوف واللبن، فإذا لم تقم برسالتها وما سخرت له فما هو دورها في الحياة وما الذي يستفاد منها؟.

٤-وفي سفر العدد أيضا: (وَلاَ تَأْخُذُوا فِدْيَةً عَنْ نَفْسِ الْقَاتِلِ الْمُذْنِبِ لِلْمَوْتِ، بَلْ إِنَّهُ يُقْتَلُ)[٢].

ففي هذا النص السابق نرى رفضا لأخذ الفدية والدية عن القاتل، حتى ولو رضي أولياء الدم، وفيه تشديد على إيجاب القصاص والقتل، فهذا الحجر فيه تضييق ومنافاة لرغبة الإنسان في بعض الحالات.

٥- جاء في سفر الخروج: (سَبْعَةَ أَيَّامٍ تَأْكُلُونَ فَطِيرًا. الْيَوْمَ الأَوَّلَ تَعْزِلُونَ الْخَمِيرَ مِنْ بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ كُلَّ مَنْ أَكَلَ خَمِيرًا مِنَ الْيَوْمِ الأَوَّلِ إِلَى الْيَوْمِ السَّابِعِ تُقْطَعُ تِلْكَ النَّفْسُ مِنْ إِسْرَائِيلَ)[٣].

ما هو السر في تحديد اليوم السابع؟ وهل يستفاد من ذلك حل الخمر بعد اليوم السابع؟

(١) سفر التثنية ١٥(١٩).
(٢) سفر العدد ٣٥(٣١).
(٣) سفر الخروج ١٢ (١٥).

٦- وجاء فيه أيضا: (وَإِنْ أَسْقَطَ سِنَّ عَبْدِهِ أَوْ سِنَّ أَمَتِهِ يُطْلِقُهُ حُرًّا عِوَضًا عَنْ سِنِّهِ. «وَإِذَا نَطَحَ ثَوْرٌ رَجُلا أَوِ امْرَأَةً فَمَاتَ، يُرْجَمُ الثَّوْرُ وَلاَ يُؤْكَلُ لَحْمُهُ. وَأَمَّا صَاحِبُ الثَّوْرِ فَيَكُونُ بَرِيئًا. وَلكِنْ إِنْ كَانَ ثَوْرًا نَطَّاحًا مِنْ قَبْلُ، وَقَدْ أُشْهِدَ عَلَى صَاحِبِهِ وَلَمْ يَضْبِطْهُ، فَقَتَلَ رَجُلا أَوِ امْرَأَةً، فَالثَّوْرُ يُرْجَمُ وَصَاحِبُهُ أَيْضًا يُقْتَلُ)[1].

فهذه أحكام غير واقعية والقصاص فيها عن أمور لم يرتكبها الإنسان، فما ذنب صاحب الثور النطاح حتى يقتل بسبب أمر لم يفعله، وإنما فعله حيوان أعجم؟ ثم ما هو سر في حرق لحم الثور الذي نطح رجلا أو امرأة فمات؟ ولم كان جزاؤه الرجم ولا عقل له ولا تكليف؟ أليس ذلك إهدارا للمال وتكليفا لغير العاقل ومحاسبة له؟.

٧- وجاء فيه أيضا: (وَسِتَّ سِنِينَ تَزْرَعُ أَرْضَكَ وَتَجْمَعُ غَلَّتَهَا، وَأَمَّا فِي السَّابِعَةِ فَتُرِيحُهَا وَتَتْرُكُهَا لِيَأْكُلَ فُقَرَاءُ شَعْبِكَ. وَفَضْلَتُهُمْ تَأْكُلُهَا وُحُوشُ الْبَرِّيَّةِ. كَذلِكَ تَفْعَلُ بِكَرْمِكَ وَزَيْتُونِكَ. سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ عَمَلَكَ. وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَفِيهِ تَسْتَرِيحُ، لِكَيْ يَسْتَرِيحَ ثَوْرُكَ وَحِمَارُكَ، وَيَتَنَفَّسَ ابْنُ أَمَتِكَ وَالْغَرِيبُ)[2].

ففي النص السابق أمر بإهمال زراعة الأرض على رأس كل سبع سنوات، وتركها بلا زرع لتستريح ويأكل من فضلاتها الوحوش، وكذلك ليستريح الثور والأجراء، وهذا حكم غير واقعي فإن الأرض لا تمل، ولا تئن من الزرع ولا تبخل بعطاء، بل إن في تركها ميتة فسادا وكسلا عن عمارتها، ثم ما هو الداعي لراحة الثور والحمار عاما واحدا كل ستة أعوام؟ ولم لا تكون فترة بعد فترة له وللأرقاء والمغتربين؟ فكل هذه الأحكام غير معقولة المعنى..

---

(١) سفر الخروج ٢١(٢٧-٢٩).

(٢) سفر الخروج ٢٣(١٠-١٢).

٨- وجاء في سفر اللاويين: (وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلا: «كَلِّمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلا: إِذَا أَخْطَأَتْ نَفْسٌ سَهْوًا فِي شَيْءٍ مِنْ جَمِيعِ مَنَاهِي الرَّبِّ الَّتِي لاَ يَنْبَغِي عَمَلُهَا، وَعَمِلَتْ وَاحِدَةً مِنْهَا: إِنْ كَانَ الْكَاهِنُ الْمَمْسُوحُ يُخْطِئُ لإِثْمِ الشَّعْبِ، يُقَرِّبُ عَنْ خَطِيَّتِهِ الَّتِي أَخْطَأَ ثَوْرًا ابْنَ بَقَرٍ صَحِيحًا لِلرَّبِّ، ذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ)[1].

ما هو ذنب من يسهى ويقع في منهي عنه حتى يكون عليه تلك الفدية التي ربما لا ينهض لها ولا يستطيع دفعها؟.

٩- وفي سفر اللاويين أيضا عن أحكام الحائض: (وَإِذَا كَانَتِ امْرَأَةٌ لَهَا سَيْلٌ، وَكَانَ سَيْلُهَا دَمًا فِي لَحْمِهَا، فَسَبْعَةَ أَيَّامٍ تَكُونُ فِي طَمْثِهَا. وَكُلُّ مَنْ مَسَّهَا يَكُونُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ. وَكُلُّ مَا تَضْطَجِعُ عَلَيْهِ فِي طَمْثِهَا يَكُونُ نَجِسًا، وَكُلُّ مَا تَجْلِسُ عَلَيْهِ يَكُونُ نَجِسًا. وَكُلُّ مَنْ مَسَّ فِرَاشَهَا يَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَسْتَحِمُّ بِمَاءٍ، وَيَكُونُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ)[2].

ما هو ذنب الحائض حتى يحكم عليها بهذه الأحكام القاسية التي يتحرج الإنسان عن ذكرها؟ وكيف تحيا وتعيش الحائض وهي نجسة وقد تطول المدة عليها؟ ولماذا تنتقل النجاسة منها إلى الأشياء التي تجاورها؟ بل لماذا يتنجس من يلمس فراشها ويؤمر أن يغسل ثيابه؟ وما علة تحديد النجاسة إلى المساء حتى وإن تطهر قبل ذلك؟.

١٠- وجاء في سفر اللاويين: (وَمَتَى دَخَلْتُمُ الأَرْضَ وَغَرَسْتُمْ كُلَّ شَجَرَةٍ لِلطَّعَامِ، تَحْسِبُونَ ثَمَرَهَا غُرْلَتَهَا. ثَلاَثَ سِنِينَ تَكُونُ لَكُمْ غَلْفَاءَ. لاَ يُؤْكَلْ مِنْهَا. وَفِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ يَكُونُ كُلُّ ثَمَرِهَا قُدْسًا لِتَمْجِيدِ الرَّبِّ. وَفِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ تَأْكُلُونَ ثَمَرَهَا، لِتَزِيدَ لَكُمْ غَلَّتَهَا.

(١) سفر اللاويين ٤(١-٣).

(٢) سفر اللاويين ١٥(١٩-٢١).

أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ. «لاَ تَأْكُلُوا بِالدَّمِ. لاَ تَتَفَاءَلُوا وَلاَ تَعِيفُوا. لاَ تُقَصِّرُوا رُؤُوسَكُمْ مُسْتَدِيرًا، وَلاَ تُفْسِدْ عَارِضَيْكَ)[1].

في هذا النص السابق أحكام لا مفهوم لها، فلم تترك الشجرة ثلاث سنين لا يؤكل منها؟ وما السر في تخصيص السنة الرابعة لتقديمها للرب وجعل الخامسة لبنى إسرائيل؟ إن كل هذه أمثلة لا يتعقل الإنسان إجابة واقعية لها.

وعلى الجملة فالشريعة اليهودية كما تستقى من العهد القديم ليست واقعية، وذلك

لاحتوائها على أحكام غير معقولة ولا مفهومة، كما أن فيها أحكاما قاسية على أمور بسيطة لم يرتكبها الإنسان، وإنما وقع فيها حيوان أعجم يملكه ذلك الإنسان، فيكون الجزاء عليهما معا، وفي ذلك إهدار للأرواح والموال في آن واحد، بالإضافة إلى أنها تطلب من الذين يمتلكون بعض الحيوانات أن يعطلوها عن العمل فترة طويلة دون مبرر سائغ، ولا يطلبون مثل هذا من الأرقاء الآدميين مراعاة لإنسانيتهم.

(ب) الاعتراف والتطهير:

وقد ورد في سفر العدد صورة كاملة للتكفير عن المرأة إذا أخطأت، حيث تذهب المرأة المخطئة إلى الكاهن، ويخلو بها الكاهن للاعتراف والتطهير، وتخرج المرأة بعد الخلوة بها مغفورا لها، وذكر السفر أن الكاهن يوقفها أمام الرب ويأخذ ماءً مقدسا في إناء خذف ويتلو عليه ترانيم وأدعية، ويطلب الكاهن من المرأة الاعتراف، فإن رفضت سقاها من هذا الماء الذي يسمى ماء اللعنة عندهم، وهددها بأن هذا الماء إذا دخل أمعاءها وهي مذنبة

(١) سفر اللاويين ١٩(٢٣-٢٧).

اعتراها ورم في بطنها وسقط فخذها، وإذا اعترفت استطاع الكاهن أن يطهرها بالقرابين والأدعية[١].

فهؤلاء هم الكهان يدعون مغفرة الذنوب، ومحو السيئات، ويخلون بالنساء، وكأن الأمر بأيديهم أليست هذه خرافات؟ فمن ذا الذي يستطيع أن يغفر لمذنب؟ ومن ذا الذي يغفر للكهان -أنفسهم- إذا وقعوا في معصية؟ إن هذه الطريقة في مغفرة الذنوب لا يقبلها عقل، فغفران الذنوب وتكفير السيئات بيد المولى ﷻ.

(جـ) مدى واقعية العهد القديم في تشريعه لأحكام تعدد الزوجات:

إن من يتأمل الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم يجد أنها خالية من نص يحرم تعدد الزوجات، فلم يرد بالتوراة نهى عنه، ولا وضع ضوابط له، فلم يحددوا عددا معينا، وإنما

لليهودي أن يبلغ منهن ما شاء.

وعدم وضع الضوابط للتعدد لا يراعى وضع الإنسان ولا ظروف المجتمع، بل يوجد في أسفار العهد القديم ما يدل على أن الأنبياء عددوا من الزوجات بغير حصر ولا حد، فقد بلغت زوجات سليمان عليه السلام سبعمائة من النساء وثلاثمائة من السراري في زعمهم، بيد أن هنالك نصا يفهم منه بعض اليهود حرمة التعدد، لكن جمهور اليهود يفهم على أنه لا يفيد ذلك، وقد ورد هذا النص في سفر اللاويين: (ولاَ تَأْخُذِ امْرَأَةً عَلَى أُخْتِهَا لِلضِّرِّ- لِتَكْشِفَ عَوْرَتَهَا مَعَهَا فِي حَيَاتِهَا)[٢].

---

(١) انظر سفر العدد ٥ (١١-٣١).

(٢) سفر اللاويين ١٨(١٨).

فقد رأى البعض أن هذا النص المقصود من الأخت فيه الأخت في الإنسانية والدين وبالتالي لا يجوز الجمع بين امرأتين، ويحرم التعدد، بينما يرى أكثر اليهود أن المقصود بالأخت هنا هي الأخت الشقيقة أو لأب أو الأم، فليس في النص تحريم للتعدد مطلقا بل يحرم فقط الجمع بين الأختين في عصمة رجل واحد)[1].

وبناءً على ما سبق فالعهد القديم يبيح تعدد الزوجات بشرط واحد هو، عدم جواز الجمع بين الأختين في عصمة رجل واحد، بيد أنه لم يضع شروطا ولا ضوابط لمن يعدد الزوجات، فلم يشترط العدل بين الزوجات، كما لم يقيد الجمع بعدد معين، بل أباحه بإطلاق، وإغفاله لهذين القيدين يجعله تشريعا لا يتلاءم مع واقع الإنسان وطبيعة الحياة، إذ كيف يجمع الإنسان بين زوجات لا حصر لهن دون أن يكون قادرا على إعطاء كل زوجة حقها في المبيت والنفقة، إنه لا ريب سيقع في الغبن والظلم والحيف على واحدة منهن أو أكثر، ولن يكون ظلما في ميله القلبي بل سيكون في المبيت والنفقة.

(د) مدى واقعية العهد القديم في تشريعه لأحكام الطلاق:

وأما عن الطلاق في تشريعات العهد القديم، فقد جاءت عدة نصوص تبيح للرجل أن يطلق زوجته، ونصوص أخرى تنفر منه، وتعده ظلما وجورا، وتطلب من الرجل أن يفي لزوجته ويرتبط بها، وأن لا يتركها وينظر إلى الأجنبيات لأن عاقبة ذلك وخيمة، جاء في سفر الأمثال: (لأَنَّ شَفَتَيِ الْمَرْأَةِ الأَجْنَبِيَّةِ تَقْطُرَانِ عَسَلاً، وَحَنَكُهَا أَنْعَمُ مِنَ الزَّيْتِ، لكِنَّ

(١) انظر تعدد الزوجات من النواحي الدينية والاجتماعية والقانون د/ عبد الناصر توفيق العطار صـ٨٧ بتصرف. ط/ مجمع البحوث الإسلامية ط/ الرابعة سنة ١٩٧٢م.

عَاقِبَتَهَا مُرَّةٌ كَالأَفْسَنْتِينِ، حَادَّةٌ كَسَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ. قَدَمَاهَا تَنْحَدِرَانِ إِلَى الْمَوْتِ. خَطَوَاتُهَا تَتَمَسَّكُ بِالْهَاوِيَةِ. لِئَلاَّ تَتَأَمَّلَ طَرِيقَ الْحَيَاةِ، تَمَايَلَتْ خَطَوَاتُهَا وَلاَ تَشْعُرُ)[١].

كما جعل العهد القديم الطلاق بيد الرجل جاء في سفر التثنية: (إِذَا أَخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً وَتَزَوَّجَ بِهَا، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْهِ لأَنَّهُ وَجَدَ فِيهَا عَيْبَ شَيْءٍ، وَكَتَبَ لَهَا كِتَابَ طَلاَق وَدَفَعَهُ إِلَى يَدِهَا وَأَطْلَقَهَا مِنْ بَيْتِهِ، وَمَتَى خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهِ ذَهَبَتْ وَصَارَتْ لِرَجُل آخَرَ، فَإِنْ أَبْغَضَهَا الرَّجُلُ الأَخِيرُ وَكَتَبَ لَهَا كِتَابَ طَلاَق وَدَفَعَهُ إِلَى يَدِهَا وَأَطْلَقَهَا مِنْ بَيْتِهِ، أَوْ إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ الأَخِيرُ الَّذِي اتَّخَذَهَا لَهُ زَوْجَةً، لاَ يَقْدِرُ زَوْجُهَا الأَوَّلُ الَّذِي طَلَّقَهَا أَنْ يَعُودَ يَأْخُذُهَا لِتَصِيرَ لَهُ زَوْجَةً بَعْدَ أَنْ تَنَجَّسَتْ. لأَنَّ ذلِكَ رِجْسٌ لَدَى الرَّبِّ)[٢].

وليس للمرأة أن تطلب الطلاق في اليهودية فهي أحط من الرقيق وأقل منه منزلة يقول د/ ثروت أنيس الأسيوطي: (كان رعاة الأغنام يشترون المرأة بالمهر، فكان لا يتصور أن تفر من وجه الرجل بعد ما دفع الثمن، فهو سيدها وبعلها وهي جزء من البيت مثل الرقيق والماشية، بل إن العبد إذا أبق امتنع رده إلى سيده، أما المرأة فرهن مشيئة ذلك السيد لا تستطيع

الخلاص منه أبدا، كما هو الحال عند رعاة الأبقار قبيلة الماساي)[٣].

ويفهم من هذا أن الزواج لا تستطيع المرأة أن تنفك منه إلا إذا طلقها الرجل، شأن العبد لا يستطيع الحرية إلا إذا أطلقه السيد، وفي هذا ظلم وإجحاف وامتهان للمرأة، فماذا تفعل من ابتليت بزوج غير قادر على إعطائها حقوقها الجسدية؟ وماذا تفعل من ابتليت

(١) سفر الأمثال ٥ (٣-٦).

(٢) سفر التثنية ٢٤ (١-٤).

(٣) انظر نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين في الجماعات البدائية، د/ثروت أنيس الأسيوطي صـ٢٥٨.

بزوج يظلمها ويمتهن كرامتها؟ لقد صار الزواج بالنسبة لها سجنا مغلقا، وكهفا مظلما وقيدا ثقيلا، وهذا كله يتنافى مع واقع الحياة والأحياء.

في هذا النص منع للمرأة التي طلقت من رجل وتزوجها آخر ثم مات عنها أو طلقها منع لها أن تعود إلى زوجها الأول لأنها صارت نجسة، ولا أدرى من أين أصيبت بالنجاسة ولا دخل لها في أمرها من طلاق الزوج الأول لها، أو موت الزوج الثاني أو طلاقه لها؟ ثم ما الذي تصنعه في نفسها بعد ذلك؟ وكيف تواجه الحياة؟ وكيف تقاوم إلحاح غريزتها وقد أوصدت أمامها أبواب الزواج الحلال؟

(هـ) مدى واقعية العهد القديم في تشريعه لأحكام المواريث:

إن أول من يرث الميت الفروع ثم الأصول ثم الحواشي، ثم من سبق لحيازة التركة قبل غيره، وبناءً على ذلك فأول من يرثه ولده الذكر، وأما البنت فلا ترث، ولها نفقة فقط، والولد يأخذ كل التركة، سواء كان من أبيه أو من سفاح، وعند تعدد الأولاد الذكور فالأكبر له مثل حظ اثنين من بقية إخوته، وإذا لم يكن للميت ولد ذكر فإن ميراث الميت يكون لابن ابنه، وإذا لم يكن له ابن فلابنته وأولادها، كما أنه لا توارث بين الزوجين، فكل ما تملكه الزوجة يؤول بوفاتها ميراثا شرعيا إلى زوجها وحده، ولا يشاركه فيه أقاربها ولا أولادها، سواء كان منه أو

من ولد آخر هذا عند الربانيين بخلاف ما يراه القراؤون[1].

والمتأمل في هذه الأحكام وما إليها يرى أن اليهود اختلفوا كثيرا في توريث بعض الأشخاص وعدم توريثهم، كما يرى تميزا للذكور على الذكور دون مبرر، إذ كيف يمنح

(١) انظر نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام، د/ محمود عبد السمع شعلان صـ٧٠٩ وما بعدها.

الابن الأكبر ضعف إخوته سواء كان الابن الأكبر من نكاح شرعي أو من سفاح، فما هو السر في تمييز هذا الابن على إخوته، وما الحكمة في أن يرث الزوج زوجته دون العكس بها ولماذا يرث الابن غير الشرعي؟ كل هذه أسئلة تبحث عن إجابة مقنعة ترضى العقل، وتتمشى مع الواقع، ولكنها للأسف الشديد لا تجد جوابا صحيحا واقعيا.

ليس هذا فقط بل إن اليهود لا يورثون من خرج عن اليهودية؛ لكنهم يرثون من ماله، كما أنهم لا يورثون أبناء غير اليهوديات، ولا ينسبونهم لآبائهم من اليهود، أما إذا كان الأبناء غير شرعيين وأمهاتهم يهوديات، فإن هؤلاء الأبناء يرثون من آبائهم حتى ولو كان الابن جاء من امرأة هي محرم لأبيه، فهذه التشريعات غير واقعية لأنها تفاضل وتورث وتحجب دون مبرر عقلي أو فطرى.

(و) مدى واقعية العهد القديم في تشريعه للمحارم في الزواج:

فيحرم على الرجل أن يتزوج من امرأة عمه، وكذا من كانت زوجة لأخيه إذا أنجبت منه ولدا، ولا تجعل الشريعة اليهودية الرضاع من أسباب التحريم، وقد نصت الشريعة اليهودية على أن المتوفى إذا لم يكن له ابن فإنه يدخل على امرأته أخوه ويتخذها زوجة له، والبكر الذي تلده ينسب إلى أخيه الميت[1] فهل هذه الأحكام وتلك الشرائع واقعية؟ ولماذا ينسب الولد إلى من ليس أبا له؟ ولماذا يختار الميت على الحي؟ ولماذا يمنع الإنسان من زواج امرأة عمه؟ وما علة التحريم؟ ولماذا كذلك لا يتزوج من زوجة أخيه المتوفى إذا أنجبت ولدا؟ إن كل هذه

الأحكام تتنافى مع الواقع وتصطدم مع العقل لأنها من وضع البشر.

(١) انظر تفاصيل ذلك في التشريع بين اليهودية والنصرانية الإسلام (دراسة مقارنة) د/السعيد إبراهيم طه صـ٢٣٦، رسالة دكتوراه غير منشورة بكلية أصول الدين بالقاهرة سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

(ز) مدى واقعية العهد القديم في تشريعه للعبادات:

لا يوجد تفصيلا ولا توضيحا للعبادات في أسفار العهد القديم، لا لهيئتها ولا لوضعها وكيفيتها وسائر أحكامها، وإنما يكتنفها الغموض، ويصعب عرض صورة واضحة لها، حيث تدور الاختلافات بين المذاهب فيه إلى درجة يصعب معها معرفة كيفية الصلاة، وتحديد مقادير الزكاة، ومعرفة كيفية الصيام، وكذا الحج[1].

ومما تقدم يتبين أن العهد القديم لا يلائم واقع الإنسان ومقتضيات الحياة، وذلك في مجال العبادة حيث وردت الإشارات مجملة عن الصلاة والصيام والزكاة دون بسط وتفصيل وإيضاح وتحليل مما أدى إلى اضطرابهم في كيفيتها واختلافهم في مقاديرها.

كما أن العهد القديم لا يراعى في تشريعه حالة الإنسان وما هو عليه من سرور وأحزان، وأفراح وأتراح، وشدة ورخاء، ففي تشريعه للطلاق يجعله قاصرا على الرجل ولا يعطى للمرأة أي فرصة للخلع من حياة زوجية معقدة، وفي هذا امتهان وظلم لها، وعدم إشباع لرغباتها وعواطفها، فمن ذا التي تستطيع أن ترضى بزوج ظالم غير قادر على إعطائها حقها، إن ذلك كله يتنافى مع واقع الحياة. كما أن تشريع الميراث لدى اليهود لا يتلاءم مع احتياجات كل من الذكر والأنثى، إذ يجعلون التركة كلها للابن الأكبر ويحرمون بقية الأخوة الصغار، كما أنهم يؤثرون الزوج على الزوجة فيرث الأول دون الأخرى، ومن العجيب أنهم يورثون الابن غير الشرعي الذي ثبت مجيئه بطريقة غير مشروعة.

والخلاصة من خلال دراسة خصيصة الواقعية في العهد القديم يتبين ما يلي:-

---

(١) انظر الأركان الأربعة الصلاة الزكاة الصوم الحج في ضوء الكتاب والسنة مقارنة مع الديانات الأخرى/ للشيخ أبو الحسن الندوي صـ٦٣ صـ١٣٦ صـ١٨٩ صـ٢٧٩.

أولا: فيما يتعلق بالعقيدة:

أما العهد القديم فهو يعرض لإله قومي خاص باليهود دون غيرهم من الناس، وهو يعرض أيضا لآلهة شتى عبدهم بنو إسرائيل في أدوار متعاقبة من تاريخهم، ويخلو العهد القديم من بيان علاقة الإله بالكون.

أما في العهد القديم فإن العقيدة بشتى أصولها تصطدم مع العقل وتتنافى مع الفطرة.

ثانيا: فيما يتعلق بالتشريع:

وأما التشريع في العهد القديم فهو تشريع يخلو من الواقعية في العبادات والمعاملات والحدود وما إلى ذلك، لما يحتويه من تشدد وآصار وأغلال يعجز الإنسان عن تطبيقها على نفسه وعلى غيره.

أما العهد القديم فهو وإن شرع الزواج والتعدد إلا أنه لم يضع ضوابط لهذا التعدد بل فتح الباب دون أن يراعى قدرة الإنسان على العدل والنفقة وإعطاء كل ذي حق حقه، كما أنه لم يشر إلى وسائل معالجة المرأة إذا نشزت أم معالجة الزوج أو هما معا.

أما العهد القديم فقد أجاز الطلاق بيد أنه رفض وقوعه في أيام السبت والأعياد ولابد فيه من حضور القاضي لمجلس الطلاق، وأن يقوم الزوج بتسليم مطلقته وثيقة الطلاق.

والعقوبة في العهد القديم لا تتساوى مع الجريمة فقد تكون الجريمة صغيرة تافهة والعقوبة عليها كبيرة مستبشعة، كما أن العقوبة في العهد القديم قد تقع على الحيوان الأعجم الذي يصنع شيئا بل تنزل العقوبة بصاحبه، كما أن مجموع الشرائع في العهد القديم موصوفة بالشدة وخروجها عن وسع الإنسان وطاقته.

بينما العهد القديم لا يورث الزوجة شيئا من تركة زوجها، مع أنهم يجعلون للزوج كل مال الزوجة دون أولادها، كما أن اليهود يجعلون الأبناء يحجبون الآباء دون مراعاة حالة الأب والأم وما قد يكونا عليه من كبر وحاجة وعوز، كما أنه يجعل للولد البكر ضعف نصيب الولد الثاني من إخوته وفي هذا تمييز بين من هم في درجة واحدة دون مسوغ معقول.

❁❁❁

المبحث السابع

دراسة مدى تحقق خصيصة الإنسانية في العهد القديم

مقدمة

لا ريب أن من أول أهداف الدين إسعاد الإنسان والسمو به، وحمايته وتحريره وتكريمه، وتحديد علاقته بغيره سواء كان متفقاً معه في الدين، أو مختلفاً عنه، وعلى قدر وفاء الدين في عقيدته وتشريعاته وتوجيهاته بذلك يكون جديرا بالقبول والإذعان.

وفي هذا الفصل سوف أقدم عدة نماذج تبين مدى تحقق خصيصة الإنسانية في العهدين القديم والجديد والإنسانية في القرآن الكريم.

❁❁❁

المطلب الأول: مدى تحقق الإنسانية في العقيدة اليهودية

لقد رسم العهد القديم الإله في صورة هزلية مضحكة، حيث شبهه بالبشر، وما يعرض لهم من أعراض ونقائص، وآفات وشواغل، فهو إله يدركه الإعياء الشديد الذي يضطره إلى أخذ راحة من مهامه ووظيفته، كما أنه إله قوى غالب، لكنه مفتون بقوته، مسرف في قسوته، ينزل غضبه على المدن الآهلة بالسكان فيدمرها تدميرا، ولا يفرق بين البريء والمذنب بل يأخذ الأبرياء من الأبناء بجرائر الآباء والأجداد، وهو أحيانا ينهزم أمام خصمه، وفي أحيان أخرى يتسرع في حكمه ويعدل في قراره، وربما تخفى عليه ذنوب عباده، فإذا صارحوه بها توعدهم بأشد العقاب[1].

(١) انظر تفاصيل ذلك في المبحث الثاني.

فهل هذا الإله بهذه الأوصاف جدير بالعبادة؟ وهو أقل من صفوة البشر- بل من عوامهم؟

إن هذا التصوير من العهد القديم للإله لا يمكن أن يقبله العقل الإنساني الواعي، إذ كيف يستوي الخالق مع المخلوق؟ ويعجز الخالق أمام قدرة المخلوق وهو من صنعته بل كيف يجهل الصانع ما صنعت يداه؟ تلك أسئلة ليس لها إجابة في العهد القديم.

بالإضافة إلى ذلك فإن الإله عند اليهودية إله قومي خاص بهم لا يتعداهم إلى غيرهم، وإذا كان الإله قوميا فكيف يكون إلها لكل الإنسانية، إن ذلك أمر بعيد عن الصواب.

كما أن موقف العهد القديم من الأنبياء موقف تمجه الآذان، وقد سبق عرض موقفه من أقوال الأنبياء وأعمالهم مما يتنافى مع عصمتهم وكمالاتهم البشرية(١).

والحق أن هذا الموقف بعيد عن الإنسانية تمام البعد، فقد طهر الله ساحة الأنبياء من الرجس، ونزههم عن الخطيئة وعصمهم عن كبائر الذنوب.

والمتمعن في العقيدة اليهودية كما تتراءى في العهد القديم سواء في حديثها عن الإله أو الملائكة أو الأنبياء لا يمكن كإنسان سوى أن يقبلها أو يدين بها، فهي عقيدة شاذة لا يرضى بها إلا الشواذ من البشر الذين لا يحترمون عقولهم، وإنما يطوفون حول ذواتهم ويقدسون جنسهم، ويخترعون إلها حسب أهوائهم يقصرونه عليهم في محاولة للاستعلاء على غيرهم، وحماية قوميتهم من عنصرية بغيضة تتأبى أن تذوب في بقية المجتمعات. ولذلك فالعقيدة اليهودية عقيدة تتنافى مع الإنسانية منافاة واضحة يدرك ذلك تمام الإدراك من يقترب من دراسة شيء منها.

❁❁❁

(١) انظر تفاصيل ذلك في المبحث الأول.

المطلب الثاني: مدى تحقق الإنسانية في تشريعات العهد القديم

يمكن معرفة مدى إنسانية التشريع في العهد القديم **من خلال هذه الأمثلة:**

فنظام الأسرة في تشريعات العهد القديم يشتمل على أمور تصطدم مع إنسانية الإنسان منها:

(١) أن زوجة الأخ المتوفى إذا أنجبت منه يحرم عليها أن تتزوج من أخيه، لكنها إذا لم تنجب منه يصير زواجها منه أمرا مطلوبا، بشرط أن ينتسب بكرها إلى المتوفى حرصا على بقاء ذكره فإذا امتنع أخو الزوج اعتبرته الشريعة ساقط الهمة، عديم المروءة، والملاحظ على هذا الحكم أن الشريعة اليهودية لا تراعى إنسانية الزوجين وقيام الأسرة الذي ينبغي أن يكون على أساس من الرغبة والتراضي، كما أنها تنسب ولدا إلى رجل ميت، وليس من وراء ذلك هدف إلا التكاثر اليهودي، كما أنها في منعها للمرأة المتوفى عنها زوجها والتي أنجبت في منعها إياها من الزواج تصطدم مع إنسانيتها وتقف حائلا دون رغبتها.

وللعاقل أن يتساءل في هذا الحكم، ما معنى شعور الرجل الذي يتزوج مكرها وينسب ولده إلى غيره ممن فارق الحياة؟ وما هو حال المرأة التي ترغب في الزواج وما زالت في ريعان الشباب؟ لكن زوجها مات بعد أن أنجبت طفلا أو طفلين؟

(٢) **كما أن الشريعة اليهودية منعت الطلاق** في حالة ما لو ادعى الزوج أنه لم يجد زوجته عذراء، إذ أبطل ولى المرأة ادعاء الزوج، كما أنها منعت أن تعود المرأة إلى زوجها الأول إذا طلقها الزوج الثاني أو مات عنها بحجة أنها قد تنجست.

وهنا تثور أسئلة، كيف تستقيم الحياة بين الزوجين إذا نجم بينهما خلاف في الأيام الأولى حول موضوع في غاية الخطورة لكون الزوجة عذراء من عدمه؟

ما ذنب المرأة التي تزوجت بعد أن طلقها زوجها الأول؟ ولماذا حرمت اليهودية عليها أن تعود إلى مطلقها؟ ولماذا صارت متنجسة؟ إن هذه الأسئلة ليس في اليهودية إجابة عنها.

(٣) **وأما في جانب الحدود**: فمثلا الشريعة اليهودية لا تفرق بين المحصن وغير المحصن في تقدير الحد، وبذلك لم تراع حال الإنسان المتزوج من غيره، والأخطر من ذلك أن الشريعة اليهودية تفترض الإكراه فيما لو كان أحد الطرفين فتاة مخطوبة ووقعت في جريمة الزنا في مكان بعيد عن العمران، فإن الفتاة حينئذ تعفى من إقامة الحد عليها؛ لمظنة أنها كانت مكرهة وأنها استغاثت فلم يسمعها أحد، وهذا الحكم غريب عجيب، فما هو سر التقيد بالمخطوبة في هذا الحكم؟ ثم ألا يمكن أن تتعرض المتزوجة أو الأرملة أو المطلقة لهذا الإكراه؟ وإذا كان فما الحكم؟ ليس في العهد القديم جواب على هذه الأسئلة.

(٤) **وأما في جانب العبادة**: فإن القرابين اليهودية كثيرة جدا، وتتكرر بتكرار أسبابها الموجبة ومناسباتها الخاصة، وعلى كثرة هذه القرابين فإنها لا تتقدم إلا إلى كهنة الهيكل من اللاويين الذين فرضوا على الناس وصايتهم، ومنحوا أنفسهم حق غفران الخطايا، وبذلك أصبحوا أكثر الناس ثراءً، واستمرؤوا الكسل والخمول، وابتزوا أموال الناس بادعائهم السلطان الإلهي، وكونوا لأنفسهم طبقة دينية يتوارثونها جيلا بعد جيل، وضاعت حقوق الفقراء والمساكين والمحتاجين، وراحت إلى بطون اللاويين، وبذلك فالقرابين في اليهودية وسيلة إلى تكوين الطبقية لا إلى تذويب الهوة بين الأغنياء والفقراء[1].

(١) انظر تفصيلات هذه النماذج السابقة في كتاب "قصة الأديان" دراسة تاريخية مقارنة د/ رفقي زاهر صـ٧٩-٨٩. ط/ دار المطبوعات الدولية ط/ الأولى سنة ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

وحشية الأعياد عند اليهود:

لليهود أساليبهم الوحشية التي تدل على همجيتهم وقسوتهم، وبلوغهم في الإجرام حدا فظيعا، حيث هتكوا أهم وأعظم حقوق الإنسان، إذ يستخدمون في أعيادهم دماء البشر، ويعتبرون ذلك فرصة تقدم لكبارهم، يقول أ/ كامل الشرقاوي: (إن أعظم هديه تقدم إلى حاخام يهودي زجاجة دم بشرى)[١].

ويعتبر اليهود أن دم المسيحي المسفوك أفضل الدماء التي تستخدم في تلك الظروف، وإذا لم يوجد دم مسيحي فإن دم المسلم يفي بالمطلوب، ومن المناسبات التي يحققون فيها تلك الجرائم الوحشية:-

١- مناسبة الزواج: حيث يصوم الزوجان من المساء عن كل شيء، ثم يقدم لهم الحاخام بيضة مسلوقة مغموسة في رماد مشرب بدم إنسان مسيحي، أو مسلم مذبوح.

٢- ختان الأطفال الذكور: وهي مناسبة مقدسة عندهم، حيث يغمس الحاخام أصبعه في كأس مملوء بالخمر الممزوجة بالدم، ثم يدخله في فم الطفل مرتين، ويقول له إن حياتك بدمك[٢].

٣- والمناسبة الثالثة: في عيد الفطير كما سبق حيث يستخدمون فيه دماء البشر، وتلك الممارسات البشعة يقتنع بها اليهود، بل يعتبرونها استجابة لتعاليم كتبهم، فقد جاء في

(١) المخطط الصهيوني حتى عام ٢٠٠٠ كامل الشرقاوي جـ١/١٣٧ بتصرف ط/ مطابع الناشر العربي بدون تاريخ.

(٢) انظر المخطط الصهيوني حتى عام ٢٠٠٠ مصدر سابق صـ١٣٧ بتصرف.

التلمود: (عندنا مناسبتان دمويتان ترضيان إلهنا يهوى، إحداهما عيد الفطائر الممزوجة بالدماء البشرية، والأخرى مراسيم ختان الأطفال)[١].

ويعتبر اليهود أن اليهودي النموذجي الذي يأكل ويشرب وفي طعامه وشرابه قليل من دم المسيحيين، هو الذي وصل إلى أرقى درجات التقوى والصلاح.

تلك هي أخلاق اليهود اللاإنسانية في أعيادهم فكيف بهم في غير أعيادهم؟! لقد جعلوا من مظاهر التقوى أن يتجرعوا دماء البشر، وجعلوا شكر الله ﷻ يتمثل في احتسائهم لدماء غيرهم مع طعامهم وشرابهم.

وحشية اليهود في تعاملهم مع الرقيق:

قبل توضيح همجية التعاليم اليهودية ووحشيتها في التعامل مع الرقيق تجدر الإشارة إلى بيان الأسباب التي تفضي إلى الرق عندهم وهي:-

أولا: الفقر والعجز عن سداد الدين: جاء في سفر اللاويين: (إِذَا افْتَقَرَ أَخُوكَ عِنْدَكَ وَبِيعَ لَكَ، فَلاَ تَسْتَعْبِدْهُ اسْتِعْبَادَ عَبْدٍ. كَأَجِيرٍ، كَنَزِيل يَكُونُ عِنْدَكَ. إِلَى سَنَةِ الْيُوبِيلِ يَخْدِمُ عِنْدَكَ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ عِنْدِكَ هُوَ وَبَنُوهُ مَعَهُ وَيَعُودُ إِلَى عَشِيرَتِهِ، وَإِلَى مُلْكِ آبَائِهِ يَرْجِعُ. لأَنَّهُمْ عَبِيدِي الَّذِينَ أَخْرَجْتُهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لاَ يُبَاعُونَ بَيْعَ الْعَبِيدِ. لاَ تَتَسَلَّطْ عَلَيْهِ بِعُنْفٍ، بَلِ اخْشَ إِلهَكَ. وَأَمَّا عَبِيدُكَ وَإِمَاؤُكَ الَّذِينَ يَكُونُونَ لَكَ، فَمِنَ الشُّعُوبِ الَّذِينَ حَوْلَكُمْ. مِنْهُمْ تَقْتَنُونَ عَبِيدًا وَإِمَاءً.)[٢].

(١) المخطط الصهيوني صـ١٣٨.

(٢) سفر اللاويين ٢٥(٣٩-٤٥).

ثانيا: السرقة: وقد جاء عن هذا السبب في سفر الخروج: (إِذَا سَرَقَ إِنْسَانٌ ثَوْرًا أَوْ شَاةً فَذَبَحَهُ أَوْ بَاعَهُ، يُعَوِّضُ عَنِ الثَّوْرِ بِخَمْسَةِ ثِيرَانٍ، وَعَنِ الشَّاةِ بِأَرْبَعَةٍ مِنَ الْغَنَمِ. إِنْ وُجِدَ السَّارِقُ وَهُوَ يَنْقُبُ، فَضُرِبَ وَمَاتَ، فَلَيْسَ لَهُ دَمٌ)[1].

ثالثا: البيع: جاء في سفر الخروج: (إِذَا اشْتَرَيْتَ عَبْدًا عِبْرَانِيًّا، فَسِتَّ سِنِينَ يَخْدِمُ، وَفِي السَّابِعَةِ يَخْرُجُ حُرًّا مَجَّانًا. إِنْ دَخَلَ وَحْدَهُ فَوَحْدَهُ يَخْرُجُ. إِنْ كَانَ بَعْلَ امْرَأَةٍ، تَخْرُجُ امْرَأَتُهُ مَعَهُ. إِنْ أَعْطَاهُ سَيِّدُهُ امْرَأَةً وَوَلَدَتْ لَهُ بَنِينَ أَوْ بَنَاتٍ، فَالْمَرْأَةُ وَأَوْلاَدُهَا يَكُونُونَ لِسَيِّدِهِ، وَهُوَ يَخْرُجُ وَحْدَهُ. وَلكِنْ إِنْ قَالَ الْعَبْدُ: أُحِبُّ سَيِّدِي وَامْرَأَتِي وَأَوْلاَدِي، لاَ أَخْرُجُ حُرًّا، يُقَدِّمُهُ سَيِّدُهُ إِلَى اللهِ، وَيُقَرِّبُهُ إِلَى الْبَابِ أَوْ إِلَى الْقَائِمَةِ، وَيَثْقُبُ سَيِّدُهُ أُذْنَهُ بِالْمِثْقَبِ، فَيَخْدِمُهُ إِلَى الأَبَدِ)[2].

رابعا: الخطف: جاء في سفر أرميا: (هكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ: أَنَا قَطَعْتُ عَهْدًا مَعَ آبَائِكُمْ يَوْمَ أَخْرَجْتُهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعَبِيدِ قَائِلاً: فِي نِهَايَةِ سَبْعِ سِنِينَ تُطْلِقُونَ كُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ الْعِبْرَانِيَّ الَّذِي بِيعَ لَكَ وَخَدَمَكَ سِتَّ سِنِينَ، فَتُطْلِقُهُ حُرًّا مِنْ عِنْدِكَ. وَلكِنْ لَمْ يَسْمَعْ آبَاؤُكُمْ لِي وَلاَ أَمَالُوا أُذُنَهُمْ. وَقَدْ رَجَعْتُمْ أَنْتُمُ الْيَوْمَ وَفَعَلْتُمْ مَا هُوَ مُسْتَقِيمٌ فِي عَيْنَيَّ، مُنَادِينَ بِالْعِتْقِ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى صَاحِبِهِ، وَقَطَعْتُمْ عَهْدًا أَمَامِي فِي الْبَيْتِ الَّذِي دُعِيَ بِاسْمِي. ثُمَّ عُدْتُمْ وَدَنَّسْتُمُ اسْمِي وَأَرْجَعْتُمْ كُلُّ وَاحِدٍ عَبْدَهُ، وَكُلُّ وَاحِدٍ أَمَتَهُ الَّذِينَ أَطْلَقْتُمُوهُمْ أَحْرَارًا لأَنْفُسِهِمْ، وَأَخْضَعْتُمُوهُمْ لِيَكُونُوا لَكُمْ عَبِيدًا وَإِمَاءً. لِذلِكَ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: أَنْتُمْ لَمْ تَسْمَعُوا لِي لِتُنَادُوا بِالْعِتْقِ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى أَخِيهِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ إِلَى صَاحِبِهِ. هأَنَذَا أُنَادِي لَكُمْ بِالْعِتْقِ، يَقُولُ الرَّبُّ، لِلسَّيْفِ وَالْوَبَإِ وَالْجُوعِ، وَأَجْعَلُكُمْ قَلَقًا لِكُلِّ مَمَالِكِ الأَرْضِ. وَأَدْفَعُ

(١) سفر الخروج ٢٢(١-٣).

(٢) سفر الخروج ٢١ (٢-٧).

النَّاسَ الَّذِينَ تَعَدَّوْا عَهْدِي، الَّذِينَ لَمْ يُقِيمُوا كَلاَمَ الْعَهْدِ الَّذِي قَطَعُوهُ أَمَامِي. الْعِجْلَ الَّذِي قَطَعُوهُ إِلَى اثْنَيْنِ، وَجَازُوا بَيْنَ قِطْعَتَيْهِ. رُؤَسَاءَ يَهُوذَا وَرُؤَسَاءَ أُورُشَلِيمَ، الْخِصْيَانَ وَالْكَهَنَةَ وَكُلَّ شَعْبِ الأَرْضِ الَّذِينَ جَازُوا بَيْنَ قِطْعَتَيِ الْعِجْلِ، أَدْفَعُهُمْ لِيَدِ أَعْدَائِهِمْ وَلِيَدِ طَالِبِي نُفُوسِهِمْ، فَتَكُونُ جُثَّتُهُمْ أُكْلاً لِطُيُورِ السَّمَاءِ وَوُحُوشِ الأَرْضِ. وَأَدْفَعُ صِدْقِيَّا مَلِكَ يَهُوذَا وَرُؤَسَاءَهُ لِيَدِ أَعْدَائِهِمْ، وَلِيَدِ طَالِبِي نُفُوسِهِمْ، وَلِيَدِ جَيْشِ مَلِكِ بَابِلَ الَّذِينَ صَعِدُوا عَنْكُمْ.)[1].

خامسا: الوراثة: فقد جاء في سفر اللاويين: (وَأَمَّا عَبِيدُكَ وَإِمَاؤُكَ الَّذِينَ يَكُونُونَ لَكَ، فَمِنَ الشُّعُوبِ الَّذِينَ حَوْلَكُمْ. مِنْهُمْ تَقْتَنُونَ عَبِيدًا وَإِمَاءً. وَأَيْضًا مِنْ أَبْنَاءِ الْمُسْتَوْطِنِينَ النَّازِلِينَ عِنْدَكُمْ، مِنْهُمْ تَقْتَنُونَ وَمِنْ عَشَائِرِهِمِ الَّذِينَ عِنْدَكُمُ الَّذِينَ يَلِدُونَهُمْ فِي أَرْضِكُمْ، فَيَكُونُونَ مُلْكًا لَكُمْ. وَتَسْتَمْلِكُونَهُمْ لأَبْنَائِكُمْ مِنْ بَعْدِكُمْ مِيرَاثَ مُلْكٍ. تَسْتَعْبِدُونَهُمْ إِلَى الدَّهْرِ. وَأَمَّا إِخْوَتُكُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فَلاَ يَتَسَلَّطْ إِنْسَانٌ عَلَى أَخِيهِ بِعُنْفٍ)[2].

هذا واليهود يقسمون الناس إلى قسمين:-

(١) الشعوب السبع القريبة وهؤلاء يجب القضاء عليهم.

(٢) سائر شعوب الأرض وهؤلاء يدعون إلى الذل والاستسلام، وإلا صاروا عبيدا جاء في سفر التثنية: (حِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِينَةٍ لِكَيْ تُحَارِبَهَا اسْتَدْعِهَا إِلَى الصُّلْحِ، فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلَى الصُّلْحِ وَفَتَحَتْ لَكَ، فَكُلُّ الشَّعْبِ الْمَوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لَكَ لِلتَّسْخِيرِ وَيُسْتَعْبَدُ لَكَ. وَإِنْ لَمْ تُسَالِمْكَ، بَلْ عَمِلَتْ مَعَكَ حَرْبًا، فَحَاصِرْهَا. وَإِذَا دَفَعَهَا الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى يَدِكَ فَاضْرِبْ جَمِيعَ ذُكُورِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالأَطْفَالُ وَالْبَهَائِمُ وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ، كُلُّ غَنِيمَتِهَا،

(١) سفر أرميا ٣٤(١٣-٢٢).

(٢) سفر اللاويين ٢٥(٤٤-٤٧).

فَتَغْتَنِمُهَا لِنَفْسِكَ، وَتَأْكُلُ غَنِيمَةَ أَعْدَائِكَ الَّتِي أَعْطَاكَ الرَّبُّ إِلهُكَ. هكَذَا تَفْعَلُ بِجَمِيعِ الْمُدُنِ الْبَعِيدَةِ مِنْكَ جِدًّا الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ مُدُنِ هؤُلاَءِ الأُمَمِ هُنَا. وَأَمَّا مُدُنُ هـؤُلاَءِ الشُّعُوبِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا فَلاَ تَسْتَبْقِ مِنْهَا نَسَمَةً مَّا)[1].

تلك كانت أهم الأسباب التي تؤدى إلى الرق لدى اليهود، فهل كانوا يعاملون الرقيق والمستعبدين معاملة إنسانية، أم أن أساليبهم كانت غير إنسانية، وطريقتهم كانت تقطر قسوة وإجراما، يوضح هذا ما جاء في سفر أخبار الأيام الثاني: (وَأَمَّا أَمَصْيَا فَتَشَدَّدَ وَاقْتَادَ شَعْبَهُ وَذَهَبَ إِلَى وَادِي الْمِلْحِ، وَضَرَبَ مِنْ بَنِي سِعِير عَشَرَةَ آلاَفٍ، وَعَشَرَةَ آلاَفٍ أَحْيَاءَ سَبَاهُمْ بَنُو يَهُوذَا وَأَتَوْا بِهِمْ إِلَى رَأْسِ سَالِعَ وَطَرَحُوهُمْ عَنْ رَأْسِ سَالِعَ فَتَكَسَّرُوا أَجْمَعُونَ. وَأَمَّا الرِّجَالُ الْغُزَاةُ الَّذِينَ أَرْجَعَهُمْ أَمَصْيَا عَنِ الذَّهَابِ مَعَهُ إِلَى الْقِتَالِ فَاقْتَحَمُوا مُدُنَ يَهُوذَا مِنَ السَّامِرَةِ إِلَى بَيْتِ حُورُونَ، وَضَرَبُوا مِنْهُمْ ثَلاَثَةَ آلاَفٍ وَنَهَبُوا نَهْبًا كَثِيرًا)[2].

وجاء في سفر يشوع: (وَلَمَّا سَمِعَ جَمِيعُ الْمُلُوكِ الَّذِينَ فِي عَبْرِ الأُرْدُنِّ فِي الْجَبَلِ وَفِي السَّهْلِ وَفِي كُلِّ سَاحِلِ الْبَحْرِ الْكَبِيرِ إِلَى جِهَةِ لُبْنَانَ، الْحِثِّيُونَ وَالأَمُورِيُّونَ وَالْكَنْعَانِيُّونَ وَالْفِرِزِّيُّونَ وَالْحِوِّيُّونَ وَالْيَبُوسِيُّونَ، اجْتَمَعُوا مَعًا لِمُحَارَبَةِ يَشُوعَ وَإِسْرَائِيلَ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ.

وَأَمَّا سُكَّانُ جِبْعُونَ لَمَّا سَمِعُوا بِمَا عَمِلَهُ يَشُوعُ بِأَرِيحَا وَعَايٍ فَهُمْ عَمِلُوا بِغَدْرٍ، وَمَضَوْا وَدَارُوا وَأَخَذُوا جَوَالِقَ بَالِيَةً لِحَمِيرِهِمْ، وَزِقَاقَ خَمْرٍ بَالِيَةً مُشَقَّقَةً وَمَرْبُوطَةً، وَنِعَالاً بَالِيَةً وَمُرَقَّعَةً فِي أَرْجُلِهِمْ، وَثِيَابًا رَثَّةً عَلَيْهِمْ، وَكُلُّ خُبْزِ زَادِهِمْ يَابِسٌ قَدْ صَارَ فُتَاتًا. وَسَارُوا إِلَى يَشُوعَ إِلَى الْمَحَلَّةِ فِي الْجِلْجَالِ، وَقَالُوا لَهُ وَلِرِجَالِ إِسْرَائِيلَ: «مِنْ أَرْضٍ بَعِيدَةٍ جِئْنَا. وَالآنَ اقْطَعُوا لَنَا عَهْدًا». فَقَالَ رِجَالُ إِسْرَائِيلَ لِلْحِوِّيِّينَ: «لَعَلَّكَ سَاكِنٌ فِي وَسَطِي، فَكَيْفَ أَقْطَعُ

(١) سفر التثنية ٢٠(١٠-١٧).

(٢) سفر أخبار الأيام الثاني ٢٥(١١-١٣).

لَكَ عَهْدًا؟» فَقَالُوا لِيَشُوعَ: «عَبِيدُكَ نَحْنُ». فَقَالَ لَهُمْ يَشُوعُ: «مَنْ أَنْتُمْ؟ وَمِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟» فَقَالُوا لَهُ: «مِنْ أَرْضٍ بَعِيدَةٍ جِدًّا جَاءَ عَبِيدُكَ عَلَى اسْمِ الرَّبِّ إِلهِكَ، لأَنَّنَا سَمِعْنَا خَبَرَهُ وَكُلَّ مَا عَمِلَ بِمِصْرَ، وَكُلَّ مَا عَمِلَ بِمَلِكَيِ الأَمُورِيِّينَ اللَّذَيْنِ فِي عَبْرِ الأُرْدُنِّ: سِيحُونَ مَلِكِ حَشْبُونَ وَعُوجَ مَلِكِ بَاشَانَ الَّذِي فِي عَشْتَارُوثَ. فَكَلَّمَنَا شُيُوخُنَا وَجَمِيعُ سُكَّانِ أَرْضِنَا قَائِلِينَ: خُذُوا بِأَيْدِيكُمْ زَادًا لِلطَّرِيقِ، وَاذْهَبُوا لِلِقَائِهِمْ وَقُولُوا لَهُمْ: عَبِيدُكُمْ نَحْنُ. وَالآنَ اقْطَعُوا لَنَا عَهْدًا. هذَا خُبْزُنَا سُخْنًا تَزَوَّدْنَاهُ مِنْ بُيُوتِنَا يَوْمَ خُرُوجِنَا لِكَيْ نَسِيرَ إِلَيْكُمْ، وَهَا هُوَ الآنَ يَابِسٌ قَدْ صَارَ فُتَاتًا. وَهذِهِ زِقَاقُ الْخَمْرِ الَّتِي مَلأْنَاهَا جَدِيدَةً، هُوَذَا قَدْ تَشَقَّقَتْ. وَهذِهِ ثِيَابُنَا وَنِعَالُنَا قَدْ بَلِيَتْ مِنْ طُولِ الطَّرِيقِ جِدًّا». فَأَخَذَ الرِّجَالُ مِنْ زَادِهِمْ، وَمِنْ فَمِ الرَّبِّ لَمْ يَسْأَلُوا. فَعَمِلَ يَشُوعُ لَهُمْ صُلْحًا وَقَطَعَ لَهُمْ عَهْدًا لاسْتِحْيَائِهِمْ، وَحَلَفَ لَهُمْ رُؤَسَاءُ الْجَمَاعَةِ. وَفِي نِهَايَةِ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ بَعْدَمَا قَطَعُوا لَهُمْ عَهْدًا سَمِعُوا أَنَّهُمْ قَرِيبُونَ إِلَيْهِمْ وَأَنَّهُمْ سَاكِنُونَ فِي وَسَطِهِمْ. فَارْتَحَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَجَاءُوا إِلَى مُدُنِهِمْ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ. وَمُدُنُهُمْ هِيَ جِبْعُونُ وَالْكَفِيرَةُ وَبَئِيرُوتُ وَقَرْيَةُ يَعَارِيمَ. وَلَمْ يَضْرِبْهُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لأَنَّ رُؤَسَاءَ الْجَمَاعَةِ حَلَفُوا لَهُمْ بِالرَّبِّ إِلهِ إِسْرَائِيلَ. فَتَذَمَّرَ كُلُّ الْجَمَاعَةِ عَلَى الرُّؤَسَاءِ. فَقَالَ جَمِيعُ الرُّؤَسَاءِ لِكُلِّ الْجَمَاعَةِ: «إِنَّنَا قَدْ حَلَفْنَا لَهُمْ بِالرَّبِّ إِلهِ إِسْرَائِيلَ. وَالآنَ لاَ نَتَمَكَّنُ مِنْ مَسِّهِمْ. هذَا نَصْنَعُهُ لَهُمْ وَنَسْتَحْيِيهِمْ فَلاَ يَكُونُ عَلَيْنَا سَخَطٌ مِنْ أَجْلِ الْحَلْفِ الَّذِي حَلَفْنَا لَهُمْ». وَقَالَ لَهُمُ الرُّؤَسَاءُ: «يَحْيَوْنَ وَيَكُونُونَ مُحْتَطِبِي حَطَبٍ وَمُسْتَقِي مَاءٍ لِكُلِّ الْجَمَاعَةِ كَمَا كَلَّمَهُمُ الرُّؤَسَاءُ». فَدَعَاهُمْ يَشُوعُ وَكَلَّمَهُمْ قَائِلاً: «لِمَاذَا خَدَعْتُمُونَا قَائِلِينَ: نَحْنُ بَعِيدُونَ عَنْكُمْ جِدًّا، وَأَنْتُمْ سَاكِنُونَ فِي وَسَطِنَا؟ فَالآنَ مَلْعُونُونَ أَنْتُمْ. فَلاَ يَنْقَطِعُ مِنْكُمُ الْعَبِيدُ وَمُحْتَطِبُو الْحَطَبِ وَمُسْتَقُو الْمَاءِ لِبَيْتِ إِلهِي». فَأَجَابُوا يَشُوعَ وَقَالُوا: «أُخْبِرَ عَبِيدُكَ إِخْبَارًا بِمَا أَمَرَ بِهِ الرَّبُّ إِلهُكَ مُوسَى عَبْدَهُ أَنْ

يُعْطِيَكُمْ كُلَّ الأَرْضِ، وَيُبِيدَ جَمِيعَ سُكَّانِ الأَرْضِ مِنْ أَمَامِكُمْ. فَخِفْنَا جِدًّا عَلَى أَنْفُسِنَا مِنْ قِبَلِكُمْ، فَفَعَلْنَا هذَا الأَمْرَ. وَالآنَ فَهُوَ ذَا نَحْنُ بِيَدِكَ، فَافْعَلْ بِنَا مَا هُوَ صَالِحٌ وَحَقٌّ فِي عَيْنَيْكَ أَنْ تَعْمَلَ». فَفَعَلَ بِهِمْ هكَذَا، وَأَنْقَذَهُمْ مِنْ يَدِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمْ يَقْتُلُوهُمْ. وَجَعَلَهُمْ يَشُوعُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ مُحْتَطِبِي حَطَبٍ وَمُسْتَقِي مَاءٍ لِلْجَمَاعَةِ وَلِمَذْبَحِ الرَّبِّ إِلَى هذَا الْيَوْمِ، فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَخْتَارُهُ.)[1].

لقد توسع اليهود في الأسباب التي تفضي- إلى استرقاق الأحرار، واستعبادهم واستخدامهم توسعا بلغ من الإجرام حدا كبيرا، حيث أباحوا السرقة والخطف والبيع، وجعلوا من فقر الإنسان سبيلا إلى استرقاقه واستعباده، ولم يراعوا إنسانية الإنسان ولا حرمته، وليتهم إذ توسعوا رحموا عبيدهم أو أشفقوا عليهم وعاملوهم بإنسانية رفيعة، ولكنهم كعادتهم لجوا في طغيانهم يعمهون، واستمروا في غوايتهم، وأخذوا يحملونهم ما لا يطيقون، ويعملون فيهم السيف قتلا وذبحا، ويتوارثون هذا المنهج اللاإنساني خلفا عن سلف، وتشهد بذلك أسفارهم التي يؤمنون بها، ويدينون لها.

(ح) نظرة اليهود إلى غيرهم من البشر:[2]

يزخر العهد القديم بالعديد من النصوص التي تكشف عن نظرة اليهود المتعالية إلى غيرهم من سائر الأجناس، وذلك دون مقابل منهم سواء كان قولا أو عملا فاضلا، ففي سفر التثنية: (لأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لَهُ

(١) سفر يشوع ٩ (١-٢٧).

(٢) انظر تفصيلات هذا الموضوع في حولية كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق د/ محمد يونس عبد السميع الحملاوي صـ١٤٠٦ وما بعدها. (العدد الثامن) سنة ١٤١٦هـ-١٩٩٥م. مقال بعنوان نحو رؤية في فلسفة نظرة الإسلام والنصرانية واليهودية لغير أتباعها.

شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، لَيْسَ مِنْ كَوْنِكُمْ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ، الْتَصَقَ الرَّبُّ بِكُمْ وَاخْتَارَكُمْ، لأَنَّكُمْ أَقَلُّ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ. بَلْ مِنْ مَحَبَّةِ الرَّبِّ إِيَّاكُمْ، وَحِفْظِهِ الْقَسَمَ الَّذِي أَقْسَمَ لآبَائِكُمْ، أَخْرَجَكُمُ الرَّبُّ بِيَدٍ شَدِيدَةٍ وَفَدَاكُمْ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ مِنْ يَدِ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ)[1].

وقد تكرر هذا التعالي الذي يدعونه في سفر اللاويين إذ يقول: (أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمُ الَّذِي مَيَّزَكُمْ مِنَ الشُّعُوبِ)[2] وجاء فيه أيضا: (وَتَكُونُونَ لِي قِدِّيسِينَ لأَنِّي قُدُّوسٌ أَنَا الرَّبُّ، وَقَدْ مَيَّزْتُكُمْ مِنَ الشُّعُوبِ لِتَكُونُوا لِي)[3] وجاء في أخبار الأيام الأولى: (هُوَ يَبْنِي بَيْتًا لاسْمِي، وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ابْنًا، وَأَنَا لَهُ أَبًا وَأُثَبِّتُ كُرْسِيَّ مُلْكِهِ عَلَى إِسْرَائِيلَ إِلَى الأَبَدِ. الآنَ يَا ابْنِي، لِيَكُنِ الرَّبُّ مَعَكَ فَتُفْلِحَ وَتَبْنِيَ بَيْتَ الرَّبِّ إِلهِكَ كَمَا تَكَلَّمَ عَنْكَ. إِنَّمَا يُعْطِيكَ الرَّبُّ فِطْنَةً وَفَهْمًا وَيُوصِيكَ بِإِسْرَائِيلَ لِحِفْظِ شَرِيعَةِ الرَّبِّ إِلهِكَ)[4].

فهذه النصوص تجعل اليهود جنسا يفوق سائر الخليقة، وليت ذلك في مقابل عمل أو جهد بذلوه، وإنما هذا التفضيل لكونهم فقط يهودا بالميلاد، ولست أدرى إن كان هذا التفضيل من الله لهم لكونهم يهودا فما هي جدوى العبادة ما دام جزاؤهم محقق؟

وقد ترجم اليهود النظرة المتعالية عمليا في سلوكهم غير العادل، والذي لا يحترم إنسانية الإنسان، ويفرق بين الناس على أساس عرقي، يشمل من خلال هذه التفرقة ماله

(١) سفر التثنية ٧ (٦-٩).
(٢) سفر اللاويين ٢٠ (٢٤).
(٣) سفر اللاويين ٢٠ (٢٦).
(٤) سفر أخبار الأيام الأول ٢٢ (١٠-١٢).

ودمه، ولذا يوجد في أسفار العهد القديم نصوص كثيرة تأمر اليهود بأن يتعاملوا مع غيرهم بالربا والخطف والسلب والسرقة وغير ذلك وقد سبق الإشارة إلي ذلك كله.

(ط) وحشية اليهود في تقديم القرابين البشرية:[1]

رغم أن أسفار التوراة الخمسة تحتوى على نصوص تحرم ذبح البشر- وتقديمهم كقرابين، وتعاقب من يفعل ذلك، وتتوعد بغضب الرب، فإن اليهود ضربوا بهذا الوعيد والتهديد عرض الحائط، وذبحوا الأبناء والبنات، وأشعلوا فيهم النيران وقدموهم قربانا لآلهتهم؛ متأثرين في ذلك بالوثنيين وقد تم ذلك منهم مرات عديدة، منها ما جاء في عصر- القضاة، وبيان ذلك فيما يأتي:

جاء في قصة (يفتاح) وهو أحد القضاة الذين تولوا أمر اليهود بعد موت يشوع، في العصر الذي سمي باسمهم عصر القضاة، ويفتاح هذا هو القاضي التاسع، ويسمى يفتاح بن جلعاد، وقد كان من قصته أن أباه جلعاد زنا بإحدى العاهرات، فأنجبت له يفتاح، وكان لجلعاد أبناء آخرون من زوجته الشرعية، فلما كبروا طردوا يفتاح من بينهم خشية على ميراث والدهم، فهرب وأقام في شرق الأردن، واجتمع من حوله عصابة، ثم راح يعيش على السلب والنهب واللصوصية، وهذا معنى ما جاء في سفر القضاة: (وَكَانَ يَفْتَاحُ الْجِلْعَادِيُّ جَبَّارَ بَأْسٍ، وَهُوَ ابْنُ امْرَأَةٍ زَانِيَةٍ. وَجِلْعَادُ وَلَدَ يَفْتَاحَ. ثُمَّ وَلَدَتِ امْرَأَةُ جِلْعَادَ لَهُ بَنِينَ. فَلَمَّا كَبِرَ بَنُو الْمَرْأَةِ طَرَدُوا يَفْتَاحَ، وَقَالُوا لَهُ: «لاَ تَرِثْ فِي بَيْتِ أَبِينَا لأَنَّكَ أَنْتَ ابْنُ امْرَأَةٍ

(١) يراجع تفصيلات قصة يفتاح في كتاب القرابين البشرية والذبائح التلمودية عند الوثنيين واليهود د/ فتحي محمد الزغبي صـ١٥٨-١٦٨ مطبعة غباشي ط/ الأولى سنة ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

أُخْرَى». فَهَرَبَ يَفْتَاحُ مِنْ وَجْهِ إِخْوَتِهِ وَأَقَامَ فِي أَرْضِ طُوبٍ. فَاجْتَمَعَ إِلَى يَفْتَاحَ رِجَالٌ بَطَّالُونَ وَكَانُوا يَخْرُجُونَ مَعَهُ)[1].

وما هي إلا أيام حتى نشبت حرب بين بنى إسرائيل، والعمونيين، فرغب شيوخ اليهود أن يجعلوا من يفتاح قائدا ليزحف بهم على أعدائهم، فأبى وامتنع وتذكر سالف أيامه حين عاملوه بقسوة، وحملوه أن يهيم على وجهه لكنه أذعن لطلبهم بعد إلحاح منهم، وقبل أن يقاتل أعداءهم نذر نذرا، خلاصته: أنه إذا انتصر فسيقدم قربانا يكون من أول من يلاقيه ويخرج إليه من بيته، وهذا معنى ما جاء في سفر القضاة: (فَكَانَ رُوحُ الرَّبِّ عَلَى يَفْتَاحَ، فَعَبَرَ جِلْعَادَ وَمَنَسَّى وَعَبَرَ مِصْفَاةَ جِلْعَادَ، وَمِنْ مِصْفَاةِ جِلْعَادَ عَبَرَ إِلَى بَنِي عَمُّونَ. وَنَذَرَ يَفْتَاحُ نَذْرًا لِلرَّبِّ قَائِلاً: «إِنْ دَفَعْتَ بَنِي عَمُّونَ لِيَدِي، فَالْخَارِجُ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ أَبْوَابِ بَيْتِي لِلِقَائِي عِنْدَ رُجُوعِي بِالسَّلاَمَةِ مِنْ عِنْدِ بَنِي عَمُّونَ يَكُونُ لِلرَّبِّ، وَأُصْعِدُهُ مُحْرَقَةً». ثُمَّ عَبَرَ يَفْتَاحُ إِلَى بَنِي عَمُّونَ لِمُحَارَبَتِهِمْ. فَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ لِيَدِهِ. فَضَرَبَهُمْ مِنْ عَرُوعِيرَ إِلَى مَجِيئِكَ إِلَى مِنِّيتَ، عِشْرِينَ مَدِينَةً، وَإِلَى آبَلِ الْكُرُومِ ضَرْبَةً عَظِيمَةً جِدًّا. فَذَلَّ بَنُو عَمُّونَ أَمَامَ بَنِي إِسْرَائِيلَ)[2].

وانتهت المعركة، وانتصر يفتاح، وعاد ظافرا غانما، وعند عودته كانت في استقباله ابنته الوحيدة، لم يكن له ابن ولا ابنة غيرها، فكيف صنع يفتاح، لقد مزق ثيابه لأنه لا يستطيع أن يهمل ما قطع على نفسه، وأوفى نذره، جاء في سفر القضاة: (ثُمَّ أَتَى يَفْتَاحُ إِلَى الْمِصْفَاةِ إِلَى بَيْتِهِ، وَإِذَا بِابْنَتِهِ خَارِجَةً لِلِقَائِهِ بِدُفُوفٍ وَرَقْصٍ. وَهِيَ وَحِيدَةٌ. لَمْ يَكُنْ لَهُ ابْنٌ وَلاَ ابْنَةٌ غَيْرَهَا.

(١) سفر القضاة ١١(١-٣) وانظر قاموس الكتب المقدس صـ ١٠٧٨.

(٢) سفر القضاة ١١(٢٩-٣١).

وَكَانَ لَمَّا رَآهَا أَنَّهُ مَزَّقَ ثِيَابَهُ)[١]. وهكذا وجد يفتاح نفسه بين أمرين إما أن يرضى ربه بأن يذبح ابنته، وهذه قمة الطاعة، والرضا من الرب -في زعمه- وبين أن يبقى على ابنته، فكان أن ترجح له الأمر الأول، وأقدم على ذبح ابنته وإن تألم على ذلك؛ لأنه لم يكن له ولد سواها، اعتقادا منه أن الوفاء بالنذر واجب على كل حال، وأن الرب يرضى من يسفك دماء الولد، واعتذر عن ذلك بقوله: (لأَنِّي قَدْ فَتَحْتُ فَمِي إِلَى الرَّبِّ وَلاَ يُمْكِنُنِي الرُّجُوعُ)[٢].

هذا هو موقف يفتاح، وذلك هو رأيه، فترى ما هو موقف ابنته التي قُدمت قربانا على محرقة الرب؟ إنها حينما أخبرها أبوها بنذره فقالت له: (يَا أَبِي، هَلْ فَتَحْتَ فَاكَ إِلَى الرَّبِّ؟ فَافْعَلْ بِي كَمَا خَرَجَ مِنْ فِيكَ، بِمَا أَنَّ الرَّبَّ قَدِ انْتَقَمَ لَكَ مِنْ أَعْدَائِكَ بَنِي عَمُّونَ». ثُمَّ قَالَتْ لأَبِيهَا: «فَلْيُفْعَلْ لِي هذَا الأَمْرُ)[٣] فقد قبلت الفتاة أن تذبح واستسلمت، ويفهم من هذا أن ذبح البشر كان شيئا عاديا ولم يكن مستغربا، وأن المجتمع كان يألف القرابين البشرية، وإن غايرت ماجاء في أسفاره الخمسة.

وقبل أن أدع هذه القصة أوضح أن ابنة يفتاح التي استسلمت، طلبت فقط أن يدعها شهرين ثم ينفذ ما يريد، فأجاب لطلبها، جاء سفر القضاة: (اتْرُكْنِي شَهْرَيْنِ فَأَذْهَبَ وَأَنْزِلَ عَلَى الْجِبَالِ وَأَبْكِيَ عَذْرَاوِيَّتِي أَنَا وَصَاحِبَاتِي». فَقَالَ: «اذْهَبِي». وَأَرْسَلَهَا إِلَى شَهْرَيْنِ. فَذَهَبَتْ هِيَ وَصَاحِبَاتُهَا وَبَكَتْ عَذْرَاوِيَّتَهَا عَلَى الْجِبَالِ)[٤].

(١) سفر القضاة ١١(٣٤-٣٥).
(٢) سفر القضاة ١١(٣٥).
(٣) سفر القضاة ١١(٣٦-٣٧).
(٤) سفر القضاة ١١(٣٧-٣٨).

فماذا جرى بعد هذه الفرصة وتلك المهلة، يوضح ذلك سفر القضاة بقوله: (وَكَانَ عِنْدَ نِهَايَةِ الشَّهْرَيْنِ أَنَّهَا رَجَعَتْ إِلَى أَبِيهَا، فَفَعَلَ بِهَا نَذْرَهُ الَّذِي نَذَرَ. وَهِيَ لَمْ تَعْرِفْ رَجُلاً. فَصَارَتْ عَادَةً فِي إِسْرَائِيلَ أَنَّ بَنَاتِ إِسْرَائِيلَ يَذْهَبْنَ مِنْ سَنَةٍ إِلَى سَنَةٍ لِيَنُحْنَ عَلَى بِنْتِ يَفْتَاحَ الْجِلْعَادِيِّ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ فِي السَّنَةِ)[1].

فهذا واحد من قضاة بنى إسرائيل الذين كان يختارهم الرب ويحل عليهم روحه، يقدم وحيدته قربانا للرب، ولم يك هذا السلوك سلوكا فرديا منه، بل كان سلوكا جماعيا، لأن أحدا لم يعترض عليه، بل إن وحيدته أذعنت واستسلمت وعادت بعد شهرين لتقدم نفسها قربانا حتى لا يخلف أبوها نذره الذي قطعه على نفسه، وفتح فمه به للرب، وذلك أمر في غاية الوحشية والقسوة، لأنه ذبح لبنت بريئة تستقبل أباها وقد عاد من انتصاره، فرحة مسرورة، فكان نصيبها أن تقدم على محرقة الرب.

وبهذا يتأكد أن تقديم القرابين البشرية كان حقيقة في بنى إسرائيل، وقد ضرب جميعهم بالوعيد على من فعل ذلك عرض الحائط، وصار ملوكهم وقضاتهم يقتلون الأبناء ويحرقونهم؛ معتقدين أنهم بذلك يتقربون إلى الرب بتلك الوحشية الضارية، كأن قلوبهم قدت من حجارة، وصدق الله العظيم إذ يقول عنهم: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾[2].

❁❁❁

(١) سفر القضاة ١١(٣٩-٤٠).

(٢) سورة البقرة الآية (٧٤).

المطلب الثالث: موقف القرآن الكريم من القرابين البشرية

لئن كان العهد القديم قد حكى طرفا عن وحشية اليهود، وتحريقهم لأولادهم، وتقديمهم كقرابين بشرية، مخالفين في ذلك تعاليم التوراة، ضاربين صفحا عما فيها من تهديد ووعيد لمن فعل ذلك، فإن القرآن الكريم قد وقف موقفا صارما من تلك الجريمة الشنعاء، جريمة القتل، فغلظ وجرم قتل الإنسان لنفسه وغيره تغليظا يملأ القلب خوفا ورعبا، يقول الله ﷻ في النهي عن قتل النفس: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾[1].

ففي هذه الآية ينهى المولى -تبارك وتعالى- الناس أن يقتل بعضهم بعضا، وإنما عبر بأنفسكم لأنهم كنفس واحدة.

ويرى الشيخ رشيد رضا: (أن المتبادر من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ﴾ أن المراد لا يقتل بعضكم بعضا، واختير هذا التعبير للإشعار بتعاون الأمة وتكاملها ووحدتها، رغم أن ظاهر هذه الجملة وحدها يفيد أن النهي إنما هو عن قتل الإنسان لنفسه، وهو الانتحار)[2].

وإذا كانت الآية الكريمة السابقة ترشد إلى أن المسلم يجب عليه أن يحترم نفوس الناس، وأن يعدها كنفسه، فلأن يصون الإنسان نفسه عن القتل من باب أولى، فلا يباح بحال من الأحوال أن يقتل الإنسان نفسه ليستريح من مرض، أو ألم، وإنما عليه أن يصبر ويصابر.

---

(١) سورة النساء الآيتان (٢٩-٣٠).

(٢) تفسير المنار ٣٦/٥.

وقد عقب الله على الآية بقوله: ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ يقول الإمام ابن كثير: (أي ومن يتعاطى ما نهاه الله عنه متعديا فيه ظالما في تعاطيه أي: عالما بتحريمه متجاسرا على انتهاكه فسوف نصليه نارا، وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد، فليحذر منه كل عاقل لبيب ممن ألقى السمع وهو شهيد)[1].

وقوله تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾[2].

فهذه الآيات الكريمة تحرم قتل النفس وقتل الغير، وتتوعد من يفعل ذلك، ولا يجوز في الإسلام قتل إنسان وسفك دمه إلا بالحق، وقد جاء تفسير الحق في قول الرسول ﷺ فيما رواه ابن مسعود: **"لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة"**[3].

وبناءً على ما سبق فليس في الإسلام قرابين بشرية، أو ذبائح إنسانية، لأن القرآن الكريم نهى عن قتل الأبناء فقال تعالى ناعيا أعمال الجاهلية قبل الإسلام: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ

(١) تفسير ابن كثير ١/٤٨٠.

(٢) سورة المائدة الآيتان (٣٢-٣٣).

(٣) الحديث رواه الإمام البخاري في الديات١٢/٢٠٩ (٦٨٧٨).

أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ ﴾[4] وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾[5].

وقد حرم الإسلام أن ينذر الإنسان نذرا فيه معصية فلا نذر إلا في طاعة قال ﷺ: **"من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه"**[6].

والذي يستقصى أقوال الفقهاء في هذه المسألة في جميع المذاهب يتراءى له جليا أن الإنسان إذا نذر أن ينحر ولده أو غيره يحرم عليه الوفاء بهذا النذر، لأن في الوفاء عصيانا لله بقتل النفس، يستوجب العقاب الشديد، وما على الناذر إلا أن يستغفر الله -تعالى- ويندم على نذره وهذا مالا خلاف عليه[7]. هذا عن موقف القرآن الكريم من القرابين البشرية، وأما موقفه من نظرة اليهود المتعالية إلى غيرهم، فقد سبق الحديث عنها في المبحث الثالث.

---

(١) سورة النحل الآيتان (٥٨-٥٩).

(٢) سورة التكوير الآيتان (٨-٩).

(٣) سورة الأنعام الآية (١٤٠).

(٤) سورة الأنعام الآية (١٥١).

(٥) سورة الإسراء الآية (٣١).

(٦) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب الأيمان والنذور ٥٨٩/١١ (٦٦٩٦).

(٧) انظر إيضاح موقف القرآن الكريم من القرابين البشرية بتوسع في كتاب القرابين البشرية والذبائح التلمودية عند الوثنيين واليهود، د/ فتحي محمد الزغبى صـ٩٦ وما بعدها، مصدر سابق.

والخلاصة من خلال دراسة مدى تحقق خصيصة الإنسانية في العهد القديم تبين ما يلي:

أولا: أن العقيدة في العهد القديم سواء في ما يتعلق بالإله أو ما يتصل بالنبوات بعيدة تمام البعد عن الإنسانية، وذلك لما يعج به العهد القديم من أوصاف لا تليق بخالق الأرض والسماء، بالإضافة إلى قصر سلطان هذا الإله على بنى إسرائيل دون غيرهم من بنى آدم.

كما يرمى العهد القديم الأنبياء وهم صفوة خلق الله بأحط الرذائل والنقائص وهذا ينافي الإنسانية كخصيصة من خصائص الدعوة.

أما عن التشريع والعبادة في العهد القديم، فإن الشريعة اليهودية تخلو من الإنسانية في كثير من تشريعاتها، وقد ظهر ذلك في عدة أمثلة، منها ما يتصل بالجانب الاجتماعي حيث حرمت اليهودية زوجة الأخ المتوفى إذا أنجبت منه، وجعلته أمرا مطلوبا إذا لم تنجب منه، وأوجبت أن ينتسب الابن البكر إلى الأخ المتوفى دون الزوج الذي على قيد الحياة، كما منعت اليهودية عودة المطلقة إلى زوجها الأول بعد طلاقها من الزوج الثاني أو وفاته عنها، بحجة أنها تنجست بزوجها الثاني.

وفي جانب الجنايات والحدود لا تفرق في حد الزنا مثلا بين المحصن وغير المحصن، وهي بهذا تتجاهل ظروف الإنسان وأحواله، كما تفترض الإكراه في الفتاة المخطوبة إذا وقعت في جريمة الزنا في مكان ناء عن العمران، وتعفيها من إقامة الحد كأن تحديد المكان وكونه بعيد عن العمران هو المبرر في إقامة الحد وعدمه.

وفي مجال العبادات والقرابين قصرت تقديم القرابين والنذور إلى طائفة اللاويين الذين امتلأوا ثراءً، وكونوا لأنفسهم طبقة في المجتمع تتوارث هذه الوظيفة جيلا بعد جيل، وتزعم أن لها حق السلطان الإلهي فتغفر وتصفح.

ويضاف إلى ذلك وحشية اليهود في تعاملهم مع الضعفاء من الإماء والعبيد الذين يسترقون لأسباب مختلفة، كالفقر والعجز عن الدين والبيع والخطف والوراثة وغير ذلك من الأسباب التي لا تراعى إنسانية ولا حرمة، وليتهم إذا استرقوا أنصفوا الرقيق واحترموا آدميتهم؛ لكنهم قدموهم قرابين في مختلف عهودهم، والأبشع أن القربان قد يكون أحد أبنائهم، وهم بذلك متجردون من الإنسانية تماما، وإن شئت قل إنهم أشد ضراوة من الوحوش الكاسرة، وأشد قسوة من الحجارة الصماء.

وأما أعيادهم فهي على تعددها يسفكون فيها الدماء، خاصة دماء النصارى والمسلمين، لا سيما في مناسبة الزواج وختان الأطفال وعيد الفطير.

❁❁❁

خاتمـة البحث وأهم التوصيات

لا ريب أن الباحث عن الحق والحقيقة إذا تجرد من مظاهر الهـوى والتعصـب، وأخـذ نفسه بالموضوعية والدقة والإنصاف، فإنه حتما سينتهي إلى ما يلي:

أولا: فيما يتعلق بالربانية: أن العهد القديم والجديد ثبت عدم ربانيتهما من ناحية السند والمتن فاليهود والنصارى لا يستطيعون أن يثبتوا لهما سندا متصـلا، والتـوراة التـي بأيـدي اليهود الآن، لا يمكن أن تكون من وحى الله ﷻ المنزل، لأن هذه المصادر فقدت ربانيتهـا، وبعدت عن غايتها، فقـد أصـابها التحريـف والتغيـير، بالإضـافة إلى امتلائهـا بالتنـاقض والاختلاف والأغلاط التي لا يصح نسبتها إلى الله ﷻ.

وتبين أيضا من دراسة الأسفار الخمسة أن موسى عليه السلام لم يكتبها بنفسه ولا صلة له بهـا ولا بغيرها، وخاصة وأن بقية الأسفار لا يعرف على وجه الجزم كاتبوها ومؤلفوها.

ثانيا: فيما يتعلق بالتوحيد: ثبت بالأدلة القاطعة من العهد القديم وكذا القرآن الكـريم انحراف اليهود عن تنزيه الله ﷻ حيت اتجهوا إلى التشـبيه والتجسـيم، ووصـفوه بصـفات البشر، ونسبوا إليه من الأقوال والأفعال ما لا يجوز في حقه، بالإضافة إلى تصـورهم للإلـه في صورة عنصرية قبلية قومية، بالإضافة إلى اعترافهم بآلهة الشعوب الأخرى، وقد دمغهم القرآن الكريم بالكفر والشرك هم وطائفة النصارى الذين يؤمنون بألوهية عيسى، وبالإله ذي الأقانيم الثلاثة.

ثالثا: فيما يتعلق بالعالمية: اليهود يزعمون امتياز السلالة الإسرائيلية على غيرها من سلالات الجنس البشرى، وإذا كان بنو إسرائيل يتخذون من اختلاف الأجناس سبيلا إلى الصراع فإن الإسلام يجعله طريقا للتعارف، واليهودية رسالة إقليمية من خلال نصوص أسفار العهد القديم.

رابعا: فيما يتعلق بالشمولية: ثبت عجز العهد القديم عن تنظيم حياة البشر وإسعادهم. وتبين أن الشريعة اليهودية وقفت عند الأشكال والرسوم.

خامسا: فيما يتعلق بالوسطية: تبين أن العهد القديم حافل بالمادية المتطرفة في كل تعاليمه ولا يوجد به أثارة من روحية معتدلة.

سادسا: فيما يتعلق بالواقعية: أن العهد القديم ليس فيه واقعية في شيء من العقيدة والتشريع لما فيه من أمور غير معقولة ويتعسر تطبيقها.

سابعا فيما يتعلق بالإنسانية: ويمكن القول بأن اليهود في كتابهم الذي يؤمنون به لا يمثلون شيئا يذكر مما تشتاق إليه الإنسانية الآن؛ لأن الإنسانية تشتاق إلى محراب واسع تلتقي فيها ألوان البشر وصنوف الخلق أمام رب واحد تسبح بحمده، وتهتف بمجده، وتركع وتسجد في ساحته، وتستمد الهدى منه وحده ﷻ ويعلم كل إنسان أنا لله هو الذي يدين الناس جميعا يوم القيامة.

وهذه الفضائل والمثل السابقة لا يصور العهد القديم منها شيئا ولا مثقال خردل.

وبعد...فهذه هي خصائص الديانة اليهودية، وهي تؤكد على أن الإسلام هو الرسالة التي أنزلها الله -عز وجل- على جميع الأنبياء والمرسلين، من لدن آدم حتى خاتمهم محمد ﷺ. وأن القرآن الكريم هو وحى الله الخالد، وكتابه الراشد، الذي حفظه الله من التحريف والتبديل والتغيير، وأن ما يحتوى عليه من خصائص في العقيدة والشريعة والأخلاق يتلاءم مع واقع البشر، ويراعى ظروفهم، ومن ثم فهو الكتاب الوحيد الذي يصلح لهداية العالم، وقيادة البشرية، وعلاج مشكلاتها في كل زمان ومكان، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾[1].

❁❁❁

أهم التوصيات:

١- أرى أن تقدم مادة مقارنة الأديان لطلاب المراحل العلمية الجامعية ليتضح لهم عظمة الإسلام في عقيدته وشريعته وأخلاقه، حيث نشط في دراسته أتباع الأديان الأخرى بينما قصر المسلمون في ذلك.

٢- أفضل دراسة لهذا العلم هي أن يفرد كل دين بكتاب يفصل عقيدته وشريعته وأخلاقه لأن محاولة المقارنة بين جميع الجزئيات في الأديان غير ممكنة في أغلب الأحوال، وذلك لخلو بعض الأديان عن مثيلاتها في الديانات الأخرى.

٣- العمل على نشر الكتب والبحوث التي تتعلق بمقارنة الأديان، وترجمتها إلى جميع اللغات الحية، ونشرها في كل دولة بلغتها، حتى يتسنى لغير المسلمين معرفة الإسلام من خلال أتباعه، فإن ذلك سوف يؤتى ثمارا طيبة -إن شاء الله تعالى-.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.❁❁❁

---

(١) سورة الأنعام الآية (١٥٥).

المراجـــع

القرآن الكريم.

١. **الكتاب المقدس** -العهدان القديم والجديد- ط/ الكتاب المقدس بالشرق الأوسط/ بدون تاريخ/ النسخة المعتمدة عند البروتستانت.

كتب التفسير.

٢. تفسير القرآن العظيم / لابن كثير/ ط دار المنار / بدون تاريخ.

٣. التفسير الكبير المعروف بمفاتيح الغيب/ للفخر الرازي (ت. ٦٠٦هـ) / ط إحياء دار التراث العربي/ وكذلك ط/ دار الفكر العربي ط/ الأولى سنة ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

٤. تفسير المنار(تفسير القرآن الحكيم) /الشيخ محمد رشيد رضا / نشر الهيئة العامة للكتاب / ١٩٧٢م.

٥. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج د/ وهبه الزحيلي ط/ دار الفكر المعاصر بيروت لبنان ط/ الأولى سنة ١٤١١هـ ١٩٩١م.

٦. تفسير روح البيان/ للشيخ/ إسماعيل حقي/ ط/ دار إحياء التراث العربي ط/ السابعة سنة ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٧. جامع البيان في تأويل القرآن / أبو جعفر محمد بن جرير الطبري/ م (ت٣١٠هـ) ط/ الحلبي الثانية بدون تاريخ، ط/ دار المعرفة بيروت/ ط/ الثالثة ١٣٩٨هـ ١٩٨٧م.

٨. في ظلال القرآن/ سيد قطب / ط دار الشروق/ ط/ الثالثة عشر سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٩. محاسن التأويل/ للعلامة محمد جمال الدين القاسمي/ مطبعة الحلبي ط/ الأولى سنة ١٩٥٧م/ ط/ مؤسسة التاريخ العربي ط/ الأولى ١٩٩٢م.

كتب الحديث.

١٠. الجامع الصحيح/ سنن الترمذي/ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي/ (ت: ٢٧٩) ط/ الكتب العلمية بيروت لبنان ١٩٧٨م تحقيق/ أحمد محمد شاكر دار الحديث/ القاهرة.

١١. سنن الدارمي/ للدارمي / ط/ دار الكتب العملية/ بيروت.

١٢. سنن النسائي / أبوعبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت: ٣٠٣ هـ) ط/ دار الكتب العلمية.

١٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري / أحمد بن حجر العسقلاني/ ط / المكتبة السلفية / دار الفكر.

١٤. كنز العمال / للمتقي الهندي / ط/ مؤسسة الرسالة ط/ الخامسة سنة ١٩٨٥م.

١٥. النهاية في غريب الحديث والأثر/ لابن الأثير/ دار الفكر ط/ الثانية ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

كتب اللغة والمعاجم.

١٦. فقه اللغة/ للشيخ/ محمد رضا/ ط/ الكتب العلمية بدون تاريخ.

١٧. القاموس المحيط/ للفيروز آبادي ط/ مصطفى البابي الحلبي ط/ الثانية سنة ١٣٧١هـ، ١٩٥٢م

١٨. لسان العرب / لابن منظور / ط/ بيروت لبنان / بدون تاريخ/ وط/ دار صادر بيروت بدون تاريخ.

١٩. مختار الصحاح / للرازي/ عنى بترتيبه/ محمود خاطر/ دار الحديث/ بدون تاريخ.

٢٠. المصباح المنير/ للفيومي ط/ المكتبة العلمية بيروت لبنان.

٢١. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / محمد فؤاد عبد الباقي / ط دار الحديث سنة ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٢٢. المعجم الوسيط/ مجمع اللغة العربية / ط/ اللغة العربية الثالثة سنة ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م

٢٣. المفردات في غريب القرآن/ للراغب الأصفهاني/ ط/ مصطفى البابي الحلبي وأولاده/ القاهرة سنة ١٣٨١هـ سنة ١٩٦١م. ط/ المعرفة للطباعة والنشر بيروت.

قواميس وفهارس كتابية

٢٤. تفسير كلمات الكتاب المقدس (معجم الألفاظ العسرة) سعيد مرقص إبراهيم ط/ الثالثة سنة ١٩٩٦م.

٢٥. دائرة المعارف الكتابية/ مجموعة من علماء اللاهوت/ در عن دار الثقافة بالقاهرة ط/ دار نوبار للطباعة شبرا القاهرة سنة ١٩٨٨م.

٢٦. فهرس الكتاب المقدس/ جورج بوست - صدر عن دار الثقافة القاهرة بالاتفاق مع رابطة الإنجيليين ط/ التاسعة سنة ١٩٩٦م.

٢٧. فهرس الموضوعات الكتابية/ صدر عن دار الثقافة القاهرة سنة ١٩٧٧م.

٢٨. قاموس الكتاب المقدس/ مجموعة من علماء اللاهوت/ صدر عن دار الثقافة ط/ العاشرة سنة ١٩٩٠م.

الكتب العامة:

٢٩. الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة/ للإمام القرافي/ تحقيق د/ بكر زكى عوض/ ط/ الأولى سنة ١٩٨٦م.

٣٠. أحكام الميراث والوصية في الشريعة الإسلامية د/ نصر فريد واصل د/ جودة عبد الغنى بسيون ط/ مطبعة الأخوة الأشقاء سنة ١٩٩٧م.

٣١. أديان العالم/ حبيب سعيد/ صدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية سنة ١٩٧٧ القاهرة.

٣٢. الأركان الأربعة في ضوء الكتاب والسنة مقارنة مع الديانات الأخرى/ للشيخ أبو الحسن الندوي/ دار القلم الكويت سنة ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

٣٣. الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام/ د/ على عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ١٩٨٤م.

٣٤. إسرائيل والتلمود دراسة تحليلية/ إبراهيم خليل أحمد/ مكتبة الوعي العربي/ بدون تاريخ.

٣٥. الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي د/ عبد العظيم المطعني/ ط/ دار الوفاء/ ط/ الأولى سنة ١٤٠٧ هـ،١٩٨٧م

٣٦. الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر تحقيق على محمد البجاوي ط/ دار نهضة مصر للطبع والنشر/ بدون تاريخ.

٣٧. إظهار الحق للشيخ / رحمة الله الهندي/ تحقيق د/ محمد ملكاوي طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات لبحوث والإفتاء والدعوة والإرشاد بالسعودية ط/ الثانية ١٤١٣هـ.

٣٨. الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام/ للإمام القرطبي/ دار التراث العربي للطباعة والنشر/ تحقيق د/ أحمد حجازي السقا سنة ١٩٨٠م.

٣٩. الله كتاب في نشأة العقيدة الإلهية/ عباس محمود العقاد/ دار الكتاب اللبناني بيروت/ ط/ الأولى

سنة ١٩٧٨م.

٤٠. الله وصفاته في اليهودية والنصرانية والإسلام د/ أحمد حجازي السقا /ط/ النهضة العربية ط/ الأولى سنة ١٣٩٨هـ، ١٩٧١م

٤١. بنو إسرائيل في القرآن والسنة/ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ط/ دار حراء ١٩٦٩م

٤٢. تأثر اليهودية بالأديان الوثنية/ د/ فتحي محمد الزغبي/ رسالة دكتوراه منشورة/ دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية ط/ الأولى سنة ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

٤٣. تاريخ الجدل/ الشيخ محمد أبو زهرة/ دار الفكر العربي/ ط/ الثانية ١٩٨٠م.

٤٤. التشريع في اليهودية والنصرانية والإسلام د/ سعيد طه. رسالة دكتوراه غير منشورة بكلية أصول الدين بالقاهرة سنة ١٩٨٥م.

٤٥. تعدد الزوجات من النواحي الدينية والاجتماعية والقانونية د/ عبد الناصر توفيق العطار/ ط/ مجمع البحوث الإسلامية ط/ الرابعة ١٩٧٢م.

٤٦. التوراة دراسة وتحليل/ د/ محمد شلبي شتيوي/ مكتبة الفلاح بالكويت/ ط/ الأولى سنة ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

٤٧. حقيقة التوحيد/ د/ يوسف القرضاوي/ ط/ مكتبة وهبه ط/ السابعة ١٤٠٩هـ١٩٨٩م.

٤٨. حولية كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق / سنة ١٩٩٧.

٤٩. الخصائص العامة للإسلام/ د/ يوسف القرضاوي ط/ مكتبة وهبة ط/ الرابعة ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

٥٠. الخطر الصهيوني / بروتوكولات حكماء صهيون/ ترجمة محمد خليفة التونسي/ تقديم/ عباس العقاد/ ط/ مكتبة دار التراث.

٥١. دراسات في اليهودية/ د/ محمود مزروعة/ دار الطباعة المحمدية ط/ الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٥٢. دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة (أو التوراة والإنجيل والقرآن والعلم)/ موريس بوكاي/ دار الكندي بيروت لبنان ط/ الثانية ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

٥٣. دراسة في التوراة والإنجيل/ كامل سعفان/ دار الفضيلة/ ١٩٨٢م.

٥٤. دستور الأخلاق في القرآن/ د/ محمد عبد الله دراز/ مؤسسة الرسالة ط/ الثالثة ١٩٨٠م.

٥٥. الدين الخالص /للشيخ محمود خطاب السبكي ط/ المحمودية السبكية ط/ الخامسة سنة ١٤١١هـ.

٥٦. الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه/ الشيخ/ عطية صقر/ مطابع الأزهر سنة ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م

٥٧. الدين د/ محمد عبد الله دراز ط/ دار القلم بالكويت ط/ الثالثة سنة ١٣٩٠هـ.

٥٨. الدين والدولة من توجيهات القرآن الكريم/ د/ محمد البهي مكتبة وهبة ط/ الثانية ١٩٨٠م.

٥٩. رسالة التوحيد/ الإمام محمد عبده/ دار المعارف ط/ الخامسة

٦٠. السنن القويم في تفسير العهد القديم/ مجموعة من علماء اللاهوت/ صدر من مجمع كنائس الشرق الأدنى بيروت سنة ١٩٥٣م.

٦١. العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية/ د/ سعد الدين السيد صالح/ دار الصفا ط/ الثانية ١٩٩٠م.

٦٢. علم أصول الفقه/ عبد الوهاب خلاف/ دار القلم بيروت/ ط/ الثانية عشر ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

٦٣. الفارق بين المخلوق والخالق/ الشيخ عبد الرحمن الباجه جي زادة/ تصحيح ومراجعة/ عبد المنعم فراج درويش/ ط/ البيان التجارية دبي/ سنة ١٩٨٧م.

٦٤. الفصل في الملل والأهواء والنحل/ لابن حزم/ تحقيق د / عبد الرحمن عميرة/ مكتبة دار الجيل بيروت.

٦٥. فضح التلمود تعاليم الحاخامين السرية/ الآب آي. بى- براناتيس/ إعداد زهدي الفاتح/ دار النفائس بيروت ط/ الثالثة ١٤٠٥هـ.

٦٦. الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر/ د/ محمد البهي ط/ مكتبة وهبه

٦٧. الفكر الديني أطواره ومناهجه/ حسن ظاظا/ معهد البحوث والدراسات العربية سنة ١٩٧١م.

٦٨. في مقارنة الأديان بحوث ودراسات/ د/ محمد عبد الله الشرقاوي/ دار الهداية ط/ الأولى ١٤٠٩هـ ١٩٨٦م.

٦٩. قذائف الحق/ محمد الغزالي/ منشورات المكتبة العصرية/ بدون تاريخ.

٧٠. القرابين البشرية والذبائح التلمودية / د/ فتحي محمد الزغبي / مطبعة غباشي بطنطا ١٩٩٠م

٧١. قصة الأديان/ رفقي زاهر (دراسة تاريخية ومقارنة) مكتبة النهضة المصرية/ ط/ الأولى سنة ١٩٨٠م.

٧٢. قصة الحضارة/ وول ديورانت/ ترجمة محمد بدران/ لجنة التأليف والترجمة والنشر ط/ الثالثة.

٧٣. قضايا معاصرة في ضوء الإسلام د/ حلمي صابر ط/ دار عالم الكتاب ط/ الأولى سنة ١٩٩٦م.

٧٤. الكتب المقدسة في ميزان التوثيق/ عبدالوهاب عبدالسلام الطويلة ط/ دار السلام ط/ الأولى سنة ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

٧٥. الكنز المرصود في فضائح التلمود/ تحقيق د/ محمد عبد الله الشرقاوي ط/ مكتبة الوعي الإسلامي سنة ١٩٩٠م.

٧٦. الكنز المرصود في قواعد التلمود/ ترجمة/ يوسف نصر الله تقديم د/ مصطفى الزرقاني د/ حسن ظاظا ط/ دار القلم دمشق الأولى سنة ١٩٨٧م، ١٤٠٨هـ.

٧٧. المجتمع اليهودي/ زكى شنودة/ ط/ الخانجي القاهرة بدون تاريخ.

٧٨. محاضرات في التفسير د/ إبراهيم عبد الحميد سلامة بدون دار نشر وبدون تاريخ.

٧٩. محاضرات في النصرانية/ محمد أبو زهرة/ دار الفكر العربي ط/ الثالثة ١٣٨١هـ ١٩٦٦م.

٨٠. محاضرات في مقارنة الأديان / إبراهيم خليل أحمد ط/ دار المنار ط/ الأولى.

٨١. المخطط الصهيوني حتى عام ٢٠٠٠/ كامل الشرقاوي/ مطابع الناشر العربي/ بدون تاريخ

٨٢. المخططات التلمودية اليهودية والصهيونية أ/ أنور الجندي ط/ دار الاعتصام سنة ١٩٧٧م.

٨٣. مدخل إلى العقيدة الإسلامية د/ يحيى هاشم حسن فرغل ط/ التقدم ط/ الأولى سنة ١٩٨٥م.

٨٤. المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم/ د/ محمد على البار/ دار القلم دمشق/ د/ الأولى سنة ١٤٠١هـ ١٩٩٠م.

٨٥. معركة الوجود بين القرآن والتلمود/ د/ عبد الستار فتح الله سعيد/ ط/ دار التوزيع والنشر الإسلامية ط/ الرابعة سنة ١٤١٤هـ.

٨٦. مقارنة الأديان/ د/ عوض الله حجازي/ دار الطباعة المحمدية القاهرة.

٨٧. مقدمة ابن خلدون/ دار القلم بيروت/ بدون تاريخ.

٨٨. النبأ العظيم د/ محمد عبد الله دراز/ دار القلم الكويت ط/ الرابعة ١٩٧٧م ١٣٩٧هـ.

٨٩. نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين في الجماعات البدائية د/ ثروت أنيس الأسيوطي ط/ دار النهضة العربية سنة ١٩٦٧م.

٩٠. نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام/ د/ محمود عبد السميع شعلان / دار العلوم للطباعة والنشر بالرياض/ ط/ الأولى ١٩٨٣م ١٤٠٣هـ.

٩١. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى/ لابن قيم الجوزية / تحقيق ودراسة د/ محمد أحمد الحاج/ ط/ دار القلم دمشق ط/ الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

٩٢. واقعية المنهج القرآني/ توفيق محمد سبع/ سلسلة مجمع البحوث الإسلامية العدد(٧٠) شوال ١٣٩٣هـ أكتوبر ١٩٧٣م.

٩٣. الوجيز في أصول الفقه د/ عبد الكريم زيدان ط/ دار التوزيع والنشر الإسلامية سنة ١٩٩٣م ١٤١٤هـ.

٩٤. اليهود أنثروبولوجيا/ د/ جمال حمدان/ ط/ الكتاب العربي/ القاهرة.

٩٥. اليهود ليسوا تجاراً بالنشأة/ د/ حسن ظاظا وآخرون / دار الاتحاد العربي للطباعة ١٩٧٥م.

٩٦. اليهود واليهودية والإسلام/ د/ عبد الغنى عبود/ دار الفكر العربي.

٩٧. اليهودية في العقيدة والتاريخ/ عصام الدين حفني ناصف / نشر دار العالم الجديد/ ط/ ١٩٧٧م.

٩٨. اليهودية واليهودية المسيحية د/ فؤاد حسنين على معهد البحوث والدراسات العربية سنة ١٩٨٦م.

٩٩. اليهودية/ د/ أحمد شلبي/ ط/ مكتبة النهضة المصرية القاهرة الخامسة ١٩٧٨م.

١٠٠. اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام/ د/ فرج الله عبد الباري أبو عطا الله/ دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع/ ط/ الأولى سنة ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

❁❁❁

السيرة الذاتية الخاصة بالدكتور/ أحمد عبد الهادي شاهين.

المؤهلات:

(١) ليسانس أصول الدين والدعوة من جامعة الأزهر كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة سنة ١٩٨٩م قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بتقدير (جيد جدا مع مرتبة الشرف).

(٢) ماجستير في الدعوة والثقافة الإسلامية من جامعة الأزهر كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية سنة ١٩٩٥م بعنوان (مشكلات الشباب النفسية والاجتماعية وعلاج الإسلام لها) بتقدير (ممتاز).

(٣) الدكتوراه في الدعوة والثقافة الإسلامية ومقارنة الأديان. من جامعة الأزهر كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية سنة ١٩٩٩م بعنوان (خصائص الدعوة في العهدين القديم والجديد والقرآن الكريم دراسة مقارنة) بتقدير (مرتبة الشرف الثانية).

الوظائف السابقة:

١. عمل إماما وخطيبا بوزارة الأوقاف المصرية من ١/ ٣/ ١٩٩٠م. حتى ٢٠/ ٢/ ١٩٩٣م.
٢. عمل معيدا بجامعة الأزهر في كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية في ٢١/ ٢/ ١٩٩٣م. حتى ٢٥/ ١٢/ ١٩٩٥م.
٣. عمل مدرسا مساعدا في كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية في ٢٦/ ١٢/ ١٩٩٥م. حتى ٤/ ٥/ ١٩٩٩م
٤. عمل مدرسا بقسم الدعوة في كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية من٥/ ٥/ ١٩٩٩م حتى ٣٠ يونيو ٢٠٠٣م.
٥. عمل أستاذا مساعدا بقسم الدعوة في كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية من ٣٠ يونيو ٢٠٠٣م حتى ١يوليو ٢٠٠٤.
٦. عمل أستاذا مشاركا في الجامعة الإسلامية بأمريكا متشجن دوترويد من ١ يوليو ٢٠٠٤م حتى ٣٠ يونيو ٢٠١١.
٧. عمل أستاذا للدعوة والثقافة الإسلامية ومقارنة الأديان في جامعة طيبة. بالمدينة المنورة. المعهد العالي للأئمة والخطباء. من ١ يوليو ٢٠١١ م.

٨. الوظيفة الحالية: أستاذ بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية ومقارنة الأديان في جامعة الأزهر.

التخصص الدقيق: (الدعوة والثقافة الإسلامية ومقارنة الأديان).

المواد التي يقوم بتدريسها:/ الدعوة/ الخطابة/ الثقافة الإسلامية/ تاريخ الخلفاء/ إسلام في المشرق/ الفرق/ فقه السيرة النبوية/ الاستشراق/ التنصير/ مقارنة الأديان/ اليهودية/ النصرانية/ مناهج الدعوة/ آيات الله الإنسانية/ آيات الله الكونية/ قضايا معاصرة/ خلق المسلم/ رسالة المسجد/ حقوق الإنسان في الإسلام.

أعمال أخرى:

(١) انتدب للتدريس في كلية الدراسات الإسلامية للبنات بالإسكندرية، ومعهد الثقافة بوزارة الأوقاف، ومعاهد إعداد الدعاة.

(٢) يقوم بالخطابة والدروس والمحاضرات في مساجد الأوقاف بجمهورية مصر العربية، ومساجد الجمعية الشرعية منذ عام ١٩٨٩م حتى الآن.

(٣) سافر إلى دول أوروبا وأمريكا لإلقاء خطب الجمعة والمحاضرات والدروس الرمضانية، وحضور المؤتمرات والندوات العلمية.

(٤) له العديد من المقالات في مجلة التبيان المصرية. وجريدة الأهرام القاهرية. وجريدة عقيدتي. والأحاديث الإذاعية بإذاعة القرآن الكريم ونداء الإسلام من مكة المكرمة.

يجيد الحديث باللغة الإنجليزية، واستخدام الحاسب الألى.

تاريخ الميلاد:٢٧/ ٢/ ١٩٦٧م. الحالة الاجتماعية: متزوج وله أربعة من الأولاد.

عنوان السكن في مصر: محافظة الدقهلية – مدينة أجا – خلف الإدارة الزراعية.

عنوان العمل في مصر: كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية ت/ ٢٣١٦٨٩١/ ٠٤٨.

البريد الإلكتروني: drahmed1967@yahoo.com.

❁❁❁

المؤلفات الخاصة بالدكتور/أحمد عبد الهادي شاهين.

سلسلة كتب في الدعوة والخطابة:

١. الدعوة إلى الإسلام قواعد وأصول.
٢. وسائل الدعوة الإسلامية وأساليبها في ضوء القرآن والسنة.
٣. القواعد المنهجية للدعوة عند السلف.
٤. السيدة عائشة ﵂ وجهودها في الدعوة الإسلامية.
٥. الدعوة الإسلامية في أمريكا (رؤية من الداخل).
٦. الخطابة قواعد وأصول.
٧. المساجد بين الاتباع والابتداع.
٨. في ظلال خلق المسلم. الجزء الأول.
٩. في ظلال خلق المسلم. الجزء الثاني.
١٠. في ظلال خطب الجمعة. الجزء الثالث.
١١. في ظلال خطب الجمعة. الجزء الرابع.
١٢. في ظلال خطب الجمعة. الجزء الخامس.
١٣. في ظلال خطب الجمعة. الجزء السادس.
١٤. واحة الإمام في إرشاد الأنام. ١٠٠ خطبة مترجمة إلى اللغة الإنجليزية.
١٥. الوحدة الإسلامية فريضة وضرورة.
١٦. قطوف من الأدب والحكمة.

❁❁❁

سلسلة كتب مشكلات الشباب:

١٧. مشكلة الانحراف الجنسي عند الشباب وكيف عالجها الإسلام؟.

١٨. مشكلة الإدمان والتدخين عند الشباب وكيف عالجها الإسلام؟.

١٩. مشكلة الغلو في الدين عند الشباب وكيف عالجها الإسلام؟.

٢٠. مشكلة القلق عند الشباب وكيف عالجها الإسلام؟.

❁❁❁

سلسلة كتب مقارنة الأديان.

٢١. اليهودية في ضوء العهد القديم وموقف القرآن الكريم منها.

٢٢. النصرانية في ضوء العهد الجديد وموقف القرآن الكريم منها.

٢٣. خصائص الدعوة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم والسنة.

٢٤. المسيح عليه السلام بين النصرانية والإسلام (دراسة مقارنة).

٢٥. التنصير وخطره على العالم الإسلامي.

٢٦. دور القساوسة التبشيري في الحروب الصليبية.

٢٧. الاستشراق في ميزان الإسلام.

٢٨. العلمانية وخطرها على المجتمعات المسلمة.

٢٩. الحوار بين الأديان. (تعايش لا ذوبان).

٣٠. تحقيق مخطوط (الأدلة العقلية على أشرفية الشريعة المحمدية).

لإبراهيم بن محمد الراوي العراقي.

❁❁❁

الفهرس

المقدمة:	٣
التمهيد: التعريف بعنوان ومصطلحات الموضوع	٩
المدخل: التعريف بمصادر الديانة اليهودية	٢٢
المطلب الأول: العهد القديم – التوراة الكتابية	٢٣
المطلب الثاني: المصدر الثاني للديانة اليهودية – التلمود	٣٣
المبحث الأول: (دراسة مدى تحقق خصيصة ربانية العهد القديم)	٤١
المطلب الأول: سند التوراة أو (الأسفار الخمسة)	٥٢
المطلب الثاني: نماذج من التناقض والتضارب في أسفار العهد القديم	٦٧
المطلب الثالث: من مظاهر التحريف في التوراة	٧٢
المطلب الرابع: موقف القرآن الكريم من تحريف التوراة	٨٢
المبحث الثاني (دراسة مدى تحقق خصيصة التوحيد في العهد القديم)	٩٩
المطلب الأول: العهد القديم بين التوحيد والتعدد	١٠٣
المطلب الثاني: العهد القديم بين التنزيه والتجسيم	١١٢
المطلب الثالث: موقف القرآن الكريم من عقيدة اليهود في الذات الإلهية	١٢٣
المطلب الرابع: خطورة الشرك وأضراره على المدعوين	١٣٢
المبحث الثالث: (دراسة مدى تحقق خصيصة العالمية في العهد القديم)	١٣٦
المطلب الأول: نصوص الإقليمية والعنصرية في العهد القديم	١٤١
المطلب الثاني: موقف القرآن الكريم من العنصرية والإقليمية عند اليهود	١٥٢
المبحث الرابع: (دراسة مدى تحقق خصيصة الشمولية في العهد القديم)	١٦١

المطلب الأول: مدى شمولية العقيدة في العهد القديم	١٦٢
المطلب الثاني: مدى شمولية التشريع والعبادات في العهد القديم	١٧٧
المطلب الثالث: موقف القرآن الكريم من الشمولية في العهد القديم	١٩٩
المبحث الخامس: (دراسة مدى تحقق خصيصة الوسطية في العهد القديم)	٢٠٦
المطلب الأول: المادية في العقيدة عند اليهود	٢١١
المطلب الثاني: المادية في التشريع والأخلاق عند اليهود	٢١٧
المطلب الثالث: موقف القرآن الكريم من المادية عند اليهود	٢٢٣
المبحث السادس: (دراسة مدى تحقق خصيصة الواقعية في العهد القديم)	٢٢٥
المطلب الأول: مدى واقعية العقيدة في العهد القديم.	٢٢٥
المطلب الثاني: مدى واقعية التشريع في العهد القديم	٢٣٠
المبحث السابع: (دراسة مدى تحقق خصيصة الإنسانية في العهد القديم)	٢٤٤
المطلب الأول: مدى تحقق إنسانية العقيدة في العهد القديم	٢٤٤
المطلب الثاني: مدى إنسانية العبادة والتشريع في العهد القديم	٢٤٦
المطلب الثالث: موقف القرآن الكريم من القرابين البشرية	٢٦٠
الخاتمة	٢٦٥
المراجع	٢٦٨
السيرة الذاتية	٢٧٥
المؤلفات	٢٧٧
الفهرس	٢٧٩-٢٨٠

❁❁❁